من
محاضر اجتماعات عبد الناصر
العربية والدولية ...
١٩٦٧ - ١٩٧٠

إعداد : عبد المجيد فريد

مؤسسة الأبحاث العربية

مؤسسة الأبحاث العربية
ص . ب : ١٣/٥٠٥٧
بيروت ـ لبنان
هاتف ٣٠٠٧٧٥

الغلاف : تصميم دار المثلث ، بيروت .

من

محاضر اجتماعات عبد الناصر

العربية والدولية ...

١٩٦٧ـ ١٩٧٠

الطبعة الاولى
بيروت ١٩٧٩



اهداء .....

اهدي هذه الصفحات من تاريخ مصر والقضية العربية الى شبابنا الغالي ليتبيّن له الحق من الباطل ، والى زوجتي التي تحملت بسببي مشاق ومصاعب عديدة عبر سنوات طويلة .

عبد المجيد فريد

المحتويات

كلمة الدار

تقدم مؤسسة الابحاث العربية الى القراء العرب في هذا الكتاب باكورة انتاجها ، وهو كتاب ذو قيمة تاريخية وسياسية نادرة . يتضمن محاضر مطولة ومقتطفات حرفية لاهمّ اجتماعات جمال عبد الناصر والقيادة السياسية العليا في مصر ، على الصعيدين العربي والدولي ، في الفترة ما بين ١٩٦٧ ــ ١٩٧٠ . وكان عبد المجيد فريد ، الذي شغل منصب الامين العام لرئاسة الجمهورية العربية المتحدة منذ عام ١٩٥٩ حتى عام ١٩٧٠ ، قد دوّن هذه المحاضر بخط يده آنذاك ، واستطاع ان يحافظ عليها فترة وجوده في سجون السادات ، ثم اخرجها معه حين غادر مصر الى الجزائر عام ١٩٧٥ . وقد حضر عبد المجيد فريد ، بحكم موقعه المسؤول ، جميع اجتماعات عبد الناصر الرسمية ورافق افكاره واعماله عن قرب ، مما اتاح له ان يقدم في هذا الكتاب ، اضافة لمحاضر الاجتماعات ، صورة حية لسياسة عبد الناصر على امتداد تلك السنوات الحرجة والحافلة .

تتميز هذه الفترة ما بين نكسة حرب ١٩٦٧ ووفاة عبد الناصر عام ١٩٧٠ بأهمية خاصة في حياة مصر والتاريخ العربي المعاصر عموما . هي سنوات الحساب التي حاول فيها عبد الناصر ان يراجع ويحاكم ، من موقع النقد الذاتي ، مجمل الاوضاع الداخلية والعربية والدولية التي قادت الى هزيمة ١٩٦٧ . وهي سنوات الاعداد المتواصل التي حاول فيها عبد الناصر ، من موقع رفض الاستسلام للمؤامرة الاميركية ــ الصهيونية ، ان يعبر الى مرحلة تصفية تلك المؤامرة وطرد الاحتلال الاسرائيلي . وهي بعد كل هذا ، سنوات مجهولة بقدر ما هي مصيرية . سنوات لم يكشف النقاب بعد الاّ عن جزء قليل من خباياها واحداثها ، وعن جزء اقلّ من مواقف الاطراف المشتركة فيها ، على مختلف جبهات العمل ، المصرية الداخلية والعربية والاسرائيلية والدولية .

هذا جانب من الاهمية الخاصة لهذا الكتاب . وهو من هذه الزاوية يشكل مرجعا فريدا ، لعلّه الاهمّ حتى الآن ، في استكشاف تلك المرحلة واحداثها وقضاياها .

ومهما تباينت الآراء في الاسباب والعوامل التي قادت الى هزيمة عام ١٩٦٧ ، وفي تحديد المسؤولية فيها وعنها ، وفي تقويم مدى الافادة الكاملة من عبرها ، فان الدروس التي تؤكدها اجتماعات تلك المرحلة تبقى موجها سياسيا ممتد الاثر في مسيرة النضال العربي . اهمّ ما فيها ، انها تظهر بجلاء ساطع الفارق النوعي بين نهجين متعاكسين (ومنطلقين وشخصيتين) ميزا التعامل مع القضية العربية عامة والقضية الفلسطينية خاصة ، ما بين عهدي عبد الناصر والسادات . انه ، ببساطة ، الفارق النوعي بين نهج تحرر وطني يرفض الاستسلام مصرا على قهر الهزيمة وتجاوزها مهما غلت التضحيات او طال الزمن ، ويرفض الحل المنفرد رغم الاغراءات الكبيرة مصرا على مبدأ وحدة معركة المصير العربي ، ويأبى مجرد البحث في عزل مصر عن الامة العربية مؤكدا ان العروبة قدر مصر وان التزاماتها نحوها ترقى الى مستوى مبرّر الوجود .. ثم نهج معاكس تماما ، يأخذ من الهزيمة ذريعة للعبور الى الحل المنفرد ، ومبررا لسلخ مصر عن الامة العربية ، وستارا للتسليم بأن المصير العربي يصنع في العاصمة الاميركية فيرهنــه بلا تردّد لمشيئتها ومصالحها .

للتاريخ والمقارنة والمحاكمة والحكم ، نقدم هذه المحاضر الى القراء العرب وجميع العاملين في حقل القضية . وهي بعد ، الجزء الاول من عملين متكاملين . في هذا الكتاب الاول قدم عبد المجيد فريد اجتماعات عبد الناصر ، العربية والدولية ، في سنوات الاعداد لمعركة العبور وتحرير الاراضي العربية المحتلة . وفي كتابه الثاني الذي ستنشره مؤسسة الابحاث العربية بعد فترة ، يقدم اجتماعات عبد الناصر والقيادة السياسية حول الوضع الداخلي في مصر وقضاياه ، والذي يشكل الفصل الاخير من هذا الكتاب مدخلا له .

مؤسسة الأبحاث العربية

تقديم

للكاتب العربي ... محمد عودة

ما زال جمال عبد الناصر هو الشخصية الاولى على المسرح السياسي العربي ، وسيظل لزمن طويل قائد الجماهير وبطلها التاريخي . ولن ينقطع سيل الكتب والدراسات التي تصدر عنه ، وسيبقى في ملحمة كفاحه ملهما لامته ولكل الثوار والاحرار .

ولكن يحتل هذا الكتاب مكانا فريدا بين كل ما كتب . وهو واحد من اهم الكتب ان لم يكن اهمها حتى الآن ، لانه يقدم عبد الناصر خالصا صادقا تماما كما كان .. وكما يجب ان يعرفه الناس .

وكثير من الكتب خرجت تحمل ذاتية مؤلفيها بقدر ما تقدم عبد الناصر ، او هي قدمته برؤية اصحابها او زاويتهم الخاصة . ولكن هذا الكتاب ، بأمانة وموضوعية شاملة ، يدع عبد الناصر يقدم نفسه بنفسه .... ونخرج لهذا بصورة حقيقية مجيدة وجليلة .

وقد كانت السنوات الثلاث الاخيرة من حياة عبد الناصر ذروة المسيرة ، وليس هناك مشهد اعظم من البطل في اوج محنته يتجاوزها ليشق طريق الخلاص .

ولقد شمت الكثيرون وتشفّى الكثيرون . وتآمر عليه اقرب الناس اليه ، واعلن واحد منهم انه قد انتهى بالهزيمة ، وهلل عميد الامبريالية جونسون وقال : لقد انتهت القضية .. والرجل .

ولكن قام « بروميثيوس » بعد ما أثخنته الجراح وعصفت به الآلام واسترد كل نفسه واستعاد كل ثقته وحملها الى الناس جميعا ، ووقف على قدميه .. نفس العملاق بنفس القوة والجبروت .

وحينما خانه قلبه في النهاية ورحل عن عالمنا كان يحمل سيفه ويقاتل مستميتا ... عاش الفارس ومات الفارس ... وستظل كل الاجيال تروي سيرته ..

وقد عاش صاحب الكتاب الاحداث والايام يوما بيوم مع عبد الناصر وظل على وفائه له ، ولكنه ليس مجرد راوية امين ولكن مريدا مخلصا يحمل ايضا نصيبه من المسؤولية واكمال الطريق .

محمد عودة

مقدمة

نشرت خلال عام ١٩٧٨ على صفحات مجلة « الدستور » التي تصدر في لندن سلسلة من محاضر اجتماعات عبد الناصر تحت اسم « اوراق عبد الناصر السرية » ظهرت في عشرين حلقة متتالية ، عرضت فيها اقوال واعمال عبد الناصر السياسية من خلال حواره ومباحثاته مع رؤساء الدول العربية وبعض رؤساء الدول الاخرى ، كذلك من خلال حواره مع اعضاء مجلس الثورة والوزراء في مصر سواء في اجتماعات اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي او في اجتماعات مجلس الوزراء التي كانت تعقد برئاسته .

كنت في هذه الفترة امينا عاما لرئاسة الجمهورية العربية المتحدة لمدة احد عشر عاما منذ عام ١٩٥٩ حتى وفاة عبد الناصر عام ١٩٧٠ . احد عشر عاما احضر معه جميع لقاءاته داخل مصر وخارجها . كنت حريصا على ان اسجل بقلمي جميع اقواله وهمساته يقينا مني اني اعيش لحظات خالدة من تاريخ امتنا العربية سيطلب شبابنا ان انقلها في يوم ما لتكون منارا لهم في نضالهم الجديد .

وبمجرد نشر تلك الحلقات وصلتني مئات الخطابات من القراء العرب ، وخاصة من الشباب في الاقطار العربية المختلفة ، تطلب مني نشر المزيد من اقوال الزعيم الراحل واعماله ، ملحين على ضرورة اصدار كتاب عن هذه الاوراق وغيرها ليكون كما قال لي احد شباب بغداد : « وثيقة في يدنا ضد كل الذين يفترون على عبد الناصر . اننا كشباب لم نعش تلك الفترة ولكننا لمسنا خطواته الثورية في مصر والامة العربية ، كما سمعنا عنه الكثير ممن يكبروننا في العمر ، وحتى الاجانب الذين نلتقي بهم كانوا يحكون لنا قصصا مشرفة عن « ناصر » . في نفس الوقت قرأنا مقالات وكتبا لبعض الحاقدين ترسم صورة اخرى مظلمة لعبد الناصر . ارجو ان تصدر كتابك في اقرب وقت حتى يكون سلاحا في يدنا وقرينة ثابتة لاعماله واقواله » .

كتب لي قارئ آخر من ابو ظبي يقول : « لم يكن عبد الناصر لمصر وحدها وانما كان لكل العرب بل للعالم اجمع . كان عبد الناصر هادئا كالنسيم ، قويا كالعاصفة ، شامخا كالجبل . وعلى الذين عاشوا عن قرب مع عبد الناصر ، مثلك ، ان يقدموا بصدق وشرف كل اعماله واقواله كأمانة تاريخية للاجيال القادمة » . كذلك تعرضت الصحف العربية والاجنبية للحقائق التي نشرت في تلك الحلقات ، واشار الكتّاب الاجانب ، كما ظهر في جريدة « التايمز » البريطانية يوم ٩ يونيو (حزيران) ، وجريدة « واشنطن بوست الامريكية » يوم ٢٣ يونيو (حزيران) الى اهمية المعلومات التي تنشر على العالم لاول مرة بعد وفاة عبد الناصر بثمانية اعوام .

لهذا كله ..ووفـــاء لتلك الايام المجيدة التي عشتها بجوار الزعيم الراحل ، انشر هذا الكتاب الذي يضم ما ورد من محاضر في تلك الحلقات بعدما اعدت تنسيقها وترتيبها ، كما يضم محاضر لقاءات اخرى جديدة لعبد الناصر لم يسبق نشرها ، وذلك في محاولة لان يأتي الكتاب معبرا تعبيرا دقيقا عن شخصية عبد الناصر وافكاره وسياسته ومواقفه .

حرصت في كل سطر من الكتاب ان اكون امينا صادقا في عرضي حتى ولو كان الحوار في بعض اللقاءات ليس لصالح عبد الناصر . كما تجنبت الاسهاب في التعليق على اقواله واعماله او تسجيل آرائي الشخصية تاركا للقارئ العربي وكتابنا ومثقفينا هذه المسؤولية التاريخية بالقدر ومن الزاوية التي يراها كل منهم . لقد كان صعبا على ادبائنا الشرفاء ان يكتبوا عن عبد الناصر بما يستحق نظرا لافتقارهم الى الوقائع . اذ ان حقيقة اعماله واقواله تاهت وسط القصص والسوالف التي رواها البعض خطأ او كذبا عندما نشروا كرياتهم بعد وفاته . ولعل هذا الكتاب ، بتقديمه محاضر اجتماعاته ، يجعل احداث تلك الفترة تتحدث عن نفسها بنفسها ، ويسهم في سد النقص لكل من يريد ان يدرس فترة حكم عبد الناصر .

قد يتساءل البعض عن سبب نشري للكتاب في هذا الوقت بالذات ، بعد وفاة عبد الناصر بثماني سنوات ؟ وللاجابة على ذلك اود ان اذكّر القراء بأني بعد وفاة عبد الناصر سجنت في عهد الرئيس انور السادات لمدة ثلاث سنوات ونصف في السجن الحربي وسجن طره بالقاهرة بتهمة الاشتراك في ما سمي بمؤامرة ١٥ مايو (ايار) ١٩٧١ . بالاضافة الى هذا السبب المادي فلا بد من توضيح ما يلي :

اولا ــ لم يكن هدفي من النشر مجرد محاولة لتأريخ فترة غنية من تاريخ مصر والامة العربية ــ على الرغم من اهمية ذلك . ولا مجرد اندفاع لكشف زيف واباطيل عمليات التشويه المستمرة التي تتعرض لها فترة حكم جمال عبد الناصر ، لان هذه العمليات مهما زوقت وموّهت فستبقى للجماهير ذاكرتها وللشعب ضميره . بل ان الهدف الرئيسي من نشر هذه المحاضر هو اظهار بشاعة الجريمة التي ترتكب حاليا بحق تاريخ مصر وتاريخ الامة العربية كلها .

ثانيا ــ ان توقيت اصدار هذا الكتاب في مرحلة الهجمة الشرسة التي تتعرض لها امتنا العربية حاليا من قبل القوى الامبريالية والصهيونية ، يجعل من عملية النشر ، بحد ذاتها ، فعلا سياسيا يضع الجماهير العربية وجها لوجه امام الحقيقة لا في الماضي فحسب بل في الوقت الحاضر ايضا . واذا كانت قد توضحت حتى الآن جوانب عديدة من « الناصرية » ، فان نشر هذا الكتاب سيلقي المزيد من الاضواء على السياسة الخارجية في علاقتها بالقضية المصيرية ، كما يمكن من استخلاص بعض القواعد والاسس التي ما زالت هي الاصلح والاسلم في ميدان معالجة قضايانا الخارجية والداخلية .

ثالثا ــ اننا لم نؤمن في يوم من الايام بأن الدولة ــ بمعنى الحكم ــ هدف قائم بحد ذاته ، خاصة اذا ما فرغ من مضمونه الجماهيري . وان ايماننا بأن الدولة ما هي الا تعبير عن ارادة الجماهير اولا واخيرا هو الذي يمنحنا حق اصدار هذا الكتاب وما يماثله من الكتب الاخرى لتكون ملكا للجماهير قبل كل شيء .

يلاحظ القارئ ان الكتاب تعرض فقط لمرحلة زمنية محددة من عهد عبد الناصر ، هي الفترة التي اعقبت الهزيمة العسكرية عام ١٩٦٧ حتى وفاته . فهذه الفترة تميزت بأشكال خاصة من التحرك السياسي والعسكري عن باقي سنوات حكمه ، كما اني وجدت ان شخصية عبد الناصر كانت تزداد وضوحا ولمعانا كلما صهرتها اللحظات الساخنة مثل لحظات ١٩٦٧ .

وقبل ان اقدم اعماله واقواله مستقاة من محاضر اجتماعاته ، اود ان اتوقف قليلا امام شخصية عبد الناصر ولو ان تقييمها وتحليلها يحتاجان لمئات الصفحات .

تصور اغلب العرب ان عبد الناصر له قدرات وطاقات فوق مستوى البشر

متأثرين بمنجزاته العملاقة خلال الخمسينات واوائل الستينات ، ونسوا انه كان بشرا وليس نبيا او رسولا . لذلك كان بديهيا ان يصيب وان يخطئ في اعماله واقواله ، كما علينا ايضا قبل ان ننقده او نصفق له ان نراجع جيدا الظروف التي كانت تحيط به في ذلك الوقت والقيادات والشخصيات التي كان يتعامل معها .

جانب آخر لا بد ان نتعرف عليه عند تحليل شخصية عبد الناصر هو : هل استمرت تلك الشخصية خلال الستينات كما كانت خلال الخمسينات ؟ الاجابة نعم ولا ! اذ ان هناك سمات بقيت صامدة ثابتة لم تتغير طوال حياته ، وهناك سمات تبدلت وتحولت بعد ان هبت عليها رياح الهزيمة عام ٦٧ .

● استمر عبد الناصر العنيد المناضل باصرار ضد اعدائه من القوى الامبريالية والصهيونية وضد اعداء الثورة ـ لم يملّ النضال على هذا الطريق ، ولم يسلك يوما ما طريق الخداع والتضليل ، وانما كان دائما شجاعا وصريحا .

● بقي ايضا صارما لا يعرف الهزل ولا العبث ولا الراحة ، محبا للعمل الجاد ، مضحيا بنفسه وبصحته في سبيل مصر وكرامتها وكرامة العرب . هكذا كان قبل ٦٧ وهكذا بقي بعدها حتى لفظ نفسه الاخير .

ولكن هناك سمات اخرى تبدلت وتغيّرت نتيجة النكسة الكبرى التي لم يكن يتوقع حجمها وقدرها .

● اصبحت ثقته في الآخرين عزيزة المنال ، وكذلك ثقته فيما يرفع اليه من تقارير وبيانات . كان الشك اقرب اليه من اليقين . وقد نمت لديه هذه الصفة بعد ان صُدم من تآمر اقرب الناس اليه ، صديقه عبد الحكيم عامر ، وبعد ان تبين له عدم صحة ما كان يقدم اليه من تقارير عن كفاءة القوات المسلحة وبعض الاجهزة الحكومية التي اصيبت بالانهيار والخلل يوم العدوان عام ٦٧ .

● لم يعد عبد الناصر المستمع الجيد الذي كان يتريث كثيرا قبل ان يصدر قراره النهائي .. وربما كان ذلك بسبب قلقه الدائم على وضع البلاد عسكريا ، وتعرض اهداف مصر الحيوية للهدم والتخريب نتيجة الغارات الاسرائيلية بعد ٦٧ ، بالاضافة الى زيادة آلام مرضه والتهاب اعصاب رجليه في ذلك الوقت .

عامة ، فاني لست الآن في موقع الناقد او المدافع عن عبد الناصر بهذه الاسطر

القليلة . وانما حرصت في صفحات الكتاب كلها ان اكون العارض الامين لاقواله واعماله ، وهي وحدها التي ستحكم له او تحكم عليه .

ختاما ، اعتذر لمن يرى على صفحات هذا الكتاب اية اساءة له غير مقصودة ، وخاصة بالنسبة لاصحاب الجلالة الملوك والسادة الرؤساء والوزراء الذين تعرضت اليهم خلال سردي للاحداث واللقاءات .. ولكن التاريخ شاهدي ، وقد اقسمت ان لا ابدل فيه حرفا او افتري عليه لفظا . اننا سنزول جميعا وسيبقى تاريخنا الاصيل خالدا مدى الدهر .

عبد المجيد فريد

الفصل الاول

اول لقاء بين عبد الناصر والسوفيات اثر حرب ١٩٦٧

محضر الاجتماعين الخطيرين بين عبد الناصر والرئيس السوفياتي بودغورني ورئيس الاركان زاخاروف بعد ١٤ يوما من الهزيمة .

الجلسة الأولى

- الموقف العسكري الخطر بعيد الحرب ـ الدفاع الجوي عن سماء مصر المكشوفة ـ احتمال عبور اسرائيل القناة ـ الاتحاد السوفياتي يتعهد باعادة بناء القوات المسلحة المصرية ـ مراجعة مفهوم الانحياز وعدم الانحياز ـ اميركا العدوّ الاساسي ـ تسهيلات للاسطول السوفياتي ـ اصوات تطالب بالاتفاق مع اميركا وترك اليمن ـ حقيقة المقاطعة النفطية لاميركا ـ الموقف الصيني والمخططات الاميركية ـ ازمة القمح .

الجلسة الثانية

- سلاح الجو في كل من مصر واسرائيل ـ المطالبة بطائرات يغطي مداها عمق اسرائيل ـ الاسلحة الدفاعية والاسلحة الهجومية ـ العمل بصمت لحين الاستعداد الكامل ـ نقد ذاتي للقيادة العسكرية المصرية السابقة ـ الخبراء السوفيات ـ دعاية الغرب والطبقة البورجوازية المصرية ـ سرية المعلومات ـ مصاعب الاقتصاد المصري بعد الحرب .

عبد الناصر

- هدف العدوان الاميركي ـ الاسرائيلي فرض الصلح على العرب .. وهذا لم يتحقق .
- إما ان نستسلم لاميركا ونخضع للاستعمار العالمي او ان نقاتل ونناضل .
- نبني اليوم دفاع الضفة الغربية للقناة تمهيدا لقتال اسرائيل واخراجها من سيناء.

بعد اربعة عشر يوما من هزيمة حرب ١٩٦٧ وصل الرئيس السوفياتي بودغورني الى القاهرة على رأس وفد رسمي لمقابلة الرئيس جمال عبد الناصر . قبل ذلك ، وعندما أعلن عبد الناصر تنحيه المشهور يوم ٩ يونيو (حزيران) ، اي بعد بدء الحرب بأربعة ايام ، اتصلت القيادة السوفياتية السياسية بعبد الناصر ودعته الى العودة عن الاستقالة مشيرة الى ان وفدا سوفياتيا على مستوى عال سيزور القاهرة قريبا للبحث في الوضع السياسي والعسكري للجمهورية العربية المتحدة بعد الهزيمة . وكان مفهوما من برقية القيادة السوفياتية هذه ان الاتحاد السوفياتي غير عازم على التخلي عن جمال عبد الناصر . وباستطاعتي القول ان هذه البرقية قد لعبت دورا اساسيا ، وان لم تلعب الدور كله ، في اقناع عبد الناصر بالعودة عن تخليه .

وهكذا كان لقاء القمة بين الجمهورية العربية المتحدة سابقا والاتحاد السوفياتي بعد اسبوعين فقط من هزيمة حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ . وهذا اللقاء اختلف عن كل اللقاءات السابقة . فقد ولت ايام المجد التي كانت فيها اعلام الناصرية تخفق في سماء المنطقة ، والتي كانت فيها ذراع الناصرية الطويلة تمتد الى كل مكان . فالاعلام الناصرية كانت منكسة ، وذراعها شبه مشلولة . وكان التغيير العميق الذي اصاب مصر تحت تأثير هذه الهزيمة قد اصاب عبد الناصر ايضا . لقد تغير هو الآخر ، واضافت الايام الستة ، التي استغرقتها مرحلة الحرب ، عشر سنين الى عمره دفعة واحدة . قبل الحرب كان يعاني من مرض السكر . بعد الحرب ازدادت معاناته وآلام ساقه ، حتى لم يعد يقوى على الوقوف لمدة خمس دقائق على قدميه . عبد الناصر صار اقل كلاما واكثر صمتا وقلقا . واحسسنا ، كل الذين كانوا حوله ، انه كان يأكل بعضه غيظا وحزنا وألما . ومع انه كان قليل الكلام فقد استطعنا ان نضع اصبعنا على الجرح الاكبر في قلب عبد الناصر . لم تؤثر فيه الهزيمة العسكرية بالقدر الذي اثر فيه تآمر المحيطين به من رجال الجيش السابقين وشماتة الذين كان يضعهم في خانة الاصدقاء .

والذي كان يقلقه ويؤرقه ان الهزيمة قد فتحت امام العدو سماء مصر وارضها . كان بوسع طائرات اسرائيل ان تحلق في سماء القاهرة في اي وقت تشاء ، وكيفما تشاء . كان بمقدور اسرائيل ان تضرب اي هدف موجود على خريطة مصر على طول الجبهة الممتدة من قناة السويس الى السد العالي في اسوان . بل اكثر من ذلك ، كان بوسع اي قوة اسرائيلية مدرعة ان تشق طريقها عبر قناة السويس الى القاهرة دون ان تجد مقاومة حقيقية . ولا ادري اذا كانت اسرائيل تعلم هذه الحقائق ، لكن الذي ادريه انها تصرفت في الايام الاولى التي تلت الهزيمة وكأنها تدرك هذه الحقائق .

في تلك الايام طرأ بعض التبدل على طريقة عبد الناصر في العمل . فقد اصبح حريصا على اشتشارة معظم المتواجدين حوله الى درجة انه استدعى كبار ضباط الجيش المتقاعدين واصحاب المناصب العليا الذين تركوا الخدمة منذ فترة طويلة . كان يصغي كثيرا ويتكلم قليلا . غير ان ما كان يهمه ويقلقه هو سماء مصر المفتوحة والتهديد الاسرائيلي المستمر بنسف كل منشآت مصر الاقتصادية الكبرى وجسورها . من هنا جاءت اهمية اول لقاء قمة بينه وبين السوفيات . لقد خاض الحرب بسلاح روسي ، وقبل الحرب لم يكن له حليف الا الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز . كانت علاقاته مقطوعة مع الولايات المتحدة ، وباردة مع بريطانيا ، وعادية مع ديغول ، وسيئة للغاية مع اكثر من نظام عربي . لذلك كان عبد الناصر يعلق اهمية كبرى على مجيء بودغورني الى القاهرة لانه كان يرغب في سد ثغرة سمائه المفتوحة وارضه المكشوفة .

ووصل بودغورني الى القاهرة ومعه وفد سوفياتي ابرز اعضائه الماريشال زاخاروف رئيس اركان حرب الجيش الاحمر . وعقد الاجتماع الاول في قاعة الاجتماعات في قصر القبة ، وحضر عن الجانب المصري بالاضافة الى جمال عبد الناصر كل من السادة زكريا محي الدين وعلي صبري والفريق محمد فوزي ومحمود رياض . وجلس عبد الناصر وبودغورني في مواجهة بعضهما البعض ، بينما اخذ اعضاء الوفد المصري امكنتهم الى يسار عبد الناصر ، وجلس اعضاء الوفد السوفياتي الى يمين بودغورني . واتخذت انا مكاني المعتاد في مثل هذه المناسبات خلف جمال عبد الناصر .

بالرغم من كل شيء كان عبد الناصر في هذا الاجتماع في قمة نشاطه . وكان بودغورني هو الآخر يبدو سعيدا للغاية ، وقد اشار في اكثر من مناسبة الى امتنانه للاستقبال الحار الذي لقيه واعضاء الوفد السوفياتي ، والشعور الشعبي الفياض الذي لمسه بنفسه في شوارع القاهرة . في مثل هذا الجو بدأت محادثات القمة بين عبد الناصر وبودغورني .

عبد المجيد فريد

* * * *

الجلسة الاولى : ٢٢ يونيو (حزيران) ١٩٦٧

● عبد الناصر : ارحب بالرئيس الصديق بودغورني واعضاء وفد الاتحاد السوفياتي الممتاز كل الترحيب . واقترح على الرئيس الصديق بودغورني ان يكون البادئ في الحديث باعتباره يحل ضيفا عزيزا على شعب الجمهورية العربية المتحدة .

●● بودغورني : اشكر الشعب المصري الصديق ، واشكركم على هذا الاستقبال الحار . ولندخل في صميم الموضوع . اننا متأكدون انه بالتعاون المشترك في ما بيننا ستتمكن من التغلب على كافة المصاعب التي تواجهكم في الوقت الحاضر . لقد حرصنا على لقائكم والتحدث معكم قبل سفر الرفيق كوسيغين الى نيويورك ومقابلته جونسون حيث يحتمل ان يتم هناك بحث ثلاثة موضوعات :

١ ـ قضية فيتنام والحلول المقترحة لحلها .

٢ ـ ازمة الشرق الاوسط والمسائل المتعلقة بها .

٣ ـ الصواريخ العابرة القارات ، والدفاع المضاد لها .

ولو ان جونسون لا يرغب في مناقشة الموضوع الاخير ، غير اني اتوقع ان يثير اثناء بحث الموضوع الثاني التنازلات العربية الممكنة . من جانبنا ، في هذه النقطة ، لن نؤيد مطالب اسرائيل في الاحتفاظ بالاراضي المحتلة . كما اننا نعلم منكم ان اجراء مباحثات ثنائية بين العرب واسرائيل غير ممكن عمليا . وعموما ، لن نوافق على اي اقتراح طالما لا يوافق العرب عليه . اما بالنسبة الى الموضوع الاول بشأن فيتنام فقد وصلتنا برقية من نيويورك قبل دخولي هذه القاعة بدقائق فهمت منها ان هناك املا كبيرا في التوصل الى حل ما لهذه المشكلة ولو من الناحية المبدئية . وهذا يعني ايقاف القصف الجوي تمهيدا للوصول الى الحل النهائي . اما عن الحديث الذي

تم معكم بصفة شخصية ومبدئية بعد وصولي الى القاهرة امس ، فقد ابرقت به الى موسكو وركزت على نقطتين هما : موضوع الدفاع الجوي ، وموضوع الانحياز وعدم الانحياز . كما ابلغت موسكو ايضا الرغبة في ادخال سفن من الاسطول السوفياتي الى البحر الابيض المتوسط . واعتقد ان هناك موافقة مبدئية على هذا الموضوع ، ومن الافضل ان يبدأ العسكريون من الجانبين بحث التفاصيل الخاصة به مثل تموين السفن من الموانئ ، والاجراءات المشتركة عند مهاجمتها جوا .. الخ .

(وهنا طلب بودغورني من المترجم السوفياتي ان يوضح جيدا ان البرقية التي ارسلها الى موسكو تضمنت الموضوعات التي اثارها عبد الناصر في لقائه به امس ووافق عليها القادة المصريون الذين قابلهم بعد وصوله الى المطار .

ابتسم عبد الناصر وعرفت منه في ما بعد انه ادرك مخاوف بودغورني من عدم اجماع القيادة المصرية على الموافقة على مطالبه ، لذلك قال له :)

● عبد الناصر : كما تعرف ، ان باقي اعضاء اللجنة العليا الممثلة للقيادة المصرية وغير الموجودين اليوم في هذه القاعة ، موافقون ايضا على هذه الموضوعات . وقد تم بحثها معهم قبل حضورك .

● ● بودغورني : اما عن موضوع عدم الانحياز فالمكتب السياسي في موسكو رحب بما قلته سيادتكم عن الوقوف مستقبلا الى جانب الاتحاد السوفياتي . غير انهم في موسكو تساءلوا عما اذا كان مفيدا اعلان ذلك الآن او ارجاء هذا الاعلان . كذلك تساءل الرفاق في موسكو عن ردود الفعل والمتاعب التي قد تترتب على هذا الموضوع . لقد سألتني موسكو عن الاشكال المقترحة للعلاقة بكم . هل هو الشكل القديم ، ام اتفاق ومعاهدة جديدة ؟ وكيف تتصورون العلاقات بيننا في المستقبل ؟ وبصورة عامة ، فان موسكو موافقة على هذا الموضوع من ناحية المبدأ بالكامل ، ولكن قد يحدث نتيجة لهذه العلاقة الجديدة بيننا وبينكم بعض المشاكل بالنسبة الى علاقاتكم مع الدول العربية ، بما في ذلك بعض الدول التقدمية العربية . اما عن موضوع الدفاع الجوي فتجري دراسته في الوقت الحاضر في وزارة الحربية في موسكو ، وستسهل مناقشة التفاصيل مع المختصين بعد عودتي الى موسكو مباشرة . المهم اننا نرى من الضروري فعلا مساعدة مصر في موضوع الدفاع الجوي .

● عبد الناصر : بشأن موضوع عدم الانحياز ، فاننا في الحقيقة نعتبر منحازين في الاصل . ومن اجل ذلك تعرضنا للعدوان العام ١٩٥٦ ثم العام ١٩٦٧ ، كما ستتعرض لعدوان آخر طالما اننا نسير في هذا الخط . الاميركان يعرفون ذلك جيدا ، وكانوا عايزينا نسير معهم ، لكننا رفضنا لاننا شفنا سياستهم مؤيدة للاستعمار . احنا عارفين ان الاميركان لن يتركونا ، ولكن المهم بالنسبة لنا نشوف فين مصلحة بلدنا . بالنسبة لعلاقاتنا معكم ، كان ينقصها حاجة واحدة وهي التعاون العسكري . الناس عندنا ايام المعركة تساءلوا : امال فين اصحابنا الروس؟ انا كنت عارف انه لا يمكن حضوركم عسكريا طالما انه لم يسبق الاتفاق معكم على الترتيبات العسكرية اللازمة لذلك .

بالنسبة للمستقبل ، انا شايف ان اعداءنا دائما حيكونوا الاميركان . وكذلك هم اعداؤكم ايضا . لذلك علينا ان ننظم التعاون بيننا ، لانه من غير المنطقي ان اكون محايدا بين اللي يضربنا واللي بيساعدنا . تنظيم التعاون بيننا يحتاج الى تفكير عميق منا . لان اي تصرف من مصر ستكون له ردود فعل كثيرة في العالم . ان نتيجة الاتفاق بيننا وبينكم ستغير كثيرا من ميزان القوى في العالم . واننا لم نتخذ هذا القرار بشكل عاطفي ، لكنه جاء نتيجة لدراسة وبحث عميقين . انا اوافقكم ان مثل هذا الاعلان سيكون له رد فعل كبير في العالم العربي ، وقد تحدث انقسامات وتعلن بعض الدول العربية انحيازها الى اميركا ، مثل السعودية والمغرب وتونس . في الحقيقة ، فان هذه الدول اصلا منحازة الى اميركا ، وبالمثل هناك في افريقيا دول منحازة تماما لاميركا رغم انها تعلن شكليا عن انتمائها الى الدول غير المنحازة .

● بودغورني : يصعب جدا ان نجد دولة في هذا العالم غير منحازة مائة في المائة .

● عبد الناصر : هذا واضح لنا جيدا . فاذا كنا نطلب منكم ان تكونوا معنا في وقت الحرب ، فيجب ان نكون معكم ايضا في وقت الحرب ووقت السلم . والآن علينا ان نبحث كيفية تنظيم علاقاتنا معكم . نحن مستعدون ان نعقد اتفاقية سرية او علنية . المهم ان الواضح لنا الآن هو عدونا الاساسي : الولايات المتحدة الاميركية ، وان السبيل الوحيد لامكانية استمرار نضالنا هو ان نتحالف مع الاتحاد السوفياتي . امامنا ايام صعبة ، ومن المتعذر ان نتغلب عليها وحدنا . ولذلك فإما ان نسلم الى اميركا زي تايلاند ، فيعطونا مساعدات اقتصادية بشرط ان

نخضع للاستعمار العالمي ، او ان نقاتل ونناضل ، وهنا يتحتم علينا ان نتفق مع الاتحاد السوفياتي . اننا نناضل ضد الاستعمار ونؤيد التحرر الوطني . قبل المعركة كنا نخشى صحافة واذاعات الغرب ان تتهمنا بالتحيز ، ولكن الآن لا يهمنا شيء في هذا الموضوع . نحن على استعداد لتقديم تسهيلات لسفن اسطولكم من بور سعيد الى السلوم ، وبعد ذلك من العريش الى غزة .

● ● بودغورني : سيادة الرئيس ، انا موافق على كل كلمة قلتها . واعتقد اننا معا سنجد الاسلوب المناسب لتنظيم التعاون بيننا . ان المنطق قوي ومفهوم وواضح تماما .

● عبد الناصر : بالنسبة الى الدفاع الجوي ، افضل ان يكون على غرار الدفاع المشترك ، اي مصري ـ سوفياتي ، وبذلك يشترك ضباطنا وجنودنا في الدفاع الجوي مما يكسبهم الخبرة العالمية من كوادركم المشتركة معنا . موضوع آخر ، وهو ان اليهود الآن في سيناء ونحن اليوم نجهز خط دفاعنا على الضفة الغربية للقناة . بعد ذلك اذا لم يخرج اليهود من سيناء بالطرق السلمية فلا بد ان نقاتلهم لاخراجهم منها . ان عملية اخراج اليهود من سيناء هي مسؤوليتنا وليست مسؤوليتكم . اما الدفاع الجوي عن اراضي الجمهورية فهذا ما نطلب مشاركتكم فيه .

هناك احتمال آخر تجب دراسته معا ، وهو ان اسرائيل قد تعبر قناة السويس من اجل مهاجمتنا والتوغل في عمق الجمهورية العربية المتحدة . ان مواجهة مثل هذا الاحتمال تدخل في نطاق مسؤوليات والتزامات الدفاع المشترك بيننا وبينكم . واني اعتقد ان اسرائيل في مثل هذه الحالة ستكون مدفوعة لشن هذا الهجوم من اميركا بعد ان يتأكد الاميركان من موضوع الارتباط بيننا وبينكم ، وبعد ان تدخل سفن الاسطول السوفياتي الموانئ المصرية . عند ذلك سيختل توازنهم .

طبعا عندنا في داخل مصر من سيعارض الاتفاق معكم ، كذلك سنتعرض للهجوم الاعلامي من الغرب . انه وضع طبيعي ، لكنه امر بسيط .

● ● ● زكريا محي الدين : من المهم ان تتم عمليات الاعداد للمشاركة في الدفاع الجوي في اسرع وقت ممكن ، وذلك قبل ان يحس الاميركان بأي شيء ، لانهم حتما سيحاولون العرقلة .

● ● ● ● علي صبري : أرى من المهم ايضا دراسة جميع التوقعات المنتظرة بالنسبة

الى العالم الخارجي ، او بالنسبة الى الموقف الداخلي عندما يعلن عقد الاتفاقية مع السوفيات . لا شك ان ردود الفعل ستكون كبيرة ، وكبيرة جدا .

● ● بودغورني : لمجرد عودتي الى موسكو سأعرض كافة النقاط التي اثيرت من الجميع . بشكل عام وبكل تقدير ، نتوجه اليكم بالشكر بشأن هذا الموضوع .

● عبد الناصر : انا عرضت هذا الموضوع على الرئيس الاتاسي ، رئيس سورية ، فقال انهم ايضا يبحثون هذا الموضوع ، وطلب منا ان لا ننفرد بقرار فيه فأرسلت له امس رسالة بذلك . كما شرحت الموضوع الى بوتفليقة وزير خارجية الجزائر فاستغرب الامر في اول وهلة ، ولكني اعتقد انهم سيضطرون الى السير في هذا الخط بعد ذلك نظرا لموقف ملك المغرب وبورقيبة منهم .

● ● بودغورني : وصلتني صباح اليوم برقية من موسكو تحدد الموافقة على كلامكم بكل ارتياح ، على ان نفكر معا في كافة ردود الفعل الداخلية والخارجية . وبشكل عام ، اعتقد ان موضوع عدم الانحياز ليس مستعجلا بقدر استعجال موضوع الدفاع الجوي . وقد وافق رفاقي في موسكو على ضرورة الاشتراك السوفياتي بأكبر جهد ممكن لتدعيم الدفاع الجوي عن جمهوريتكم بالكامل . ورغم ان مكانة الجمهورية العربية المتحدة معروفة في العالم ولا يشك احد في انها تقبل في يوم من الايام ان تكون تابعة لاي دولة مهما كانت ، الا ان وجود قوات عسكرية اجنبية على ارض دولة ذات سيادة موضوع حساس في الموقف الداخلي . لذلك فان من الانسب ان يكون الدفاع الجوي مصريا على ان تقدم له مساعدات سوفياتية .

● عبد الناصر : بالنسبة الى الموقف السياسي الداخلي ، فمن الطبيعي ان يدور كلام كثير ، خاصة ان البلد اصيب بصدمة كبرى في المعركة ، لكن شعبنا في مصر شعب صلب وقديم سبق ان مرت عليه صدمات تغلب عليها في النهاية . في الوقت نفسه لا تنسَ اننا في مرحلة التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية ، ولهذا التحول اعداء موجودون معنا في الداخل . زملاء لنا كانوا معنا في مجلس الثورة ، ولكنهم خرجوا بعد ذلك ولهم رأي مخالف في الوقت الحاضر . انا شفت واحد منهم منذ ثلاثة ايام (لم يذكر عبد الناصر الاسم خلال الحديث الرسمي) وكان من رأيه ان نتفق مع الاميركان بأي شكل ، وان نترك اليمن للملك فيصل . طبعا هناك في البلد مجموعة تردد هذا الرأي وتلقي اللوم في كل ما حدث علي شخصيا لانني اسأت العلاقة مع الاميركان . في الوقت نفسه هناك اتجاه آخر يطالب بضرورة الاتفاق

الوثيق مع الاتحاد السوفياتي والتعاون الكامل معه . ثم هناك اتجاه ثالث يطالب بالحياد التام بين الاميركان والسوفيات . في رأيي ان كل هذا الكلام امر طبيعي ، لكنه لن يتعدى حدود الكلام لان الشعب المصري ، كما قلت ، شعب اصيل وصلب وله قدرة كبيرة على التحمل والمقاومة . كما اننا نتميز في مصر بوجود وحدة وطنية كاملة ، لذلك فان الوضع الداخلي بوجه عام مضمون ، خاصة وان الاجراءات التي اتخذت منذ ايام لمواجهة التسيب الذي كان موجودا داخل القوات المسلحة ، هي اجراءات حاسمة .

طبعا ، حنسمع ناس في البلد تقول : خرجوا الانكليز من الباب ودخلوا السوفيات من الشباك . كل هذا كلام بكلام ، ولكن عندما يتم فعلا تدعيمنا من جانبكم ويتم التعاون الكامل بيننا وبينكم ، فسيكون لذلك اثر طيب جدا سواء في داخل مصر او في العالم العربي .

● ● بودغورني : سمعت خبرا في الاذاعة ان الصين اعلنت استعدادها لتقديم السلاح لكم .

● عبد الناصر : اتصلت بنا الصين فعلا وابدت استعدادها لتقديم اسلحة خفيفة فقط . كما انهم استنكروا ايقاف القتال . عموما ، فان الاصدقاء الصينيين غير مدركين لطبيعة ارض سيناء ولبعض الاوضاع المحلية . (خلال وجود بودغورني في القاهرة طلب سفير الصين الشعبية في الجمهورية العربية المتحدة مقابلة عبد الناصر فقابله علي صبري حيث تبلغ ان الصين على استعداد لارسال اسلحة خفيفة وقنابل يدوية فقط . وقال السفير الصيني ان دولته لا تستطيع تقديم الطائرات والدبابات على اختلاف انواعها) . لذلك فان رأيهم هو عدم ايقاف القتال والانسحاب الى داخل الدلتا والاشتباك مع القوات الاسرائيلية المهاجمة داخل القرى . ومن رأيهم ايضا ان التركيز على الدفاع عن القاهرة والمدن الكبرى ليس امرا مهما .

● ● بودغورني : الصين تقوم بمهاجمتنا اعلاميا في كل مكان ، مرددة ان الاتحاد السوفياتي خان العرب كما سبق ان خان الفيتناميين . اننا نعرف دعاياتهم وتحركاتهم جيدا . انهم الآن يحاولون ان نفقد سورية ، فهم يدفعونها الى القتال غير المتكافئ بصرف النظر عن النتائج المتوقعة منه .

● عبد الناصر : اعتقد ان الصين متطرفة في مواقفها وهي بذلك تخدم مخططات الاميركان .

● ● بودغورني : المفروض ان ننسى الخلافات المحلية عند مواجهة المحن الكبرى ، ولكنهم يصرون على مواقفهم المتطرفة ضدنا .

● عبد الناصر : زمان كانوا يهاجمون ايضا تيتو مهاجمة قاسية .

● ● بودغورني : انهم يقولون عنه الآن الانتهازي القديم ، وعندهم اصطلاح اخير هو الانتهازي الجديد . واني اعتقد انه عندما تعلنون موضوع عدم الانحياز سيسمونكم الانتهازي الجديد .

● عبد الناصر : معليش . لقد تعودنا على مختلف انواع الشتيمة .

● ● بودغورني : ما هو موقف البترول العربي ؟

● عبد الناصر : ما زالت بعض الدول العربية تسلم بترولها للاميركان بشكل غير مباشر وتعلن عكس ذلك .

● ● ● محمود رياض : ولكن الكويت فعلا اوقفت ضخ البترول الى كل من اميركا وبريطانيا ، وهي تخسر في ذلك حوالى مئة وثمانين مليون جنيه .

● عبد الناصر : العراق ايضا اوقف ضخ بتروله ، وفي ليبيا توقف العمل في شركات البترول نتيجة اضراب العمال الليبيين .

(وهنا انتقل الحديث الى موضوع السلاح حيث قدم الفريق محمد فوزي الى الماريشال زاخاروف لائحة بطلبات الجمهورية العربية المتحدة من السلاح السوفياتي ، وتم الاتفاق على مناقشة هذا الموضوع بين الاختصاصيين العسكريين ، اي بين الماريشال زاخاروف والفريق فوزي) .

● ● بودغورني : احب ان اؤكد اننا لمجرد عودتنا الى موسكو سنقوم بارسال كافة المعدات والاسلحة اللازمة للإستخدام الفوري . اما الاسلحة والمعدات المطلوبة للتخزين فتمكن مناقشتها بواسطة اللجان العسكرية المتخصصة .

(وهنا انتقل عبد الناصر الى موضوع المساعدات الاقتصادية المطلوبة من الاتحاد السوفياتي) .

● عبد الناصر : ان اغلاق قناة السويس حرمنا من تسعة ملايين جنيه عملة صعبة شهريا . تضاف الى ذلك قيمة البترول الذي فقدناه نتيجة احتلال حقول البترول في سيناء . ولمواجهة هذه المصاعب الاقتصادية قمنا بضغط ميزانيتنا الى درجة كبيرة . ورغم ذلك سيبقى عندنا عجز في العملة الصعبة ، ولذلك نطلب مساعدتكم اقتصاديا وخاصة في استيراد القمح والزيوت وبعض الخامات الاخرى . بالطبع فان الاميركان اوقفوا استيراد المنسوجات المصرية التي كانوا يستوردونها منا بالعملة الصعبة منذ فترة طويلة .

● بودغورني : قد يصعب علي الرد فورا على هذه المطالب ، ولكن سنعمل كل جهدنا من اجل تخفيف الاعباء عن وضعكم الاقتصادي .

● عبد الناصر : القمح بوجه خاص ، لاننا نحتاج سنويا لاستيراد مليوني طن ، بالاضافة الى ما تنتجه ارضنا ويبلغ مليون ونصف مليون طن . مع العلم ان استهلاكنا السنوي يبلغ ثلاثة ملايين ونصف مليون طن .

● بودغورني : ارجو ان يثق سيادة الرئيس بأننا سنضع مطالبكم نصب اعيننا . انني والوفد المرافق لي موافقون مبدئيا على كل مطالبكم ، ولكن الموافقة النهائية ستأتيكم بعد عودتنا الى موسكو بفترة قصيرة .

(وبحركة شاهدها الجميع اختلس بودغورني نظرة خاطفة الى ساعة يده) .

● عبد الناصر : يبدو ان اجتماعنا قد استغرق وقتا طويلا . على اي حال ، سنؤجل اجتماعنا الى الغد ، ولكن قبل ذلك احب ان اوضح للرئيس بودغورني اننا جميعا متحمسون لتوثيق الروابط والعلاقات معكم . ان القيادة السياسية في الجمهورية العربية المتحدة على استعداد للانحياز اليكم ضد معسكر الاستعمار ، ولكن بشرط واحد . وعلى العموم لقد طال بنا الوقت فلنؤجل الحديث الى الغد .

* * * *

في اليوم الثاني ، وكان الجمعة الواقع في ٢٣ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، استؤنفت المحادثات الرسمية بين جمال عبد الناصر وبودغورني . حضر عبد الناصر الى قاعة الاجتماعات في قصر القبة قبل موعد الجلسة بربع ساعة . كان بادي الانشراح لاول مرة منذ وقوع الهزيمة في حرب الايام الستة . وقد تجلى انشراحه في الاحاديث القصيرة التي تبادلها معنا والتي تخللتها بعض النكات . وشعرنا

بانشراح كامل . والقليل منا ادرك سر انشراح عبد الناصر هذا . لقد احس عبد الناصر بعد اجتماع الامس بالقادة السوفيات انه لم يعد وحيدا في المعركة ، وان مجرد وجود القيادة السوفياتية في القاهرة قد اعطى الجماهير في مصر ، وفي العالم العربي ، شحنة لا بأس بها من التفاؤل .

في الساعة العاشرة الا خمس دقائق وصل بودغورني الى قاعة الاجتماعات في قصر القبة بصحبة رفاقه اعضاء الوفد السوفياتي . ولاحظنا جميعا ان الرئيس السوفياتي كان مثل عبد الناصر بادي الانشراح والمرح . وقد ألقى نكتتين اثناء جلوسنا حول طاولة المفاوضات ضحك لهما عبد الناصر كما لم يضحك من قبل . وبالطبع شاركه كل من في القاعة الضحك .

في مثل هذا الجو المليء بالتفاؤل والمفعم بالمرح بدأت الجلسة الثانية من المحادثات .

عبد المجيد فريد

* * * *

الجلسة الثانية : ٢٣ يونيو (حزيران) ١٩٦٧

● ● بودغورني : في جلسة الامس دعاني سيادة الرئيس الى ان استهل الكلام . ونزلت عند رغبته بكل سرور . وفي هذه الجلسة ادعوه الى ان يستهل الكلام .

● عبد الناصر : اريد ان ابدأ بموضوع هام . ان ضربة العدو الاخيرة قد اثرت على معنويات القوات المسلحة بدرجة كبيرة ، ولذلك فان الاسراع في تعويض الاسلحة التي فقدناها سيؤثر كثيرا ، وبشكل ايجابي هذه المرة ، على معنويات ضباط الجيش وجنوده . بالنسبة للقوات الجوية ، وصلنا منكم بعد المعركة مباشرة ٢٥ طائرة « ميغ ــ ٢١ » و ٩٣ طائرة « ميغ ــ ١٧ » ، ولو ان بعض هذه الطائرات له ساعات طيران محدودة من خمسين الى مائة ساعة فقط . ولقد علمت اليوم من وفدنا العسكري انه تم الاتفاق معكم على ارسال ٤٠ طائرة « ميغ ــ ٢١ » جديدة . نقطة فنية اود ان ابرزها هنا خاصة بوجود الماريشال زاخاروف . ان طائرات الميغ مداها قصير اذا ما قورنت بطائرات الميراج والميستير والفيتور التي تملكها اسرائيل ، والتي يمكنها ان تصل من قواعدها حتى مرسى مطروح (كان ذلك قبل تزويد اميركا لاسرائيل بطائرات الفانتوم المتطورة) . هذا يعني ان الطائرات الاسرائيلية

يمكنها ان تصل الى عمق مصر بينما لا تستطيع طائراتنا الوصول الى عمق اسرائيل . ولهذا فنحن في حاجة الى نوع جديد من الطائرات القاذفات المقاتلة البعيدة المدى ، والا ستبقى اسرائيل متفوقة وقادرة على ضربنا بينما نحن لا نستطيع الرد .

موضوع آخر بالنسبة للقوات الجوية ، هو ان ترسلوا لنا وبأسرع ما يمكن وبطريق الجو وليس بحرا عددا من طائرات « الميغ ـ ٢١ » المطلوبة كي تشترك فورا في الدفاع الجوي عن الجمهورية . ولا أكتم سرا اذا قلت ان عندنا الآن طيارين بدون طائرات .

كذلك يوجد نقص في بعض اسلحة فرق المشاة ، ومن الضروري وصول معداتها واسلحتها بأسرع ما يمكن . واود ان اذكركم ببرقيتكم وبرقية الرئيس كوسيغين التي ارسلت الي يوم ١٠ يونيو بعد اعلان تنحيتي ، والتي اكدتم فيها ان الاتحاد السوفياتي سيسرع في تسليح قواتنا . والآن لا اخفي عليكم توقعي ان تقوم اسرائيل ، بعد الانتهاء من اجتماعات الجمعية العامة للامم المتحدة ، بالهجوم علينا مرة اخرى . والسؤال الذي اريد ان اطرحه الآن هو : ما هي المساعدات التي يمكن ان تقدموها لنا في مثل هذه الحالة ، وكي لا تسقط البلد في يد اسرائيل ؟

لقد علمت من الفريق فوزي ان حديثه صباح اليوم معكم لم يتضمن موضوع مشاركتكم في عملية الدفاع الجوي ، وانتم تسافرون الى موسكو غدا ؟

● ● بودغورني : ليست لدي الآن معلومات كاملة عن تفاصيل الاتفاق الذي تم بين الفريق فوزي والماريشال زاخاروف (الناشر : عقد اجتماع ضم الوفد العسكري السوفياتي والوفد العسكري المصري بمعزل عن اجتماع القادة) . ولكن اود ان اسجل نقطة هامة ، وهي اننا في الاتحاد السوفياتي ما زلنا عند وعدنا لك بشأن اعادة تسليح القوات المصرية . ورغم بعد المسافة بيننا فاننا سنسارع بارسال المساعدات العسكرية اللازمة بحرا وجوا وبأية وسيلة ممكنة . اما بشأن نوع الطائرات فأعتقد ان العسكريين سيحددون الانواع المناسبة بحيث تتمكن قواتكم المسلحة من رد اي عدوان جديد عليها ، بل وتكون قادرة ايضا على القيام بهجوم مضاد .

ولكن لي نقطة اريد ايضاحها وقد وردت في حديثكم : هل تطلبون المزيد من الطائرات بهدف القضاء نهائيا على اسرائيل ؟

● عبد الناصر : فلنسأل أنفسنا ، ما هو الدفاع وما هو الهجوم ؟ وما هي اسلحة الدفاع ، وما هي اسلحة الهجوم ؟ عندما تبدأ الحرب ليس هناك ما يسمى بأسلحة للهجوم واسلحة للدفاع . المهم بالنسبة الينا عندما نطلب الطائرات ونضع مواصفاتها ، ان نكون قادرين على ضرب جميع مطارات اسرائيل عند بدء العمليات الحربية . وكما قلت لكم فان اسرائيل قادرة على ضرب مطاراتنا حتى مرسى مطروح .

● ● بودغورني : قطعا انا معك . عندما تبدأ الحرب ليس هناك فرق بين الدفاع وبين الهجوم ، ولذلك علينا ان نبذل معا كل الجهود كي تتمكن القوات المسلحة العربية من تأدية العمل العسكري المطلوب منها . اما بالنسبة الى وجود طيارين اكثر من الطائرات فهذا دائما افضل . وفي الاتحاد السوفياتي لدينا من ٢ الى ٣ طيارين لكل طائرة . بصورة عامة ، سنلبي طلباتكم الاضافية .

● عبد الناصر : ما جعلني اركز على بعض الموضوعات هو ان الايام التي تمر فيها الآن ايام صعبة ، وان جلسة اليوم هي آخر جلسة قبل سفركم غدا . وقد يمر وقت طويل قبل ان نجتمع مرة اخرى على مستوى هذا اللقاء المشترك السياسي والعسكري . وتلخيصا لما دار من حوار معكم ، فقد برز موضوعان اساسيان هما : الاول اعادة بناء القوات المسلحة بحيث تكون قادرة على القيام بالمهام المطلوبة منها . والامر الثاني تدعيم دفاعنا الجوي بحيث يجري تحسينه وتقويته ، كل يوم ، فيصبح اقوى من اليوم الذي سبقه . ويجب ان لا ننسَ ان اسرائيل ما زالت لديها السيطرة الجوية وتصلها بصورة مستمرة طائرات جديدة وطيارون يهود متطوعون ، لذلك ما زالوا متفوقين علينا ، ولا بد لنا ان نبذل اقصى الجهد كي نكون على استعداد لمواجهة اي عدوان اسرائيلي جديد . ان وضعنا يختلف عن وضعكم في الاتحاد السوفياتي ، فليس لدينا العمق او الاحتياط المتوفر عندكم . نحن نعيش فوق خمسة في المائة فقط من اراضينا . اما عن النقص في الطيارين عندنا فهو امر حيوي . وقد حدث في عمليات ١٩٥٦ ان الطيار عندنا كان ينزل من الطائرة ليقود طائرة اخرى . اننا ندرك ان موضوع تخريج واعداد الطيارين المقاتلين صعب ويحتاج الى وقت ، ولذلك طلبنا منكم الآن طائرات ، وطلبنا ايضا طيارين .

اما سياسة اميركا معنا ، فان كلام اميركا لا يطمئنني ابدا . فهي تعمل دائما

على خداعنا وتنويهنا . من جانبنا ، وحتى الآن ، لم نعلن موقفنا السياسي ، لكن الاميركان يعرفون جيدا ماذا سنقول ، والى اين ستتجه وماذا سنعمل . امس قابل مندوب لهم في الامم المتحدة مندوبنا هناك حيث قال له : « انتم تصححون الآن غلطكم بغلطة اخرى » . عموما نحن لا نصدق كلامهم او وعودهم عن انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة . بل على العكس ، وفي تقديري انه من المحتمل ان تستأنف اسرائيل هجومها علينا بعد ٢٧ يونيو الحالي ، وذلك لسبب بسيط هو ان الاميركيين والاسرائيليين لم يحققوا هدفهم حتى الآن . لم يتم الصلح مع العرب ، ولم يحدث الاستقرار المطلوب لاسرائيل . انهم يعلمون ان قوة الطوارئ الدولية لا تستطيع ان تمنع العرب من التحرك بعد ان يفيقوا من الصدمة التي اصيبوا بها . في اعتقادي ان المعركة جاءت بنتائج عكسية بحيث دفعت مصر وسورية الى مزيد من الانحياز الى الاتحاد السوفياتي واكثر فأكثر . لذلك فان امام اميركا الآن حلين : اما ان تهاجمنا مباشرة تحت اي مبرر ، او ان تدعم اسرائيل وتدفعها للقيام بهجوم جديد علينا . ولهذا عليكم ان تسارعوا فورا بدعم دفاعاتنا وتقويتها يوما بعد يوم ، وتلبية مطالبنا من طائرات « الميغ ـ ٢١ » . كما يجب ان يتوفر لدينا نوع جديد من الطائرات ذات المدى البعيد ، وهي التي تنقصنا حاليا .

سؤال اخير : كيف ستساعدوننا لو وقع في الايام الحالية عدوان اسرائيلي جديد علينا ؟ يجب الاخذ في الاعتبار انه لا مجال لنا للانسحاب من مواقعنا الحالية ، وسنبقى فيها حتى الموت . انتم انسحبتم الى نهر الفولغا . بالنسبة الينا ، لا يوجد فولغا ، بل يوجد خلفنا مائة كيلومتر فقط للوصول الى قلب القاهرة .

● ● بودغورني : طبعا انا معكم لا اوافق على اي انسحاب ، ولكني لا اتوقع اي عدوان قريب عليكم من اسرائيل .

اود ان اسأل عن موقف المخابرات المصرية في سيناء ؟ ان اسرائيل لديها المعلومات الكاملة عن مصر ، فهل لدى المخابرات المصرية معلومات عن اسرائيل ؟

● عبد الناصر : اسرائيل لديها المعلومات الكاملة عن مصر نقلا عن الاميركيين والفرنسيين والايطاليين الموجودين في بلدنا . ان بلدنا سياحي ، ونعتبر السياحة موردا اقتصاديا هاما يوفر لنا حوالى مائة مليون دولار سنويا من العملة الصعبة . في المقابل ، فان اسرائيل تعتبر من ناحية الامن والمعلومات بلدا مقفلا ، بالاضافة

الى ان لسان اليهود دائما ممسوك ولسان العرب دائما سائب . لهذا فالمعلومات المتوفرة لديهم عنا اكثر من المعلومات الموجودة لدينا عنهم .

●● بودغورني : ولكن من الممكن اتخاذ بعض الاجراءات التي تساعد على سرية المعلومات . فمثلا ، اننا نمنع الاقتراب من مناطق الحدود الا للمختصين فقط ، بينما نرى منطقة القناة عندكم ، وهي منطقة حدود وعمليات ، ما زالت مفتوحة بوجه الجميع .

● عبد الناصر : السبب ان بلدنا صغير ، ولكن عموما فقد اغلقنا منطقة القناة ابتداء من امس ، ويمنع الدخول اليها الا بتصاريح . كما منعنا دخول الاجانب اليها بشكل كامل . ان اسرائيل كانت تقوم بعمليات الاستطلاع الجوي فوق الجمهورية يوميا . وابتداء من امس اعددنا مظلة جوية واقية فوق اراضينا .

●● بودغورني : طبعا من الصعب اخفاء كل شيء ، ولكن من الممكن العمل بطريقة سرية حتى لا يشعر العدو انكم تعدون له انتقاما عاجلا . فلتحاولوا العمل في صمت الى ان يتم الاستعداد الكامل . كما يجب الانتباه الى الصحفيين لانهم كثيرا ما يفسدون السرية من اجل التسابق على نشر الاخبار .

●●● زاخاروف : عن الاعداد العسكري ستصلكم خلال يومين او ثلاثة اربعون طائرة « ميغ ــ ٢١ » مع عمال التركيب والتجهيز ، وذلك بالاضافة الى ست طائرات « ميغ ــ ٢١ » من النوع المجهز للتدريب ، كما توجد ٣٨ طائرة سوخوي . عموما ، سيصبح لديكم في وقت قريب جدا عدد من الطائرات المقاتلة اكثر مما كان موجودا لديكم قبل العدوان . اما بالنسبة الى المدرعات فستصلكم قريبا مائة دبابة . ونحن على استعداد لارسال المزيد من المدرعات كلما توفرت اطقم الدبابات عندكم . لكننا لن نرسل دبابات لتحفظ في المخازن . لي ملاحظة هامة ، وهي ضرورة التدريب الشاق حيث اني اعتقد انه لم يتم تدريب جيد لقواتكم حتى الآن .

● عبد الناصر : نحن في حاجة الى خبراء في التنظيم والتدريب نظرا لان قواتنا المسلحة لم تقم في الفترة السابقة بتدريبات الحرب او بمناورات حقيقية . وللأسف ، فقد كانت الثقة الممنوحة للقيادة العسكرية أكثر من الواقع . اننا نحتاج الى اعداد كبيرة من الخبراء العسكريين ، على ان يكون كبيرهم على اتصال مباشر بي من

اجل التغلب على اية صعوبات وحلها فورا . كما ارجو ان لا تكون مرتباتهم على حسابنا .

● ● بودغورني : اوافق على رأيكم ، اذ لا فائدة من اعادة التسليح بدون التنظيم الدقيق والتدريب الكافي ، وسنرسل لكم فنيين على مستوى عال وسيعملون بكل جهد واخلاص . لقد بحثنا الموضوع تفصيلا في موسكو وقررنا ارسال نحو من الف الى الف ومئتي خبير من مستوى القيادة العامة الى كافة المستويات . عموما سيتحدد عددهم حسب احتياجاتكم ، ولو ان موضوع الخبراء قد يثير دائما بعض الحساسيات في مثل هذه الحالات ، ولكن حكمة الجانبين وحسن التفاهم والنوايا الحسنة يمكنها ان تتغلب على تلك الحساسية .

موضوع آخر اود ان ارجوه منكم ، وهو منع الصينيين من ممارسة الدعاية المضادة لنا في الجمهورية العربية المتحدة ، لانهم يحاولون ذلك في كل مكان مرددين اننا متآمرون مع القوى الامبريالية ومع اميركا واسرائيل .

● عبد الناصر : ان مصر تختلف عن باقي الدول العربية . هنا امة وشعب واحد ، بعكس ما هو موجود في كثير من الدول العربية حيث توجد مذاهب وقبائل عديدة . عموما ، فان الشعب المصري غير متأثر اطلاقا بدعاية الصين ، بل على العكس فان الصين دائما تحتج على نشر بعض الاخبار عن الحرس الاحمر في صحفنا . ان الدعاية التي تؤثر هنا في مصر ليست دعاية الصين ، ولكن دعاية الغرب ، خاصة بين الطبقة البورجوازية في مصر .

● ● بودغورني : بالنسبة الى طلباتكم من الاسلحة والعتاد فسنسرع بارسال المطلوب منها ، وتأكد اننا في موسكو متأثرون مثلكم تماما بالنسبة الى هذه الازمة . ان القلق الموجود لديكم هو نفسه موجود لدينا . كما اننا لن نثير معكم ناحية الاقامة والتكاليف المالية .

قواتكم المسلحة غير قادرة في الوقت الحاضر على القيام بعمل ما ، لذلك لا بد لنا من فترة هدوء نعمل فيها بصمت . سألتني ماذا نعمل لو حدث عدوان اسرائيلي جديد ؟ اولا ، اعتقد ان قواتكم المسلحة لم تستعد حتى الآن بالقدر الكافي لمواجهة مثل هذا العدوان . ثانيا ، اعتقد انه من غير المرغوب او المطروح ان يشترك الاتحاد السوفياتي في حرب بالوقت الحاضر . لذلك فالمهم الآن هو ان ندعم

قدراتكم بأسرع ما يمكن كي تستعدوا لمواجهة المفاجآت . ان العدو قريب منكم : انه على مسافة لا تزيد عن مائة ميل ، وانت قلق لا تنام . ونحن مثلك تماما رغم بعد المسافة بيننا وبينكم .

● عبد الناصر : بالنسبة الى الاتفاق السياسي بيننا ، فان هناك عدة مقترحات ولكل مقترح مزاياه وعيوبه . والذي لا شك فيه اننا في قرارة انفسنا نسير جنبا الى جنب مع الاتحاد السوفياتي ، وهنالك تحالف تام بيننا . لقد تم تعويضنا بالاسلحة والمعدات التي فقدت في الحرب بالمجان . اننا نوافق على شكل الارتباط الذي ترونه ، بشرط واحد وهو اختيار الشكل المناسب الذي لا يؤثر على سمعتنا او على مركزنا القيادي في العالم الثالث .

● ● بودغورني : طبعا هذا شرط اساسي ، وارجو ان تتأكد تماما اننا حريصون جدا على ان يبقى المركز النضالي للجمهورية العربية المتحدة داخل هذا الجزء من العالم دون تأثير .

● ● ● زكريا محي الدين (طلب منه عبد الناصر ان يعرض الموقف الاقتصادي والمتطلبات الاساسية) :

لا شك ان المعركة الاقتصادية تسير جنبا الى جنب مع المعركة العسكرية . ومن مراجعة الامكانيات الاقتصادية لجمهوريتنا ، بالمقارنة مع عدد السكان والتزاماتنا الدفاعية والخارجية ، يتبين ان هذه الامكانيات محدودة الى حد كبير . من هنا فان اي ظرف طارئ يؤثر دائما على اقتصادنا تأثيرا كبيرا . ان اقتصادنا يعتمد اساسا على عنصرين هامين هما : الزراعة ودخل قناة السويس . بعد ذلك يأتي قطاعا الصناعة والسياحة . وفي ارقام بسيطة يمكن توضيح موقفنا الاقتصادي وما كان يعتمد عليه .

كان قطاع الزراعة يحقق لنا في التصدير حوالى ١٧٠ مليون جنيه من العملة الصعبة . ومن قطاع قناة السويس نحصل على حوالى مئة مليون جنيه . ومن الصناعة والبترول نوفر حوالى مئة مليون جنيه . علما بأن الصناعة دائما تتأثر بمدى توفر الخامات والمواد الوسيطة التي نستوردها من الخارج . ثم من قطاع السياحة وموارد اخرى ، كنا نحصل على اربعين مليون جنيه من العملة الصعبة . اي ان مجموع مواردنا كانت حوالى ٤١٠ ملايين جنيه . وتقييما للظروف الجديدة بعد

المعركة وقفل قناة السويس ، ستهبط هذه الموارد الى ٢٩٠ مليون جنيه فقط . اي ان العجز المترتب على ذلك يبلغ حوالى ١٢٠ مليون جنيه ، وسأقدم للمسؤول الاقتصادي في الوفد السوفياتي بيانا بالمواد الاساسية المطلوبة من قمح ودقيق وذرة وسكر وزيوت وشحوم ، بالاضافة الى بعض مستلزمات الصناعة .

● ● بودغورني : نحن نعرف من خبرتنا انه بعد الحرب تزداد الاحتياجات الاقتصادية . وقد سجلنا جميع طلباتكم وسنبحثها تفصيلا في موسكو ثم نرسل لكم كل ما يمكن تقديمه . بالاضافة الى ذلك فانه من المقرر ان يجتمع ممثلو الدول الاشتراكية في الايام المقبلة لتنسيق خططهم ، وسنبحث ايضا في هذا الاجتماع كيفية تلبية وتنسيق المساعدات المطلوبة لكم ولسورية .

● عبد الناصر : ختاما للقاء معكم ، اود ان اسجل شكرنا ، قيادة وشعبا ، لوقوف الاتحاد السوفياتي الى جانبنا . ان شعب الجمهورية العربية المتحدة اصيل ، ولن ينسى ابدا الاصدقاء الذين وقفوا معه في الايام الصعبة .

● ● بودغورني : باسم القيادة السوفياتية اتقدم لكم ولشعبكم بالشكر والتقدير لاستقبالكم الحار سواء الرسمي او الشعبي . اننا نعتقد ان الزيارة كانت ناجحة ومفيدة للغاية ، كما نشعر بارتياح كبير لتدعيم وتعزيز العلاقة بين بلدينا . اننا واثقون ان جميع آثار العدوان سيمكن القضاء عليها ، ولن يبقى الاسرائيليون على ارضكم . ولكن يجب ان لا نحدد منذ الآن موعدا للمعركة المقبلة ، بعد شهرين او بعد ستة شهور . المهم ان نحكم العقل عند أخذ هذا القرار حتى لا نعطي الفرصة لاستفزاز العدو قبل ان نكون مستعدين لمواجهته .

سيادة الرئيس ، سنستمر في التشاور بيننا طالما ربطنا مصيرنا ببعض ، وبالتالي سنحل معا كافة المشاكل مهما كان حجمها .

لي سؤال اخير ، الا يرى الرئيس انه من الافضل ان نمر على تيتو في طريق عودتنا لنوضح له تفاصيل الموقف السياسي والعسكري ، ولو اننا نخشى انه سيغضب عندما نذكر له موضوع الانحياز وعدم الانحياز ؟ كما اني سأقوم بعرض الموقف العام والموضوعات الهامة التي اثيرت هنا خلال الاجتماع المقبل لرؤساء الدول الاشتراكية .

● عبد الناصر : اعتقد انه من الافضل مروركم على الرئيس تيتو وابلاغه ملخص ما دار في الاجتماعات . والآن ما رأيكم في ما يصدر عن اجتماعاتنا ؟ هل نصدر بيانا مختصرا ام بيانا مشتركا طويلا ؟

●● بودغورني : اقترح عدم اصدار بيان مشترك طويل على ان نكتفي ببيان صحفي مختصر . مع العلم ان هذا البيان الصحفي المختصر سيسبب الكثير من التكهنات والتساؤلات في العالم .

● عبد الناصر : اوافق على اصدار بيان صحفي مختصر ، على ان يعلن في كل من القاهرة وموسكو في الساعة السادسة مساء بتوقيت القاهرة يوم غد السبت في ٢٤ يونيو ١٩٦٧ .

البيان الصحفي

وفي ما يلي الترجمة الحرفية للبيان الصحفي وقد وضع نصه باللغة الانكليزية :

« بيان صحفي حول زيارة بودغورني للجمهورية العربية المتحدة من ٢١ الى ٢٤ يونيو ١٩٦٧ .

قام رئيس مجلس السوفيات الاعلى لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ن . ف . بودغورني بزيارة ودية للجمهورية العربية المتحدة بناء على دعوة من رئيس الجمهورية العربية المتحدة جمال عبد الناصر .

وقد استقبل الرئيس بودغورني والوفد المرافق له بحفاوة بالغة ، مما يثبت الشعور الودي الذي يكنه شعب الجمهورية العربية المتحدة لشعب الاتحاد السوفياتي . وقد عبر بودغورني عن امتنانه العميق للاستقبال الحار . وعقد رئيس مجلس السوفيات الاعلى ن . ف . بودغورني ورئيس الجمهورية العربية المتحدة جمال عبد الناصر اجتماعات ومحادثات في جو من التفاهم الاخوي المشترك والصداقة التقليدية التي تربط البلدين . وفي خلال هذه المحادثات طرحت مواضيع تتعلق بالوضع في الشرق الاوسط ، خاصة في ما يتعلق بالعدوان الاسرائيلي على الجمهورية العربية المتحدة والدول العربية الاخرى ، وكذلك الخطوات التي يجب ان تتخذ لتصفية آثار هذا العدوان .

وكذلك شملت المحادثات الامور المتعلقة بتطوير علاقات الصداقة والتعاون

الاخوي بين الاتحاد السوفياتي والجمهورية العربية المتحدة . وتبادل الطرفان وجهات النظر حول العديد من المسائل الدولية الهامة التي تهم البلدين .

ولوحظ برضى عميق ان زيارة رئيس مجلس السوفيات الاعلى الى الجمهورية العربية المتحدة ستخدم تقوية وتطوير العلاقات الودية وعلاقات الصداقة والتعاون الشامل بين الدولتين ، وذلك لما فيه مصلحة شعبي الاتحاد السوفياتي والجمهورية العربية المتحدة والسلم والامن لجميع الشعوب في العالم » .

الفصل الثاني

المؤتمر العربي لقمة الصمود في القاهرة ـ يوليو (تموز) ١٩٦٧

- المؤتمر يوفد الرئيسين الجزائري والعراقي لاجتماع عاجل مع القيادة السوفياتية .

- وجهتا النظر السوفياتية والعربية في الموقف والحل .

١ ـ اجتماع الرئيسين الجزائري والعراقي مع القيادة السوفياتية في موسكو.
بريجنيف ، كوسيغين ، بناماريوف ، غريشكو .
ملخص المحضر .

● التحليل السوفياتي للموقف الاميركي والاسرائيلي والعربي بعد الحرب ـ الاستعداد الحربي على الجانبين العربي والاسرائيلي : مقارنة نقدية ـ الحلول في ضوء الواقع العسكري والسياسي ـ انهاء حالة الحرب وحرية المرور في القناة مقابل انسحاب اسرائيل والحفاظ على الانظمة العربية التقدمية ـ احصائيات غريشكو العسكرية ـ الحل السياسي لكسب الوقت والاستعداد ومواصلة الدعم ـ خطوة الى الوراء خطوتان الى الامام ـ التضحية المقبولة والتضحية غير المقبولة ـ قضية فلسطين مسألة منفصلة .

● التحليل العربي للموقف ـ حل واحد ـ انهاء حالة الحرب طريق الاعتراف باسرائيل فالصلح ـ هدف اميركا انهاء القضية الفلسطينية لصالح اسرائيل ـ الانسحاب الاسرائيلي مع بقاء الانظمة العربية التقدمية .. معادلة مستحيلة ـ خطوة للعرب عشر خطوات لاسرائيل ـ القضية الفلسطينية جوهر الصراع .

بريجنيف : عندما تصبحوا اقوياء افعلوا ما تشاؤون .
بومدين : اي سياسة تؤدي للاعتراف باسرائيل غير مقبولة .
طريقان : الرضوخ لشروط اعدائنا او النضال مهما طال الزمن .

الضربة التي وجهتها اسرائيل والقوى المعادية للعرب ، الى مصر وعبد الناصر لم تكن قاسية فحسب ، بل كانت مذهلة في ضراوتها . وزاد من تأثيرها على الرأي العام في داخل العالم العربي وفي خارجه ان المسرح الذي اعد لها كان غارقا في بحر من الاضواء اعمى البصيرة عن الرؤية الواضحة . لقد اشترك اكثر من مخرج حاذق في تنسيق الحوادث وترتيبها بحيث تأتي النتائج معاكسة تماما للمقدمات . لقد استدرج عبد الناصر الى القتال دون ان يكون مستعدا له . وحتى عدم الاستعداد والخلل الذي اصاب القيادة العسكرية المصرية ، وحتى سقوط الجولان ، لم يكونا ليؤديا الى النتيجة التي وصلنا اليها لو كان هناك نوع من التبصر .

خلال الساعات الاولى للهزيمة ، وبعد الهزيمة ، سمعت في قصر القبة في القاهرة من يقول بألم : لو وقف الاسرائيليون الى جانب والعرب الى جانب آخر ، وتبادلوا اطلاق النار ، فمن المحتم ان النتائج ستتغير ، ليس بتحويل الهزيمة الى نصر ، ولكن كان يمكن ان تكون هزيمة مشرفة ، وكان يمكن ان يكون النصر الاسرائيلي بثمن .

كانت الايحاءات التي بثها المخرجون على مسرح الاحداث ان العرب سيكونون على ابواب تل ابيب بعد ساعات من اطلاق نفير الحرب . وزاد في هذه الايحاءات المؤتمر الصحفي العالمي الذي عقده عبد الناصر قبيل الحرب ، والذي قال فيه ان الحرب اذا وقعت فعلى اسرائيل وحدها ان تتحمل نتائجها ، وأن الولايات المتحدة اذا اشتركت في القتال ، فان الرد سيكون اعنف مما تتصور واشنطن . غير ان الامور تبدلت عند اطلاق اول رصاصة . الاضواء التي اعمت البصائر تلاشت ، وظهرت الحقائق المرة .

وبقدر ما كانت الضربة عنيفة ، كانت كافية لهز العرب حتى الاعماق . وسرعان ما ادرك الجميع ، حتى الذين اختلفوا مع عبد الناصر ، ان الهزيمة ليست هزيمة عبد الناصر وحده ، لكنها هزيمتهم جميعا . لذلك اتجهوا نحو القاهرة يسألون ويتساءلون : كيف حدث ذلك ؟ وما العمل ؟ والى اين المسير ؟ مرة اخرى

ثبتت النظرية التي تقول : ان المصائب هي التي تجمع شمل العرب وان المسرات تفرق بينهم . ووضع عبد الناصر يده على قلبه الجريح واستقبل الجميع بابتسامة باكية وشرح كل الحقائق :

● لقد فقدت القوات المصرية معظم اسلحتها ومعداتها في المعركة .

● لقد شلت الضربة الاولى القوة الجوية المصرية واخرجتها من المعركة نهائيا . كان ذلك مساء يوم ٥ يونيو (حزيران) اول ايام الهزيمة .

والتقى في القاهرة ، وفي مثل هذا الجو الرؤساء : نور الدين الاتاسي (سورية) عبد الرحمن عارف (العراق) هواري بومدين (الجزائر) اسماعيل الازهري ثم احمد محمد محجوب (السودان) . واعتبر هذا اللقاء بمثابة قمة مصغرة للدول الصامدة . وفي الاجتماع المختصر الاول شرح عبد الناصر الموقف العسكري والسياسي الداخلي مشيرا الى محادثاته مع الرئيس بودغورني الذي زار القاهرة ، والى استعداد السوفيات لاعادة بناء القوات المسلحة . واقترح عبد الناصر على الدول العربية التي تربطها بالاتحاد السوفياتي علاقات جيدة ، ان تمارس الضغط على موسكو من اجل الاسراع في تلبية مطالب مصر العسكرية . وتطوع الرئيسان هواري بومدين وعبد الرحمن عارف للسفر فورا الى موسكو والتحدث الى الزعماء السوفيات نيابة عن الرؤساء العرب المجتمعين في القاهرة . واتفق الجميع على البقاء في العاصمة المصرية الى حين عودة عبد الرحمن عارف وهواري بومدين من موسكو لاتخاذ القرارات المناسبة في ضوء نتيجة المحادثات مع زعماء الكرملين .

احيطت رحلة الرئيسين بالسرية التامة . والطائرة التي اقلتهما من القاهرة الى احدى القواعد العسكرية القريبة من موسكو ، كانت سوفياتية الصنع . ولقد نزل الرئيسان من الطائرة وتوجها مباشرة الى قاعة الاجتماعات . كان في استقبالهما في القاعدة العسكرية السوفياتية كل من بريجنيف ، كوسيغين ، بناماريوف عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ، الماريشال غريشكو وزير الدفاع ، بالاضافة الى النائب الاول لوزير الخارجية ومدير دائرة الشرق الاوسط في وزارة الخارجية .

بدأ الاجتماع الاول في الساعة الثامنة مساء يوم ١٧ يوليو (تموز) ١٩٦٧ ، واستمر لمدة خمس ساعات متوالية . ثم استؤنف في الساعة العاشرة من صباح

يوم الثلاثاء التالي واستمر حتى الثانية بعد الظهر . تناول الجميع غداء خفيفا ثم طار بومدين وعارف على الطائرة نفسها التي اقلتهما متوجهين الى القاهرة .

ويجدر بي هنا ان اذكر انني لم اكن ضمن اعضاء الوفد العراقي ـ الجزائري الذي سافر الى موسكو في المهمة السرية . غير انني حصلت على النسخة الاصلية لاوراق الاجتماع من احد الوزراء العرب الذين اشتركوا في الوفد وحضروا المحادثات . وهذه هي المرة الاولى التي يجد فيها محضر هذا الاجتماع التاريخي طريقه الى النشر العلني . كان الحوار بين الرئيسين العربيين وبين الزعماء السوفيات ساخنا حيث ارتفع في بعض فترات المباحثات الى درجة الغليان .

عبد المجيد فريد

* * * *

الجلسة الاولى : ١٩٦٧/٧/١٧ ـ الساعة الثامنة مساء

(رحب بريجنيف بالرئيسين العربيين وصحبهما في كلمات تقليدية مقتضبة ، ثم دخل فورا في الموضوع) .

● بريجنيف : نأمل ايها السادة ان تكون المباحثات مفيدة للطرفين . اننا مستعدون لسماعكم فورا ، خاصة في مثل هذه الظروف الدقيقة .

● ● عبد الرحمن عارف : اننا نحمل اليكم ايها الرفاق تحيات رؤساء الدول العربية المجتمعين الآن في القاهرة ، كما نحمل تحيات الشعوب العربية الحرة المناضلة الى الشعب السوفياتي وشعوب الدول الاشتراكية . ان الشعوب العربية والرؤساء العرب يشكرون الاتحاد السوفياتي على ما قام به من اعمال اخوية . انهم يقدرون الجهود الطيبة حق التقدير ، وخاصة في هذه الظروف العصيبة التي تمر على الدول العربية التقدمية . نقدم شكرنا ايضا الى الذين اجتمعوا في بودابست (مجموعة الكتلة الشرقية) والنتائج التي خرجوا بها . وهذا دليل آخر على قوة الصداقة بما يشد من ازر الشعوب العربية ويجعلها تشعر ان هناك شعوبا صديقة تقف معها في النضال ضد الامبريالية . اننا على علم بأن الاستعمار والدول التي تسير في ركابه تحاول ان تبرز ان جميع المشاريع والمحاولات التي يبذلها الاتحاد السوفياتي ازاء القضية لن تنجح . اننا ندرك انهم يرغبون من وراء ذلك في احداث برود بين الاتحاد السوفياتي والدول العربية .

ايها السادة ، لقد قرر الرؤساء العرب المجتمعون في القاهرة ارسال وفد مؤلف من الاخ بومدين ومني لنقل الحقائق اليكم ، ولتكونوا على علم بأن الصداقة بيننا لن تنفصم . كما ارجو ان تكونوا على علم بأن الدول العربية اصبحت مشدودة الى بعضها اكثر من السابق . لقد صدر في القاهرة ليلة امس اقتراح بدعوة وزراء خارجية الدول العربية للاجتماع كتمهيد لمؤتمر قمة عربي كبير . ونرجو ان يكون استمرار العمل على اشده في هيئة الامم لايجاد الحلول التي تلائم العرب دون الالتفات الى ما يبيته الاستعمار وعملاؤه . ان الحلول الديبلوماسية طبعا تكسبنا الوقت من اجل التهيؤ لاسترداد حقنا . والمؤمل من اصدقائنا في الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية ان يزيدوا في تسليح الدول العربية بالاسلحة والمعدات الحديثة ، وكذلك بما نحتاجه من مواد اقتصادية .

● بريجنيف : لدي سؤال للرفيقين عارف وبومدين . ما هو الموقف الواقعي للدول العربية في انهاء المشكلة الحالية ؟ دعونا نرى الاشياء كما هي . العدو على بعد مائة كيلو متر من القاهرة ، وهو قريب من دمشق ، ويحتل المرتفعات المسيطرة عليها ، وسير الاحداث دل على ان هذا المعتدي كان يعد نفسه لهذا العدوان منذ مدة بعيدة وبصورة جدية . مثلا ، عدد سكان اسرائيل يبلغ حوالى ٢,٥ مليون نسمة ، ولكن عدد جيشها يبلغ حوالى ٣٥٠ ألف جندي . اي ان ١٥ بالمائة من سكان اسرائيل يحملون السلاح . لندرس الآن توازن القوى . كانوا في التكتيك العسكري متفوقين ، كذلك في الطيران واستخدام الدبابات والمشاة المحمولة ، كذلك في التعاون بين القطاعات المختلفة . هذا بالاضافة الى انهم هيأوا انفسهم في الخلف ايضا للمعركة بينما لم يحدث ذلك في الجانب العربي . ولنأخذ مثلا الجمهورية العربية المتحدة . سكانها ٣٠ مليونا ، ولكن حاملي السلاح كانوا واحدا بالمائة فقط . الوضع نفسه كان في سورية . هل يجوز ان تقوم دول بالحرب وهي في مثل هذه الحالة ؟ لقد زار بعض قادتنا العسكريين بلادكم ودرسوا على الطبيعة كل شيء ، ومن الممكن ان يقول لكم وزير دفاعنا غريشكو كل التفاصيل . نحن نقول هذا لا لنؤلمكم ولا لنحمل احدا المسؤولية ، ولكن من اجل ان يؤخذ ذلك في عين الاعتبار ، علما بأن اغلب المعلومات العسكرية التي نقولها ، قالها من قبل القادة العسكريون في الجمهورية العربية المتحدة وفي سورية .

من المهم جدا ان نعرف لماذا حدث العدوان ، ومن هيأ له ، وما هي الاهداف

من ورائه ؟ نحن في البلدان الاشتراكية اجتمعنا مرتين خلال هذه الفترة القصيرة ، وهذا ليس سهلا ، لاننا لا نجتمع ، حتى لقضايانا ، بهذه السرعة . في هذين الاجتماعين نظرنا الى القضية ليس بصورة عامة بل بجميع تفاصيلها ، كما ناقشنا جميع الخطوات التي يمكن ان تتخذها اسرائيل . لم يكن الغرض من هذين الاجتماعين الدعاية ، بل من اجل دراسة جدية . نحن نتفق معكم بأن الاستعمار الاميركي والالماني والانكليزي هو الذي دفع اسرائيل الى ارتكاب هذا العدوان ، ولا يحتاج ذلك الى دليل . لقد عرفه العالم كله في مناقشات الجمعية العامة للامم المتحدة . ولكن اين هي جذور هذه القضية ؟ اسرائيل كدولة ليس لها وزن بالنسبة للدول الاخرى ، لان ليس لديها المقومات الاقتصادية ، اذ انها تعيش على المساعدات التي تأتيها من الجانب الآخر ، واذا قطعت عنها اميركا القروض والاعانات فستموت وتنتهي بعد فترة وجيزة . اذن لماذا تهتم اميركا باسرائيل في هذا القدر ؟ الجواب هو طمع اميركا في المنطقة العربية على اساس ان فيها ٦٠ في المائة من احتياط البترول في العالم ، كما انها سنويا تربح الملايين من هذا الذهب الاسود . ان غاية اميركا والغرب ان يجعلوا الشعوب العربية في يدهم كما كانوا سابقا . ولكن بعدما ظهرت النظم التقدمية العربية وبدا واضحا ان الشعوب العربية لا تريد ان تعيش الا حرة ومستقلة ، وعلى طريق التقدم ، وجد الاستعمار ان ذلك يشكل خطرا على مصالحه ويكاد يفقده السيطرة ، لذلك كان في حاجة الى اسرائيل .. لان هجومه المباشر على البلاد العربية يكاد يكون مستحيلا ، اما الهجوم بواسطة اسرائيل فسيعطيه دائما الحل المناسب . وقد وجد الفرصة السانحة هذه المرة فدفع الجيش الاسرائيلي من مناوشات صغيرة الى كبيرة الى حرب كاملة .

اننا نكاد لا ننام منذ شهر كامل .. كيف نوقف الجيش الاسرائيلي عن الزحف على القاهرة او على دمشق ؟ من جانبنا ضغطنا على اميركا وقطعت الدول الاشتراكية علاقاتها مع اسرائيل . كل ذلك خطوات جدية لم نتخذ مثلها خلال العشر سنوات الاخيرة .

والموقف الآن : بالنسبة للعدو ، فمن صالحه ان يبقى في الاراضي التي احتلها . وان لا تتخذ الجمعية العامـــة للامم المتحدة اي قرار بشأن العدوان . لذلك ليس غريبا ان يحاولوا احداث خلاف بين الدول العربية ، او بين الاتحاد السوفياتي والدول العربية بشأن مشروعات القرارات المقدمة للجمعية العامة .

علينا ان ننظر الى الحقائق كما هي وندرسها بالتفصيل ، اذ انها تتضمن نواحي ايجابية ، كما تتضمن نواحي خطيرة . بدأت الحرب يوم ٥ يونيو . وفي ٨ يونيو بدأ الاتحاد السوفياتي يرسل طائراته بالامداد وبالاسلحة الى الجمهورية العربية المتحدة والى سورية مرورا بالاجواء الموالية للغرب . امكننا استعواض (تعويض) كميات كبيرة من الاسلحة التي فقدت في الحرب وذلك عن طريق ٥٤٤ سفرة جوية ، و ١٥ باخرة ناقلة . ارسلنا ما يقارب من ٤٨ ألف طن من المعدات العسكرية ،كما ارسلنا الخبراء اللازمين للتدريب على استعمال الاسلحة والعتاد ، انهم الآن يقومون بهذا العمل بكل نشاط واخلاص بتوجيه من المكتب السياسي للحزب ، ولانهم يدركون ان شعبنا يريد ذلك .

بشأن الحل السياسي فان الدول الاشتراكية ترى انه اذا اتخذ قرار انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة يمكن اتخاذ قرار انهاء حالة الحرب ، علما بأننا استشرنا جميع رجال القانون الدولي فقالوا ان انهاء حالة الحرب لا يعني الاعتراف بالدولة الصهيونية . ان الحل السياسي سيعطي الفرصة للعرب للاستعداد وتدعيم القدرة الدفاعية . ان كسب هذا الوقت يعطي الفرصة لجميع البلدان العربية ان تنهض عسكريا واقتصاديا .

انكم ترغبون في اعادة بناء الجيوش العربية ، وهذا يحتاج الى الوقت ، كما يحتاج الى اعداد كثيرة من الجنود المدربين . يوم حاربنا هتلر واحتللنا برلين كانت لدينا قوات عسكرية تبلغ ١٦ مليون مقاتل . ولكن في حربكم مع اسرائيل لم يكن لديكم اي تفوق عددي . فكيف تتصرون ؟ اننا متألمون لاننا طرحنا سمعتنا مع سمعتكم ، ولاننا وجدنا احدث طائراتنا واحدث صواريخنا في مراكز بحوث الولايات المتحدة الاميركية ، كما ارسلت احدث دباباتنا الى المانيا الغربية . في الوقت نفسه نتألم اكثر عندما نسمع ان ضباط اسرائيل يقولون عن دباباتنا وطائراتنا التي تركتموها انها من افضل انواع الاسلحة .

من جهة اخرى ، فان القوى الامبريالية حققت ما تريده ، وهو عدم الوصول الى اي قرار في الامم المتحدة ، وبذلك يهيىء الاستعمار الظروف ذاتها التي تؤدي الى عمليات استفزازية من جديد ، ثم الى عمليات عسكرية كبيرة ضد سورية وضد الجمهورية العربية المتحدة . ان العمليات الجديدة المقبلة معناها سقوط النظم

التقدمية . واذا حدث ذلك وجاءت نظم جديدة فستعمل على انهاء كل شيء والاعتراف باسرائيل ، وهذا معناه ضياع سمعتنا مرة أخرى . اننا الآن في حاجة الى بعض الوقت من اجل اسباب عديدة :

اولا - من اجل تقوية القدرة الدفاعية للدول العربية . وقد وافقت الدول الاشتراكية في اجتماعها الاخير في بودابست على تقوية الدول العربية عسكريا ، بمعنى ارسال الاسلحة وتقديم القروض وارسال الخبراء واعادة تنظيم الجيوش حسب متطلبات المعركة الحديثة ، وخاصة القدرة الجوية وتشكيلات الدبابات . وللاسف ، يقول خبراؤنا العسكريون ان معظم سائقي الدبابات لديكم لا تزيد خبرتهم الحالية على ٣ الى ٦ ساعات فقط . معنى ذلك انه ليست لديهم القدرة القتالية لاستخدام الدبابات في المعركة .

ثانيا - من اجل الاعداد السياسي للشعب وتهيئته للنضال مع تأييده التام لنظامه السياسي وحكومته . ويعتبر ذلك امرا اساسيا لمواصلة النضال في المستقبل .

ثالثا - من اجل بناء اقتصاد متين ، اذ ان الحرب الحديثة تتطلب توافر اقتصاد قوي ، وبدونه لا يمكن الاستمرار في المعركة طويلا .

لقد عبرت اخيرا سبع دول اشتراكية عن استعدادها لتقديم العون اللازم للدول العربية الصديقة ، وكل دولة منها تقرر الآن ، تفصيلا ، ما يمكن تقديمه .

قضية اخرى . تطلبون منا ان نأخذ على عاتقنا مسؤولية الدفاع الجوي وارسال خمسين طيارا سوفياتيا للحماية الجوية . تتصورون انه اذا تم ذلك فستنتهي جميع المشاكل ؟ تصور غير صحيح . هناك العديد من الصعوبات عند التنفيذ العملي . الاوامر ستختلط بين ضباطنا وضباطكم بحيث يصعب فهمها ، وعند ذلك تحدث الفوضى في العمليات .

● ● بومدين (مقاطعا بريجنيف) : هذه مشكلة فنية وليست سياسية .

● بريجنيف : افهم ذلك . لكن هناك جانبا آخر للمشكلة . لا يمكن استخدام الطيارين لوحدهم . اذ لا بد من اشراك وحدات معاونة معهم ، والا تسهل عملية اسقاطهم . هذا معناه اننا نشترك بتشكيلاتنا وبجيوشنا . ماذا تكون ردود الفعل في هذه الحالة ؟ من المحتمل في هذا الظرف التوسع في المعارك والتوسع في الحرب

في الوقت الذي نجد خط المواصلات بيننا وبينكم طويلا ، كما ان هذا الشكل من الاشتراك في العمليات معناه قيام قوات اجنبية بالدفاع عن بلد لم تجهز قواته الوطنية بعد . هذا شكل غير سليم . لذلك عرضنا الموضوع على رفاقنا في الدول الاشتراكية ، وبحثنا الوضع الراهن كله بحثا دقيقا ، فوجدنا ان افضل الحلول لتحقيق هدفنا الاساسي ، وهو الاحتفاظ بسلامة النظم التقدمية العربية ، ان نسلك طريق النفس الطويل عن طريق تقوية هذه الدول العربية بكافة انواع المساعدات اللازمة لها ، سواء كانت عسكرية ام سياسية ام اقتصادية .

● كوسيغين : ان حزبنا منذ سنين عديدة يحارب الامبريالية ، ومن اجل ذلك فان اقرب الامور الينا هو معاونتكم والوقوف معكم . اننا نريد ان تكون الدول العربية مستقلة وقوية . لقد طرحتم قضية سياسية عندما قلتم ان الدول العربية لا تقبل الموافقة على انهاء حالة الحرب ، وانكم تعتبرون ذلك مستحيلا . فاذا اتخذنا موقفكم الآن وقلنا مثلكم ، فماذا يبقى ؟ لا يبقى الا استمرار الحرب . ومعنى استمرار الحرب ان اسرائيل لن تنسحب وسوف تؤيدها في هذا الموقف اميركا والمانيا والعديد من الدول الاخرى .

في هذه الحالة هل انتم مستعدون للحرب ؟ هل بحثتم هذا الامر تفصيلا ؟ من جانبنا ، كنا نود ان نتخذ موقفنا بما يرضي اصدقاءنا العرب ونقول لهم : هيا .. تقدموا . ولكن بعد مراجعة حساب قواتكم وقدراتكم العسكرية الحالية ، وبعد الاطلاع على تقارير خبرائنا العسكريين ، توصلنا الى ان الموقف يصبح غير واقعي . لهذا اود ان اقول لكم انكم تتبعون سياسة خالية من المرونة ، ولا يمكن ممارسة مثل هذه السياسة مع الاستعمار . يمكن ممارستها معنا لاننا اصدقاء ، ولكن من واجبنا ان نقول لكم ايضا امورا قد لا ترضيكم او تعجبكم . المهم ان نتصارح ، اذ ان التاريخ في المستقبل لن يسامحنا .

● ● بومدين : نحن جئنا الى هنا لنتصارح ولنتفاهم كأصدقاء .

● كوسيغين : اني ارى ان الشعارات الثورية في الوقت الحاضر قد تكون ضد مصلحة العرب انفسهم . خذوا الصين مثلا . ان تتخذ موقفا ثوريا صارما وتقول لكم : هيا ابدأوا الحرب وسنؤيدكم ، وبعدها كذا مقال وكذا اجتماع ولا اكثر من ذلك . ان ثورية الكلام ، اذا لم تستند على قوة فعلية ، تكون خيانة . علينا ان نأخذ في الاعتبار بعض العوامل :

اولا ــ ان تنتهزوا الفرصة الحالية وتعملوا من اجل وحدة البلاد العربية ، على ان تتجنبوا كل امر يعرقل هذا العمل ، وان تعزلوا الاشخاص الذين يقفون في طريق تحقيقها .

ثانيا ــ مهما كانت الظروف صعبة ، فلا بد من القسوة من اجل القضاء على الاشخاص الذين يقفون ضد الثورة ، ولا بد من الفصل بين الرجعية والتقدمية .

ثالثا ــ الاستفادة من الفرصة الحالية لبناء جيش قوي ، علما بأن بناء الجيش وتعزيزه يحتاجان الى سنتين على الاقل .

رابعا ــ يجب ان لا تمارسوا سياسة جامدة مع الاستعمار ، بل يجب اتباع المرونة اللازمة . فليس انهاء حالة الحرب هو المهم ، وانما المهم هو كسب الوقت اللازم لتعزيز القوات المسلحة وتدعيم النظام . ان ذلك يعطيكم القدرة والايمان لتحقيق مشاريعكم المستقبلية .

● بريجنيف : في هذه الحالة تصبحون مستندين على جماعاتكم وعلى حزبكم ، ويصبح الشعب متفهما جيدا لاوامركم وسياستكم .

● كوسيغين : اظن ان غلطتكم الكبيرة هي انكم تعتقدون ان ارسال خمسين طيارا وألف جندي من عندنا سيحقق لكم النصر . هذا تصور غير سليم . لقد قلتم من قبل ان هذه مسألة فنية وليست سياسية . غير اني اريد ان اوضح لكم هذا الموضوع جيدا . اذا ارسلنا قواتنا اليكم فلا بد ان تقوم اميركا وبريطانيا بارسال قواتهما الى اسرائيل ايضا . لا اقصد بذلك اننا خائفون ، ولكن اقصد انه يجب التفكير جيدا في عواقب الامور قبل تأزيم الموقف . في الحرب الاخيرة مع اسرائيل ، لم تشترك معها قوات او طائرات (يقصد قوات غير اسرائيلية) بشكل مباشر . لماذا ؟ الجواب لان اسرائيل كانت قوية . نحن نسمع ان بعض العرب يقولون ان الروس خائفون . ولكن الحقيقة انه لا بد ان نفكر جيدا وان نحل المشاكل برؤوس باردة . اريد ان اقول ان الموقف السياسي حاليا مشجع ، وان كثيرا من البلدان الى جانبكم ، واننا لسنا الى جانبكم فحسب وانما نحن معكم . علمت انه سوف يعقد قريبا اجتماع لوزراء الخارجية العرب . يا حبذا لو شكلتم لجنة فرعية من المجتمعين تبحث موضوع النفط ، حاولوا ان تشقوا صفوف الاستعمار من جهة موضوع النفط ، وذلك بتأييد دولة ضد الاخرى . كذلك

بالمثل في ما يختص بالامتيازات الاقتصادية الممنوحة لاميركا وللغرب في الدول العربية . من الناحية السياسية يمكن ان تخلقوا لهم مشاكل وان تلعبوا على هذه المشاكل كثيرا . للاسف ، ان تفكيركم محصور الآن في موضوع واحد فقط : هل تستمر الحرب ام تقف ؟ واذا لم تنسحب قوات اسرائيل الآن فن المنتصر ؟ في رأيي يجب ان تكون حركتكم في اتجاه آخر . لا بد من الحركة ضد الاستعمار واسرائيل من موقع القوة وليس من موقع الضعف . والقوة بيدكم ويمكنكم ان تحركوها كما تشاؤون وذلك بالمرونة السياسية .

في حديثي الاخير مع جونسون لمست انه كان يريد مساعدة اسرائيل بكل قوة ، ولكنه كان في الوقت نفسه يخشى ان يفقد العالم العربي ، كذلك لا يريد ان يقطع علاقاته نهائيا مع العرب . هذا الموقف يجب الاستفادة منه . ان جونسون يعرف انه اذا فقد البلاد العربية فانه سيفقد ايضا افريقيا . اذن فبالوسائل السياسية يمكنكم ان تحصلوا على نتائج كبيرة . تكلموا معهم كيفما تشاؤون . الكلام ليس مهما . اننا لا نفكر ابدا ان هزيمة العرب حاليا هي هزيمتهم في المستقبل ايضا . كذلك لا يجب ان تنسوا ان النضال السياسي لا يعني التراجع والانسحاب النهائي ، بل قد يكون بعده تقدم .

● ● عارف : ان موضوع انهاء الحرب معناه فتح الملاحة في قناة السويس ، ومعناه ايضا التفاوض معهم . وقد يكون بعده الصلح .

● كوسيغين : ابدا . التفاوض ممكن ان يتم عن طريق الامم المتحدة ، واذا لم ينسحبوا فحالة الحرب مستمرة . على كل حال ، فانني ارى انكم تقفلون باب الخروج من المأزق .

● ● بومدين : اذن ، ما هو جديد الآن للبحث هو قضية القرار في الامم المتحدة . ان معركة الشرق الاوسط ليست معركة بسيطة . لقد سبق ان قلت انها معركة من سلسلة طويلة يخوضها الاستعمار ضد الشعوب . المعارك الساخنة في العالم اليوم معروفة . واهمها معركة الشرق الاوسط ، وذلك لاسباب عديدة ، استراتيجية واقتصادية وبترولية وغيرها . ان هذه المعركة مهما قيل بشأنها من ان العرب متعصبون فهم في الحقيقة المعتدى عليهم واراضيهم محتلة . لا اريد ان اتكلم عن الهزيمة لانه لم تقع معارك واضحة ، ولذلك فالهزيمة معروفة اسبابها . اننا اليوم في

الدور الذي يجب على المعتدي ان يدفع الثمن . فلنراجع موضوع الامم المتحدة . هل مجرد التصويت سينهي هذا المشكل الخطير الموجود في الشرق الاوسط ؟ لنفرض ان العرب سيقبلون انهاء حالة الحرب ، هل هذا سيعني انتهاء المشكلة وانسحاب اسرائيل بكل بساطة ؟

● كوسيغين : اذا لم ينسحبوا ستبقى حالة الحرب مستمرة . اننا دائما نقول بشرط انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة .

● ● بومدين : رأيي ان المشكلة لا يمكن الحكم عليها بهذه البساطة . لماذا ؟ لان الاميركان انفسهم اجروا تقديرهم وكافة تحليلاتهم على اساس ان الورقة الرابحة بيدهم وانهم لن يتركوها بهذه السهولة . لن يتركوها الا بعد حل المشكلة كما يريدون . في نظرنا ، فان الاميركان لن يقبلوا اي قرار ما لم يعبر عن وجهة نظرهم . وطبعا في امكانهم ان يمنعوا مرور اي قرار لا يريدونه . ان هدف اميركا الاساسي في المنطقة هو القضاء على كل نظام تقدمي فيها .

● بريجنيف : اميركا وبريطانيا والمانيا كانت ضد اجتماع الامم المتحدة . وبالرغم من ذلك حصل الاجتماع وحصلنا على اصوات عديدة .

● ● بومدين : ان المشكلة ذات شقين . الاول ما نتج عن حرب العام ١٩٤٨ او ما يسمى بقضية فلسطين ، والثاني ما نتج عن حرب ١٩٦٧ او ما يسمى بمشكلة العدوان . ان سياسة اميركا هي انهاء هذه المشكلة بشقيها نهائيا لصالح اسرائيل وعلى حساب النظم التقدمية . اميركا الآن في مركز القوة ولن تترك الفرصة دون ان تستغلها استغلالا كاملا ، اي باسقاط النظم التقدمية في الجمهورية العربية المتحدة وسورية اولا ، ثم في العراق ثانيا .

● بريجنيف : ما هو الحل اذن ؟ اننا نفكر التفكير نفسه . ونظرنا هذا صحيح ، ولكن العدو موجود بقربكم .

● ● بومدين : اننا امام خيارين ، اما ان نعترف بالامر الواقع ونتفاوض على حساب النظم التقدمية لنحفظ الاراضي ، او نتشدد في مواقفنا .

● بريجنيف : بأي طريقة ؟ وما معنى الامر الواقع على حساب النظم التقدمية ؟

● ● بومدين : المشكلة ليست التصويت على لائحة في هيئة الامم المتحدة ، اذ

قد لا تخرج اللائحة بفائدة . ان اميركا في هذه الظروف قوية ، وقد تقدم بعض الدول العربية تنازلات مستمرة . حينئذ يصبح من المستحيل بقاء حكومات هذه الدول . لنأخذ المشاريع المقدمة : اولا مشروع الاتحاد السوفياتي ، ثم تطورت الامور وبدأت التنازلات الى ان وصلنا الى موضوع انهاء حالة الحرب . لا اخفي عليكم انه امر خطير . اننا نحترم رأي رجال القانون الذين اشرت اليهم في حديثك ، ولكننا نعتقد ان هذا معناه الاعتراف باسرائيل . ان مشكلة فلسطين حساسة ، ولا تستطيع حكومة عبد الناصر او حكومة بغداد الموافقة على اللائحة المقدمة . واذا كان لا بد من ذلك فلا بد من مجيء حكومات جديدة توافق على هذه الخطوات .

● بريجنيف : هذا الكلام يدل على عدم وجود رغبة عندكم لمواصلة النضال .

●● بومدين : لقد قرأت البيان الذي صدر عقب اجتماع بودابست وكان قويا واشير فيه الى وحدة الدول العربية . السؤال المطروح هو ، كيف يمكن الجمع بين المتناقضات في وحدة واحدة ؟

● كوسيغين : اننا نفهم ما تقوله ولا تنسَ ان المغرب مثلا تسبب لكم مشاكل كثيرة على الحدود .

●● بومدين : ثم تتهمون الجزائر في بيانكم بأنها متطرفة . (الناشر : البيان الذي صدر عن اجتماع دول الكتلة الشرقية في بودابست اتهم الجزائر بالتطرف) . هذه كلها اسئلة مطروحة والاختيارات صعبة . ثم يقال ان نرجع للناس الذين هم في مركز القوة ونستعمل التكتيك والمرونة . كيف ؟

● كوسيغين : انكم تتكلمون عن الوقائع كما هي ولكنكم لا تقدمون اي حل للمشكلة .

● بريجنيف : لقد رافقت المشكلة منذ بدايتها ، غير انني افهم انكم اذا استمريتم في الاعتراف بوجود حالة الحرب فان ذلك سيؤدي الى مشاكل كبيرة . في رأيي ان تفصلوا بين قضيتين : الاولى كيفية القضاء على آثار العدوان ، والثانية كيف ننظر الى القضايا الاخرى بعد ذلك . ان القضية المهمة الآن هي كيف نحافظ على النظم التقدمية العربية . كيف تطردون العدو وتحتفظون بأنظمتكم التقدمية ؟

●● بومدين : ذكر الرفيق بريجنيف كيف نصفي آثار العدوان . في رأيي ان ذلك يتم اما بالتفاهم مع اعدائنا وفق الشروط التي يفرضونها ، او ان نسلك طريق النضال والكفاح مهما طال الزمن . اي ، اما ان نختار الحل الاول او الثاني ، واذا ما اخترنا الحل الثاني وهو النضال فعلينا ان نتفاهم مع بعضنا البعض عن كيفية تنفيذه . مختصر الكلام ، ارى انه يوجد منتصر ويوجد مهزوم .

● بريجنيف : اعادة الارض ليست سهلة .

●● بومدين : اذا كان المشكل هو الارض فبالامكان تغيير موقفنا السياسي واستعادة الارض مع قبول المقترحات والشروط الاميركية ، ثم ينتج عن ذلك سقوط النظم التقدمية . لهذا انا قلت في البداية ان الاختيار صعب .

● كوسيغين : وكيف تنفذون الطريق الثاني ؟

●● بومدين : اريد هنا اولا ان اذكر رأي الجماعة الذين ارسلونا ، لان رأيي شخصيا قد ترونه متطرفا . اننا متفقون على ان نسلك جميع الطرق الديبلوماسية ، ولكننا في الوقت نفسه لن نهمل الكفاح . ان الموضوع الذي تطلبه بصفة عاجلة ، كل من سورية والجمهورية العربية المتحدة ، هو تقوية قدراتهما الدفاعية .

● بريجنيف : يوم ١٩٦٧/٧/٢٠ ، اي بعد ثلاثة ايام من الآن ، هو آخر موعد لاجتماع الجمعية العامة للامم المتحدة . انتم احرار . لكن العالم سوف يقول ان العرب متعصبون في موقفهم .

● كوسيغين : هل انتم ضد فكرة انهاء حالة الحرب ، حتى بعد عودة المعتدين الى خطوط الهدنة ؟ ما هو الاهم بالنسبة اليكم : الارض ام انهاء حالة الحرب ؟

●● بومدين : لا يمكن الجواب عن هذا بلا او نعم . اعتقادنا ان المشكل لا ينتهي بالتصويت في هيئة الامم المتحدة .

● كوسيغين : اذن كيف تحلون بالطرق العسكرية هذه القضية في الوقت الحاضر ؟

● بريجنيف : بصورة عامة ، اذا اتخذ اي قرار في الجمعية العامة فسينفذه مجلس الامن ، وهناك لنا حق الفيتو . لذلك لا يجب ان تخشوا القرارات . ثم لماذا تستبعدون ان يتحرك العدو مرة اخرى ويضرب بكل قوته الانظمة الثلاثة على اساس ان حالة الحرب ما زالت قائمة وبعد ذلك تأتي حكومات جديدة تسير

حسب رغبة ومشيئة اميركا ؟ اننا نريدكم ان تكونوا اقوياء ثم تتكلمون كما تريدون ، اما الآن .. (الناشر : مد بريجنيف يديه دون ان يكمل العبارة وكان واضحا ماذا يقصد) .

● ● بومدين : ان الاختيار اليوم هو اختيار حاسم ، والمشكلة ليست مشكلة قرار في هيئة الامم المتحدة . ان انهاء حالة الحرب يجب ان يكون له ضمان عملي ، وهذا الامر يقبله الاميركان على حساب النظم التقدمية العربية . اننا نريد الآن التأييد الدبلوماسي والدعم العسكري ، علما بأن هناك فعلا اسلحة وصلتنا واخرى في طريقها ..

● بريجنيف (مقاطعا بغضب) : ولكن لا يوجد لديكم الآن جنود ولا ضباط مدربون . انا اقترح ان تسجل مواقفنا وآراؤنا خطيا ، والتاريخ سيحكم في المستقبل من هو المصيب ومن منا كان المخطئ . اننا معكم في ضرورة الاستمرار في القتال ، ولكن الظروف الآن غير ملائمة . نحن الآن امام امر واقع .

● كوسيغين : ما هو رأيكم في اقتراح ديغول حول اجتماع الدول العظمى ؟ ديغول يقول انه الحل العملي . نحن لن نوافق عليه لانكم ، العرب ، لم توافقوا عليه . اما اذا وافقتم فاننا نعدل موقفنا . ولكن من يضمن موقف اميركا ؟

● بريجنيف : لنفرض ان القرار صدر بانهاء حالة الحرب . في هذه الحالة سيطلب من مجلس الامن النظر في تنفيذه حيث يقترح ارسال مراقبين وقوات من الامم المتحدة لمتابعة التنفيذ ، كما يطلب من الجمهورية العربية المتحدة اعلان حرية المرور في القناة . نحن من جانبنا سنستمر في ارسال الخبراء والاسلحة ، وبالتالي يتوافر لديكم الوقت لاستكمال استعدادكم .

● ● بومدين : ان انهاء حالة الحرب سيؤدي الى عواقب كثيرة .

● بريجنيف (غاضبا مرة اخرى) : اذا حللنا آراءكم جيدا نجدها اما متطرفة او انها ستؤدي الى هزيمة جديدة .

● كوسيغين (محاولا تبريد سخونة الحوار) : اذا اردتم ان تضربوا اسرائيل فنحن معكم ، ولكن الظروف الحالية لا تساعد على ذلك .

● ● بومدين : ان انهاء حالة الحرب يعني عمليا الاستسلام . هل نفهم ان موقف

الاتحاد السوفياتي هو مماثل تماما لما جاء في بيان بودابست الاخير ؟

● بريجنيف : نعم . لقد تبادلنا الآراء في هذا المؤتمر بحرية تامة . وكان رأي الجميع تقريبا واحدا . وعندما انتهينا من تبادل الرأي اجرينا دراسة تحليلية تولدت عنها النتيجة التي صدرت في البيان . اننا لم ندخل المؤتمر ومعنا مشروع معين من موسكو . اود ان تتأكدوا إننا لا نفرض رأيا خاصا على الدول الاشتراكية السبع ، كما اود ان تعرفوا ان الجو العام في ذلك المؤتمر كان يدعو الى التفاؤل وليس الى التشاؤم ، بل كان الامل واضحا ان النصر لكم في المستقبل . ان انهاء حالة الحرب لا يفرض اقامة العلاقات السياسية بينكم وبين اسرائيل .

● ● بومدين : الا ترى ان الصهيونية تتحكم في اميركا وفي غرب اوروبا وبريطانيا ؟ من اجل ذلك فان رأيهم دائما يعبر عن وجهة نظر اسرائيل . ثم نرى العالم عاجزا عن اداناتها . اننا كعرب لم نبدأ الحرب ، والشعارات لم تكن هي السبب . بدأت الحرب العدوانية وجرى احتلال الارض العربية ، ورغم ذلك فالجمعية العامة ترفض ادانة اسرائيل واعترفت بالامر الواقع . ثم يقول العالم اننا متعصبون . قد يكون هذا صحيحا قبل ٥ يونيو ، ولكن بعده لم يبق له معنى .

● بريجنيف : فلنكن واقعيين . اين تحطمت الـ ٨٠٠ دبابة والـ ١٥٠٠ مدفع ؟ لقد تحطمت عند الحدود . لم تتحطم في معركة . لقد نجح الاسرائيليون في ان يصوروا الموقف امام العالم على انكم دبرتم ضدهم هجوما فقاموا بصده ، ثم بمطاردتكم وهزيمتكم بعد ذلك . وعلينا الآن ، اذا كنا نريد ان نخرج من المأزق ونحقق الانتصار بعد ذلك ، ان نفكر معا بهدوء . على كل حال لقد طالت هذه الجلسة فلندع التفكير في هدوء الى جلسة الغد .

الجلسة الثانية : ١٩٦٧/٧/١٨

تميزت جلسة المباحثات الثانية التي عقدت بين الرئيسين هواري بومدين (الجزائر) وعبد الرحمن عارف (العراق) وبين قادة الكرملين بالسخونة . لقد كان السوفيات ـ كما عرفت في ما بعد ـ يعتقدون ان الرئيس بومدين جاء الى موسكو متبنيا وجهة النظر الصينية بصورة شاملة . وانطلاقا من هذا الاعتقاد الخاطئ اظهر السوفيات معارضتهم لاتجاه الرئيس الجزائري بواسطة الغمز احيانا . مثالا على ذلك ، قالوا له : « انتم في الجزائر بعيدون عن ساحة المعركة ... انتم الشرقيين متحمسون لكن لا بد من المنطق ايضا . ماذا يهم لو مر في قناة السويس علم اسرائيلي او لم يمر ؟ ما قيمة الشكليات بالنسبة لعمل ضخم كالسد العالي ؟ ... ان اسرائيل لا تستعبدكم ، ولكن اميركا يمكنها ذلك » .

ورد بومدين على بريجنيف قائلا : « كلامك غير مفهوم وغامض » . فقال كوسيغين بأعصاب باردة : « الكلام مفهوم وواضح ، واذا كان هناك اي غموض فالمترجم هو المسؤول عن ذلك » .

لقد بدا في بعض فترات المباحثات ان التقاء وجهات النظر بين الطرفين يكاد يكون مستحيلا . السوفيات يركزون على ضرورة انهاء حالة الحرب مع اسرائيل ، ومن ثم الاستعداد بعد ذلك . ويقولون ان حماية الانظمة العربية التقدمية يجب ان تأتي قبل تحرير الارض . وكان الوفد العربي يرى ان تحرير الارض يأتي اولا وآخرا . وعندما وصل التصادم الى مثل هذا الطريق المسدود ، قال بريجنيف بصراحة : « اننا نعلم انكم اكثر حساسية في بعض القضايا . لكن المشاكل لا تحل بالعواطف فقط . كان المشير عبد الحكيم عامر يطلب الاسلحة والمعدات ويقول ان لديه المدارس والكوادر اللازمة . لم نتدخل معه ، لكن تبين اننا كنا مخطئين » .

قيل لي في القاهرة انه في نهاية الاجتماع كانت اعصاب الجميع قد بلغت درجة عالية من التوتر . وقيل لي ايضا ان التحفظ السوفياتي استفز الوفد العربي ، وان الاندفاع العربي استفز الوفد السوفياتي . العرب يريدون حلا عسكريا .

السوفيات يسعون الى حل سياسي . وعندما وصلت المناقشات الى طريق مسدود آخر ، وقف بريجنيف في نهاية الاجتماع وقال : « هل جئتم لابلاغنا قراراتكم من باب العلم فقط ، ولا قيمة لملاحظات المعسكر الاشتراكي ؟ نود ان تعلمونا وتجيبونا على هذا السؤال » .

كانت الساعة تشير الى العاشرة من صباح يوم الثلاثاء ١٨ يوليو (تموز) ١٩٦٧ (توقيت موسكو) عندما بدأ الاجتماع الثاني في قصر الكرملين . كان الجو في موسكو ذلك اليوم جميلا ودافئا على غير عادة . وقد بدأ كوسيغين الحديث على الفور . نظر الى ساعة يده اولاً . ودون ان يدخل في باب الترحيب والمجاملات ، وهي عادة السوفيات دائما ، دخل مباشرة في الموضوع .

عبد المجيد فريد

* * * *

● كوسيغين : اننا ندرك جميعا ان المشكل صعب ، ولكننا نبحث عن حلول له . كما اننا متألمون اكثر من العرب بالنسبة للموقف الحالي .

● بريجنيف : اننا في الوقت الحاضر مشغولون في القضايا العربية اكثر من اي موضوع آخر . وغدا يزورنا رئيس وزراء ايران .. قد يكون ملائما لو شكرتم في برقيات جميع الدول التي ايدتكم .

● ● عارف : تم ذلك فعلا ، وارسلنا برقيات شخصية اليهم جميعا .

● بريجنيف : انني لست مرتاحا من حديث الامس . الموقف الذي سمعناه لا يدل على وجود صورة واضحة ، كما اننا لم نسمع اي حل . اننا نعرف ان شعوبكم متألمة لما حدث ، لكن الاستماع الى رأي الشعوب فقط ليس كافيا . لا بد من مكافحة الاستعمار ، فهو خبيث ، ولا بد ان نكون ايضا خبثاء عند مواجهته . المهم ان نعرف دائما ما هو الاهم . النضال قبل الاستقلال شيء ، وبعده شيء آخر . منذ شهر ونصف الشهر نتكلم ونتبادل الآراء مع قادة دول صديقة ، وكلنا نفكر من اجل مصلحة العرب . الذين صوتوا الى جانب مشروع الدول غير

المنحازة (الناشر : وهو احد المشروعات السياسية التي قدمت للامم المتحدة) كانوا في صف العرب . لكن للاسف ، لم ينل المشروع الاغلبية . ليس معنى ذلك انتهاء النضال ، ولكن علينا ان نجد الطريق الصحيح . من جانبنا ، قطعنا علاقاتنا مع اسرائيل ونحن مستعدون للذهاب والقتال معكم . ان التضحية مع النتائج مقبولة ، اما بدون نتائج فهي غير مقبولة .

بعث الينا غروميكو اليوم من نيويورك قائلا ان الجمعية العامة للامم المتحدة ستنهي اعمالها دون اتخاذ اي قرار ، وهذا اسوأ شيء لانه يعني ان يد اسرائيل حرة ويمكنها ان تضرب مرة اخرى . وللاسف ، لا يوجد بلد عربي الآن مستعد للدفاع . الموقف في رأيي سيكون صعبا . يا رفيق بومدين انتم في الجزائر بعيدون عن ساحة المعركة ، وقد ترون الموقف العام أكثر وضوحا .

● كوسيغين : اود ان اضيف شيئا ، وهو ان موعد انتهاء دورة الجمعية العامة بعد غد ، ولا يعرف احد ماذا ستكون النتائج بعد ذلك . ارجوكم ان تفكروا جيدا . ان اموركم بيدكم ، وليس لنا حق في الضغط عليكم . اذا اقتنعتم بأمر ما يمكنكم ان تتصلوا من هنا بالتلفون مع عبد الناصر ، ومع رئيس سورية ، وتوضحوا لهما الموقف خلال دقائق . الوقت ضيق ولا بد من الوصول الى جواب محدد . الموقف في رأي غروميكو هو ان تنسحب اولا قوات اسرائيل ، ثم نربط ذلك بموضوع انهاء حالة الحرب وحرية الملاحة في قناة السويس . الواقع انه بالنسبة لحرية الملاحة ، فهو موضوع نظري بالنسبة لاسرائيل ، لان سفنها تمر في القناة تحت اعلام اخرى .

● ● بومدين : بالنسبة لهذه النقطة فان مرور علم اسرائيل في القناة معناه الاعتراف باسرائيل .

● كوسيغين : هذه قضية نظرية . الالمان كانوا يمرون في ممراتنا المائية ، وكنا في حالة حرب معهم . قبلنا ذلك لاننا كنا في حاجة لمثل هذه الحركة من الناحية الاقتصادية .

● ● بومدين : لنرجع الى المشكل الرئيسي . هل يرى السيد كوسيغين انهاء مشكلة فلسطين ؟ لان هذا هو جوهر الموضوع .

● كوسيغين : كلا . لو قبلتم جميع المسائل الاخرى لطرحت قضية فلسطين

منفصلة . في لقائي الاخير مع جونسون سألته : كيف ترون حل قضية فلسطين ؟ فقال لي : يجب ان تشترك كل الدول في حلها . نحن موافقون على قبول عدد من اللاجئين في اميركا ، وعدد آخر تقبله كندا . والولايات المتحدة الاميركية مستعدة لتحمل كافة النفقات . كان جوابي على جونسون كما يلي : ان مثل هذا الاقتراح يعني ان نأخذ بعض الاميركيين كي يعيشوا عندنا في سيبيريا مثلا . انه اقتراح غير عملي . ثم قلت له ايضا ان اساس المشكلة هو ان الفلسطينيين يريدون العودة الى بلادهم . وان اقتراحك هو للخداع ولن يقبله احد من العرب . بصورة عامة ، لا بد ان تكون هذه القضية ـ اي قضية فلسطين ـ موجودة في جدول اعمال الامم المتحدة . وطبعا ، لو بدأنا بحثها اليوم لا يمكن ان ننتهي منها غدا

● ● بومدين : انا شخصيا ، بعد حديث الامس واليوم ، نشأ عندي غموض بشأن موقف الاتحاد السوفياتي من المشكلة .

● ● عارف : ان بقاء الانظمة التقدمية يستلزم ان نحقق لها بعض المكاسب . ولا تنسوا ان هناك حملة دعاية مضادة ، شعارها ان هذه الانظمة هي التي اوصلتنا الى هذه النتيجة ، وخسارة المعركة . فاذا قبلنا في النهاية ببعض الامور فان الشعب نفسه سيثور على هذه الانظمة .

(وهنا دخل القاعة احد الموظفين السوفيات حيث سلم بناماريوف ، عضو الوفد السوفياتي رسالة . قرأها بناماريوف وكتب عليها بعض الكلمات ثم اعطاها لكوسيغين) .

● كوسيغين : وصلتنا الآن رسالة من غروميكو في نيويورك تقول ان جميع المشاريع المقدمة الى الجمعية العامة قد رفضت منذ ساعة لان الوفود العربية رفضتها وانه نتيجة للاتصالات التي اجراها مع وفود بعض الدول فان مشروعا آخر قد قدم . واذا وافقت عليه الوفود العربية فانه يمكن عند ذلك تمريره ، مع العلم ان اسرائيل ترفضه . (الناشر : جميع المشاريع التي طرحت في الجمعية العامة للامم المتحدة في ذلك الحين كانت تنص بصورة او بأخرى على انهاء حالة الحرب مع اسرائيل) .

● بريجنيف : اريد ان اطرح سؤالا سبق ان طرحته وهو : لو قامت اسرائيل بتوجيه ضربة جديدة الى الجمهورية العربية المتحدة والى سورية والعراق ماذا تكون النتيجة ؟ في هذه الحالة ، سنجد انفسنا في مشاكل جديدة ، وستسقط الانظمة

التقدمية العربية ، ثم تطرح بعد ذلك القضية على مجلس الامن . هل يمكن ان تتصوروا هذه الصورة ؟ نحن في المعسكر الاشتراكي لا نقبل هذه الصورة ، لانها تعني الحرب ضد الغرب ، وتعني ايضا استخدام الاسلحة النووية التي لا يعرف احد نتائجها .

● ● بومدين : في رأيي ان الحرب الكبرى تقوم وتستخدم فيها الاسلحة الذرية من اجل قضايا اكبر من قضية حرية الملاحة في قناة السويس او غيرها . انها تقوم من اجل قضايا تهدد الوجود البشري .

● بريجنيف : انتم لا تريدون حتى الاعتراف على الورق بانهاء حالة الحرب . واسرائيل لا تريد ان تنسحب . ثم هناك المشاكل الاخرى كحرية الملاحة وغيرها . نحن نبحث عن حل ، والعدو من الجانب الآخر يبحث عن حل . في ظروفنا الحالية ، قد نقبل ورقة مكتوبا عليها « انهاء حالة الحرب » مقابل بقاء الانظمة التقدمية ، ومقابل بقاء الكفاح مستمرا . من جانبنا سنساعدكم عسكريا ، ولن توقف الدول الاشتراكية مساعداتها لكم . انتم كعسكريين تفهمون جيدا انه لا يمكن اعادة بناء قوات عسكرية في خلال يومين ، خاصة بعد الدرس الاخير . وصلتنا برقية امس من براغ ومن بلغاريا . انهم يرسلون الاسلحة والعتاد لكم . لقد بلغ ما وصل الى الجمهورية العربية المتحدة في الفترة الاخيرة من اسلحة ومعدات عسكرية ما قيمته ٢٥٨ مليون دولار . لم تقدم معها اية شروط ، كما اننا مستعدون لارسال ٢٠٠٠ خبير من خيرة خبرائنا . لكن ليس من مصلحتنا ان نبقيهم هناك لفترة طويلة . ان الاساس يجب ان يكون الاعتماد على مدارسكم ومراكز تدريبكم . بودغورني والماريشال زاخاروف رئيس الاركان كانا عند عبد الناصر منذ ثلاثة اسابيع . قال لهما انه لا يوجد الآن عنده جيش بالمعنى الصحيح ، وانه يقوم حاليا باعادة تنظيمه . في تقديرنا انكم بحاجة الى سنتين على الاقل في عمل مستمر حتى يمكن ان تقوموا بهجوم ، شرط ان تكون المعنويات عالية وعلى استعداد للموت والتضحية .

● غريشكو : ان تعداد الجيش الآن في الجمهورية العربية المتحدة يبلغ حوالى ٢٢٠ ألف جندي ، و ٩٠٠ دبابة ، و ٣٠٠ طائرة ، واكثر من ١٠٠٠ مدفع ، وغيرها من الاسلحة . كل هذه الاسلحة موجودة بين ايدي جنود لا يعرفون استخدامها جيدا . فحوالى ستين بالمائة من الجنود جدد ، لان عددا كبيرا من

الضباط والجنود المدربين اما قتلى او اسرى او انهم تركوا الخدمة . هنالك نقص في الطيارين بنسبة ٣٥ في المائة ، ونقص في اطقم الدبابات بنسبة ٣٠ في المائة . بصورة عامة ، فان الجيش قادر الآن على الدفاع ضد قوات صغيرة فقط ، ولكن ليس ضد هجوم كبير . الدفاع الجوي غير كاف عن المدن الكبرى . اذن فالجيش المصري الآن غير جاهز للهجوم ، او حتى للدفاع .

انتقل الآن الى سورية .. السوريون الآن قادرون على عملية دفاع فقط ، ولكن ليسوا جاهزين للقيام بعملية هجوم .

بصراحة ، ان ميزان القوى بين الجمهورية العربية المتحدة وسورية وبين اسرائيل لا يوفر التفوق الذي يسمح بالهجوم على اسرائيل الآن . غير انه بالامكان الوصول الى ذلك بمرور الوقت . واثباتا لكلامي اذكر لكم بعض البيانات الحديثة عن القدرة العسكرية في الدول الثلاث :

- عدد القوات العسكرية في الجمهورية العربية المتحدة وفي سورية يبلغ ٣٥٠ ألف جندي وضابط . وفي اسرائيل يبلغ ٣٠٠ ألف .
- عدد الالوية في الجمهورية العربية المتحدة وفي سورية يبلغ ٣٤ لواء . وفي اسرائيل يبلغ ٣١ لواء .
- عدد الدبابات في الجمهورية العربية المتحدة وفي سورية يبلغ ١٤٥٠ دبابة . وفي اسرائيل يبلغ ١٢٥٠ دبابة .
- عدد المدافع في الجمهورية العربية المتحدة وسورية يبلغ ٢٢٠٠ مدفع . وفي اسرائيل يبلغ ٢٧٠٠ مدفع .
- عدد الطائرات في الجمهورية العربية المتحدة وفي سورية يبلغ ٣٤٠ طائرة . وفي اسرائيل يبلغ ٣٠٠ طائرة .

● بريجنيف : بعد هذا العرض نقول انه لا بد من الوقت لتحويل الكمية الى كيفية قادرة على القتال . في هذه الحالة فاننا نضمن الانتصار العسكري والاقتصادي والسياسي . اذا قبلتم ذلك فستشكروننا في يوم ما . لنناقش الموضوع نقاشا مجردا . المهم ان يعرف الشعب طريقه ويسير في طريق التقدم . انتم الشرقيين متحمسون ، لكن لا بد من المنطق ايضا . ماذا يهم لو مر في القناة العلم الاسرائيلي او لم يمر ؟

ما قيمة الشكليات بالنسبة لعمل ضخم في البلاد كالسد العالي في اسوان ، او كمشروع صناعي ضخم ، او مشروع زراعي كبير ؟

● ● بومدين (بحدة) : اذن في هذه الحالة لو نحصل على جرارات تكون اكثر فائدة لنا من الدبابات !

● بريجنيف : نعم ستحصلون على جرارات وعلى كل شيء ، ولكن بالتفكير المنطقي والواقعي . لقد تقدمت البلاد العربية كثيرا ، ونفذت فيها اصلاحات اجتماعية هامة ، لان الثورة فيها هيأت الفرصة لذلك . هل يصح ان نسقط كل هذا من حسابنا ؟ انها جريمة بحق الثورة . ماذا يهم في هذه الظروف لو صدر قرار بانهاء حالة الحرب شرط ان يكون قبله انسحاب القوات الاسرائيلية ؟

نقطة اخرى . سمعت كلاما جديدا امس قاله بومدين . انتم توجهون النقد للاميركيين ، ونحن كذلك . ولكن قلتم انكم لن تتكلموا مع اسرائيل ، ولكن ستتكلمون مع الاميركان . هذا شيء جديد بالنسبة لنا . ان اسرائيل لا تستعبدكم ، ولكن اميركا يمكنها ذلك .

● ● بومدين : كلامك غير مفهوم وغامض .

● كوسيغين : الكلام واضح ، لكن المترجم هو المسؤول عن اي غموض .

● ● بومدين : ما اريد توضيحه هو ان المشكلة ليست اسرائيل نفسها لانها آلة في يد الاميركان ، وهم الآن في مركز القوة . ونعتقد ان انهاء حالة الحرب يؤدي الى قبول الشروط التي تفرضها اسرائيل . ان اي سياسة تؤدي الى الاعتراف باسرائيل غير مقبولة . نحن نعرف ان اميركا لا تسمح بالهجوم على اسرائيل . اننا مهزومون واراضينا محتلة . وبالرغم من ذلك فاننا لا نتمكن حتى من الحصول على قرار عالمي يدين اسرائيل . نحن لا نعترف باحداث تبديلات بالقوة في خريطة العالم ، وخاصة في الشرق الاوسط . ان انهاء حالة الحرب يؤدي حتما الى الاعتراف بالوجود الاسرائيلي . وهذا امر صعب جدا بالنسبة لحكومة القاهرة وللآخرين .

● بريجنيف : دعوا اسرائيل تنسحب ، ثم فسروا القرار كما تريدون لا كما تريد اسرائيل . وعندما تصبحون اقوياء افعلوا ما تشاؤون .

● ● بومدين : اذن يمكن الآن تلخيص الموضوع . في رأيكم لا بد من التصويت على المشروع ، اي مشروع ، سواء كان فيه انهاء حالة الحرب او غيرها ، وعلى الجمعية العامة ان تخرج بقرار . اذا اجرينا حساباتنا على هذا الاساس فاننا نتقدم خطوة والعدو يتقدم عشر خطوات . كذلك تقولون لاسباب ديبلوماسية وكسبا للوقت ، انه يجب ان نخرج بشيء ، مهما كان هذا الشيء . بصراحة ، انني لست متفقا معكم في ان القرار ، اي انهاء حالة الحرب ، هو مجرد ورقة بسيطة . واذا كانت المشكلة مطروحة بهذا الشكل ، فعلينا عندئذ ان ننظر الى القضية كلها ، اي قضية فلسطين بأكملها من اجل حلها بصورة نهائية ، وبالتالي تحقيق السلام كاملا . في هذه الحالة يصبح الانسحاب من الارض المحتلة جزءا من كل . هذا هو تحليل اخواننا جميعا . هل الموافقة على اللائحة هي حل ديبلوماسي مؤقت ، ام هي بداية لحلول اخرى للمشكلة ؟

● كوسيغين : هي بداية للنضال من جديد .

● بريجنيف : في الحقيقة ، فان القضية كبيرة ، وهناك اهداف آنية واخرى بعيدة المدى . ان اشكال النضال تتغير وفقا للظروف . ونحن نعتقد حاليا ان القضايا الرئيسية هي الآنية . وهي المحافظة على الانظمة التقدمية العربية . كيف يمكن تحقيق ذلك ؟ يكون ذلك بانهاء حالة الحرب ، وبانسحاب القوات الاسرائيلية ، وبكسب الوقت لتقوية دفاعكم . بعد ذلك تصبحون فعلا خطرا حقيقيا عليهم .

ايها الرفاق : اننا صريحون معكم للغاية . اذا لم يتخذ قرار في الامم المتحدة وهجمت اسرائيل بعد اسبوعين على القاهرة ، فماذا تكون النتيجة ؟ انه احتمال لا يستبعد . ان ما نقوله لكم الآن لا يمثل رأينا وحدنا ، والا كان المحتمل ان نكون على خطأ . لقد استشرنا سبع دول اشتراكية وجميعها توصلت الى الرأي نفسه . اننا نعلم انكم اكثر حساسية في بعض القضايا ، لكن المشاكل لا تحل بالعواطف فقط . كان المشير عبد الحكيم عامر يطلب الاسلحة والمعدات منا ويقول ان لديه المدارس والكوادر اللازمة . لم نتدخل معه ، لكن تبين اننا كنا مخطئين ، لاننا لم نتأكد لا من كيفية استعمال هذه الاسلحة ولا التدريب عليها قبل ارسالها .

● بومدين : لقد طال النقاش وفهمنا رأيكم . وختاما للجلسة اود اولا ان اؤكد لكم باسم الاخوان المجتمعين في القاهرة اننا سنعمل ونحافظ على الصداقة في ما بيننا . في الوقت نفسه اود ان ألفت نظركم الى ان العلاقات معكم تمر في ظروف دقيقة وعصيبة ، والواجب يقضي ان نأخذ ذلك في الاعتبار . ثانيا ، لقد شرحنا لكم وجهة نظر اخواننا في القاهرة ، وعندما نعود اليهم سنعطيهم صورة واضحة عن موقفكم في موسكو . ثالثا ، اننا نؤكد ضرورة الاهتمام بالتدريب العسكري الجاد مع تقوية القدرة الدفاعية في كل من الجمهورية العربية المتحدة وسورية . رابعا ، ان عبد الناصر يطلب بالحاح وجوب تدعيمه بوسائل الدفاع . وقد تحدث مع بودغورني في هذا الموضوع ، وخاصة بالنسبة للدفاع الجوي بأي صورة من الصور وحسب ما ترونه صالحا وممكنا .

● عارف : لو قبلنا اقتراح انهاء حالة الحرب واصرت اسرائيل على الاعتراف بها وبحرية المرور ، فما هو موقفكم ؟

● بريجنيف : ما هو موقفكم انتم في هذه الحالة ؟

● عارف : نرفض تماما .

● بريجنيف : وبالتالي نحن نرفض معكم ايضا . اما في ما يتعلق بالمساعدات العسكرية فان خبراء الدفاع الجوي موجودون حاليا في الجمهورية العربية المتحدة ، وبمجرد عودتهم الى هنا سنتخذ قرارنـا بشأن المساعدات المطلوبة . قصة قديمة اود ان ارويها عن خبرائنا العسكريين قبل العدوان . كان لنا هناك ٤٠٠ خبير عسكري ، وكنا قد اوصيناهم ان لا يتدخلوا الا في ما يطلب منهم فقط ، وقد تقدم ضباطنا للقيادة العسكرية في الجمهورية العربية المتحدة بطلب لمشاهدة سيناء ، والاطلاع على خطة توزيع القوات . لكن طلبهم رفض ولم يسمح لهم بذلك .

موضوع اخير اود ان اطرحه قبل عودتكم الى القاهرة : قلتم انكم جئتم لابلاغنا رأي الرؤساء العرب المجتمعين في القاهرة . هل اتخذتم قرارات نهائية ، ام انكم

ستأخذون بعين الاعتبار ما تذاكرناه هنا ؟ بمعنى آخر ، هل جئتم لابلاغنا قراراتكم من باب العلم فقط ولا قيمة لملاحظات المعسكر الاشتراكي ؟ نود ان تعلمونا وتجيبونا على هذا السؤال .

● بومدين : سننقل كل ما قيل في اجتماعي الامس واليوم الى الزملاء في القاهرة .

● بريجنيف (وهو ينهض عن كرسيه) : الوقت ضيق . هيا بنا نتناول الغداء بسرعة لنتوجه معكم الى المطار من اجل وداعكم .

* * * *

(وخرج الوفدان من قاعة الاجتماعات حوالى الثانية بعد الظهر ، اي بعد اربع ساعات من الحوار الساخن . وبعد تناول غداء خفيف مع القادة السوفيات في قاعة الطعام بقصر الكرملين التي تتصدرها قصة سيدنا يوسف في مصر في لوحات تاريخية ، توجه الجميع الى مطار موسكو العسكري حيث استقل الوفد العربي الطائرة الخاصة في اتجاه القاهرة . وبعد طيران متواصل استمر خمس ساعات وصلت الطائرة الى القاهرة . ومن المطار فورا الى قاعة الاجتماع حيث الرؤساء العرب . لقد عبر الرئيس بومدين في بداية حديثه مع الرؤساء العرب عن ألمه من الموقف وقال : « لو قرأت بيان المعسكر الاشتراكي قبل سفريَ الى موسكو لما سافرت » .

وكان محمد احمد محجوب (السودان) قد وصل لتوه من نيويورك حيث حضر اجتماع الجمعية العامة . وكان محجوب قد برز دوره بعد الهزيمة في محاولة التقريب بين عبد الناصر والملك فيصل . ونقل محجوب للرؤساء العرب اجواء المواقف في الامم المتحدة والتي كادت تنسف ما تبقى من الاعصاب) .

٢ ـ مؤتمر الصمود العربي يستأنف جلساته في القاهرة .

● **الرئيسان الجزائري والعراقي يعرضان للمؤتمر انطباعاتهما عن الموقف السوفياتي .**

تفادي المواجهة العسكرية وحل سياسي مرحلي مع مواصلة الدعم العسكري والاقتصادي .

● **عبد الناصر يحدّد في المؤتمر موقف مصر الرسمي :**

يجب ان نفرق بين الحل السياسي والعمل السياسي ـ الحل السياسي القائم على انهاء حالة الحرب مع اسرائيل استسلام وتصفية نهائية للقضية ـ لن نستسلم والكفاح المسلّح هو الطريق الوحيد ـ لقد هزمنا ولكن قيادات الشعوب هي قيادات الازمات والنكسات ايضا ـ لنجنّد كل بندقية وكل صوت ونتجنّب المعارك الفرعية .

● **خطة للعمل في اتجاهين :**

اعداد القوات المسلحة للدفاع اولا ثم التحرير .

استخدام مهمة « يارينغ » كغطاء للعمل السياسي دون الوصول الى الحل السياسي.

● **عبد الناصر في اجتماع القيادة السياسية في مصر :**

تأجيل انسحاب القوات المصرية من اليمن الى ان يجلو الانكليز عن عدن ـ تحليل الموقف السياسي في العالم العربي ـ الوضع الخاص للاردن ـ رأي خاطئ للملك فيصل في السوفيات تجب مناقشته فيه .

● **نحو مؤتمر قمة عربي شامل .**

خلال اليومين اللذين قضاهما الرئيسان هواري بومدين (الجزائر) وعبد الرحمن عارف (العراق) في موسكو ، كان القلق ظاهرا على الرئيس جمال عبد الناصر . غير انه ـ في اعتقادي ـ كان قلقا من نوع آخر . لم يكن القلق الناتج عن الخوف ، بل كان من النوع الذي يسميه علماء النفس قلق التوثب . كانت في ذهنه اشياء كثيرة ، وخطة ما لم يبح بها حتى الى اقرب المقربين اليه . لكن الذين عرفوه وعاشوا معه عن قرب ، وانا منهم ، ادركوا ذلك دون ان يعوا حقيقة ما ينسج عقل عبد الناصر من خطة او خطط .

ولذلك عندما تبلغ عبد الناصر نبأ وصول الطائرة الخاصة التي تقل الزعيمين العربيين ، ونزولها في مطار القاهرة العسكري ، انفرجت اساريره . وقد سمعته يقول للذين حوله : على الاقل ، سنعرف رأي الاصدقاء في موسكو على حقيقته الآن .

لم يتوجه بومدين وعارف الى قصر الضيافة للراحة ، بل توجها مباشرة الى قصر الرئاسة في القبة ، وبالتحديد الى غرفة الاجتماعات حيث كان الرؤساء العرب بانتظارهما . لقد بدا الاعياء واضحا تماما على وجهي بومدين وعارف عند دخولهما القاعة . وشاهدت عبد الناصر يركز نظرة طويلة على وجه بومدين في محاولة لقراءة ملامحه . في ذلك الوقت كانت مشاكل الهزيمة ومتاعبها قد اخذت تتجسم وتتبلور ، وكان عبد الناصر الذي ارتفعت هامته بفعل صيحات الجماهير يوم ٩ و ١٠ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ عندما خرجت الى الشوارع في القاهرة وبغداد وبيروت ودمشق وكل العواصم العربية تدعوه للعودة عن استقالته ـ كان عبد الناصر قد انزوى في صمت يراجع ويدقق ويحاسب ولا يسمح بأية هفوة يرتكبها اخلص المخلصين اليه . كان عبد الحكيم عامر في ذلك الوقت قد فقد كل شيء ، وراح يتحفز للوثوب على السلطة . ولعل ذلك كان اقسى على قلب عبد الناصر من خناجر الهزيمة . كان عليه في تلك الايام ان ينظر امامه ، وان ينظر خلفه . ان ينام بعين واحدة . كان عليه ان يتثبت مما يجري في داخل مصر قبل ان يتطلع الى رسم ما يمكن ان يجري خارج مصر ، لذلك كان يعلق اهمية كبرى على زيارة الرئيسين بومدين وعارف الى موسكو . وقبل يوم من عودة الرئيسين الى القاهرة ، رافقته في نزهة قصيرة في حديقة منزله .

كان شاردا يفكر . قلت له مشجعا : خير يا ريس . محنة وتزول . تمتم بكلمات خافتة فهمت منها الصيغة التالية : ماذا لو ان السوفيات لهم رأي يخالف ما عقدنا العزم عليه ؟ ان موقف الاميركان واضح وصريح ، فهم يهدفون الى اسقاط النظام والقضاء على عبد الناصر شخصيا ، لكن موقف السوفيات غير معروف بالضبط . هل انهم على استعداد للمضي معنا الى نهاية الطريق ، ام ان الحسابات الدولية والظروف العالمية ستجبرهم على الوقوف عند حد معين ؟

لقد بدأ الاجتماع بحضور عبد الناصر وهواري بومدين وعبد الرحمن عارف ، وعبد الكريم الجندي نيابة عن الرئيس السوري نور الدين الاتاسي الذي اضطر للعودة الى دمشق ، والوزير السوداني محمد احمد محجوب نيابة عن الرئيس اسماعيل الأزهري الذي كان قد غادر القاهرة عائدا الى الخرطوم ايضا . وبينما غرقت القاعة في صمت عميق تناول الرئيس بومدين الكلام .

عبد المجيد فريد

* * * *

الجلسة الاولى : ١٩٦٧/٧/١٨

●● بومدين : بمجرد ان وصلنا مطار موسكو توجهنا مباشرة الى قاعة الاجتماعات في قصر الكرملين ، وبدأنا اللقاء مع الوفد السوفياتي الذي كان يضم بريجنيف ، كوسيغين ، غريشكو ، بناماريوف مسؤول المنطقة العربية في اللجنة المركزية ، وعددا من معاونيهم ، مدنيين وعسكريين . كذلك انضم الى وفدنا سفيرا العراق والجزائر في موسكو .

●● عارف : كان الحديث طويلا وشمل جلستين لمدة تسع ساعات تقريبا . وقد دارت المناقشات اساسا حول موضوعين : الاول العلاقات العربية ـ السوفياتية في هذه الظروف الدقيقة واحتمالات تأثرها ، وقد اكدنا لهم حرصنا على بقائها ، بل على تنميتها وتحسينها . والموضوع الثاني يتعلق بالمشروعات السياسية المقدمة في الامم المتحدة ، وقد استغرقت المناقشة حولها وقتا طويلا ، وخاصة موضوع انهاء حالة الحرب .

●● بومدين : قبل صعودنا الطائرة التي اقلتنا الى موسكو سلمنا سفير الاتحاد السوفياتي في القاهرة بيان دول الكتلة الشرقية الصادر عن مؤتمرهم في بودابست . وقد استرعى انتباهي في بيان المؤتمر ما ذكر عن الجزائر من ان لها رأيا متطرفا ، وقد يسبب هذا الرأي مشاكل للدول العربية التقدمية كلها . وبصراحة اقول : انني لو كنت قد قرأت البيان قبل وصولي الى المطار لما كنت قد سافرت شخصيا الى موسكو .

اما انطباعي العام من اجتماعنا في موسكو فهو ان السوفيات يرغبون في تمرير قرار حول المشكلة في الامم المتحدة بأي ثمن حتى تبقى المشكلة في ايدي المحافل الدولية ، والا ستتحول مسؤولية المشكلة بأكملها وتوضع على اكتافهم فقط . ولهذا كان الحاحهم مرات عدة اثناء المباحثات على ضرورة اصدار القرار ، مؤكدين ان هناك خطورة في الموقف اذا انتهت اجتماعات الامم المتحدة دون الوصول الى قرار من الامم المتحدة . كما لاحظت من خلال الحوار معهم وجود تناقضات في تحليلهم السياسي ، على اساس ان تحليلهم دائما نابع من الاعتبارات السياسية التي تؤثر عليهم . فمثلا ، انهم يصرون على محاربة الرجعية الداخلية في كل قطر عربي والتصدي لها بعنف ، وفي الوقت نفسه نجدهم ينادون بضرورة التحالف العربي

الكامل بغض النظر عما يحتويه المجتمع العربي من اتجاهات مختلفة في الوقت الحاضر . كما انهم ألحوا كثيرا على اهمية تمرير قرار الامم المتحدة بغض النظر عما يشمله القرار من مرور السفن الاسرائيلية في قناة السويس وخليج العقبة . واني اعتقد شخصيا ان سبب اتخاذهم هذا الموقف هو حرصهم على ان لا تصاب سمعة الاتحاد السوفياتي بهزيمة ديبلوماسية ، هذا بالاضافة الى موقفهم الاصلي تجاه اسرائيل كدولة .

اما عن موضوع التسليح فقد قالوا انهم ارسلوا الينا حتى الآن دفعات كثيرة من الاسلحة ، وانهم سيستمرون في هذا الالتزام . وشعوري ، شخصيا ، انهم فعلا سيستمرون في ذلك ، ولو انه يحتمل حصول بعض التأخير في وصول الاسلحة والمعدات المطلوبة .

وفي لقائنا مع بريجنيف على هامش الاجتماعين الرسميين ، طرحنا موضوع تسليح السودان فوافق بريجنيف . اما بالنسبة الى طلبنا الخاص بارسال بعض الفنيين والاطقم الكاملة لبعض الاسلحة والمعدات ، ولا سيما للدفاع الجوي في الجمهورية العربية المتحدة ، فقد ابلغونا ان هناك صعوبات فنية عديدة لتحقيق هذا الطلب . مثلا ، صعوبة التفاهم في اللغة بين افرادهم وبين الضباط والجنود المصريين . يضاف الى ذلك طول خط المواصلات بين موسكو والقاهرة بالنسبة الى الوحدات السوفياتية التي ستشترك في الخطة . ولكن في نهاية الحوار حول هذا الموضوع قالوا انه توجد حاليا لجنة عسكرية فنية في الجمهورية العربية المتحدة تدرس كافة التفاصيل مع المختصين ، وفي ضوء دراستها سيتم البت قريبا في الموضوع .

لقد اثار السوفيات في حديثهم معنا احتمال قيام حرب ذرية. في حال وجود عسكري سوفياتي في الجمهورية العربية المتحدة ، وكان ردي عليهم انه من المستبعد قيام حرب ذرية من اجل مشاكل تتعلق بالقاهرة او دمشق فقط ، لان الحرب الذرية تقوم لاسباب اكبر من ذلك كثيرا . كذلك اكد السوفيات انه غير ممكن لنا ، من الناحية العملية ، القيام بأي عمل عسكري ضد اسرائيل الا بعد سنتين او ثلاث سنوات ، وقد شرح لنا غريشكو ذلك مستعينا بخرائط عسكرية وبيانات تفصيلية عن الجبهة الاسرائيلية ـ العربية . لذلك فهم يرون ضرورة اللجوء الى الحل السياسي الذي سيعطي الوقت الكافي لاعادة البناء والاستعداد للعمل العسكري .

في حديثهم معي قالوا ان السياسة التي تقودها الجزائر هي سياسة خاطئة وخطرة على جميع الدول التقدمية . وهنا دارت مناقشات حادة بيني وبين بريجنيف وكوسيغين شعرت من خلالها ان السوفيات يخشون الاحتكاك المباشر مع الاميركيين في هذه المنطقة ، كما انهم يودون ان لا يسمعوا في الوقت الحاضر عبارة الكفاح المسلح . لذلك فان الحل المناسب الآن ، من وجهة نظرهم ، هو الحل السياسي . كما انهم ايضا ضد القضاء على دولة اسرائيل .

وفي الوقت نفسه اكدوا لنا ان المعسكر الاشتراكي مستعد لتقديم كافة المساعدات المطلوبة ، سواء كانت سياسية او اقتصادية او عسكرية . ومن اجل تنسيق الدعم المطلوب سيجتمعون في الشهر المقبل في بلغراد .

● ● عارف : سألتهم عن رأيهم في ما لو قرر العدو ان لا ينسحب الا بعد اعترافنا بدولة اسرائيل ، فأجابوا انهم في هذه الحالة سيؤيدوننا في رفض هذا الاحتمال . وقد كرروا لنا اكثر من مرة ان اتباع الحل السياسي سيوفر الوقت اللازم لنا للاعداد العسكري ، وبعده نصبح في مركز القوة لنتخذ ما نراه . لقد اشار بريجنيف في حديثه لنا ان لينين ، عندما وقع معاهدة بريست المعروفة ، تنازل فيها عن اقليم اوكرانيا وهو يقول : ان القائد الناجح هو الذي يعرف متى يتقدم ومتى ينسحب .

● ● محجوب وزير خارجية السودان (عاد محجوب من نيويورك بعدما حضر هناك معظم اجتماعات الجمعية العامة للامم المتحدة) : سمعنا الحديث نفسه والرأي ذاته من غروميكو وزير خارجية السوفيات في نيويورك . واعتقد ان السوفيات يودون ان يعترف العرب بدولة اسرائيل . انني انقل للسادة الرؤساء والاخوة المجتمعين في هذه القاعة ما يتردد حاليا في نيويورك بين اعضاء الوفود من ان السوفيات يطلبون قاعدة ذرية في الجمهورية العربية المتحدة والبلدان العربية ثمنا لتقديم المساعدة الفعالة لهم . اذا كنا كعرب نأمل في ان نكون قوة سياسية ناجحة داخل الامم المتحدة ، فعلينا ان نتفق جميعا على خط سياسي موحد ازاء هذه القضية ، لان الاختلافات بين مواقف الوفود العربية في الامم المتحدة كثيرة .

● عبد الناصر : ألاحظ ان الجلسة قد تأخرت ، وردود الفعل لم تستكمل بعد . كما ألاحظ الاعياء والتعب على الرئيسين العائدين من رحلة موسكو الطويلة . لذلك

انهي الاجتماع بشكر الرئيسين ، والوفود المرافقة لهما ، على الجهد الكبير الذي تحملاه ، وعلى الحوار العربي المخلص الذي اداراه مع السوفيات في هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الامة العربية ، واقترح استئناف الجلسة في اليوم التالي الاربعاء في الساعة العاشرة صباحا . وقبل ان نغادر القاعة اود ان اصارحكم ببعض الشكوك التي تقلقني الآن :

- اولا ، واضح ان هناك ، فعلا ، ضغطا من السوفيات لتمرير قرار في الامم المتحدة ، اي قرار .

- ثانيا ، يحتمل ان يكون قد حدث اتفاق بين السوفيات والاميركان حول التصرف في هذه القضية ، وسبب وجود هذا الشك عندي امور ثلاثة :

أ - انهم قالوا في حوارهم مع الاخ بومدين : لا تنزعجوا من الكلام مع الاميركان .

ب - لم يخطرونا بما جرى من مباحثات في لقاء جونسون مع كوسيغين اثناء وجوده في الولايات المتحدة الاميركية .

ج - موافقة الماريشال زاخاروف على المساهمة في الدفاع الجوي في الجمهورية العربية المتحدة سحبت بعد يومين تحت ستار وجود صعوبات فنية .

على كل حال يجب ان نرتاح بضع ساعات ، ثم نجتمع غدا في العاشرة صباحا .

الجلسة الثانية : ١٩٦٧/٧/١٩

(في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي الاربعاء الواقع في ١٩ يوليو- تموز - ١٩٦٧ اجتمع الرؤساء والاعضاء في قاعة الاجتماعات في قصر القبة لاستكمال مناقشاتهم حول رحلة موسكو ، وللاتفاق على خطواتهم الجديدة . وكانت الجلسة قصيرة اعتمدت فقط على توضيح آراء المجتمعين . وقد حرص عبد الناصر على عدم الدخول تفصيليا في المناقشات لاسباب لا اعرفها ، ولكنني اعتقد انها تتعلق بعدم رغبته في كشف كل اوراقه ، خاصة وان الاجتماع لم يكن اجتماع قمة بالمعنى الصحيح ، اي بوجود كل الرؤساء ، بل كان هناك من ينوب عنهم . وفي ما يلي خلاصة آراء الرؤساء والاعضاء الذين حضروا الاجتماع) .

● ● بومدين : طالما اننا نفكر جديا في حل سياسي فاني ارى انه يجب ان لا نربطه

بقرارات الجمعية العامة الحالية ، بل علينا ان ندرس الحل السياسي ككل ، بكافة تفاصيله . واذا وجدنا ان ذلك سيصل بنا الى تصفية نظم الحكم التقدمية ، عند ذلك نختار طريقا آخر .

● ● عارف : واضح ان السوفيات لا يؤمنون بالقتال وحتمية الكفاح المسلح في هذه القضية ، بل يريدون كسب الوقت . انهم لا يريدون ان يفشلوا في الامم المتحدة . وفي الوقت نفسه لا يريدون ان يخسروا اصدقاءهم . اعتقد انها مواقف متناقضة من ناحية التطبيق العملي ، وعلينا كعرب ان نقرر موقفنا في ضوء ذلك ، وفي ضوء ان العدو يقف الآن على حدود عاصمتين عربيتين ، وان من الجائز ان يتحرك . رغم ذلك فلن يقف معنا احد من دول الامم المتحدة . اذاً علينا الآن ان نكسب الوقت اللازم للمناورة وللاستعداد . اما موضوع الاعتراف باسرائيل فهو موضوع عربي عام ولا يخص المجتمعين هنا فقط .

● ● محجوب : اعتقد ان الموقف اصبح واضحا امامنا : اما ان نتحرك عسكريا ، وقد يكون ذلك الآن حلا انتحاريا ، او ان نتحرك في اطار حل سياسي نفكر فيه جيدا ، وهذا يستلزم جمع الامة العربية كلها من اجل ايجاد الحل السياسي المعقول .

● ● عارف : اقترح ان يقوم الاخ الوزير محجوب بزيارة جميع الدول العربية لبحث الموضوع معها تمهيدا لقبول الحل السياسي المناسب .

● عبد الناصر : قبل ان ابدي رأي الجمهورية العربية المتحدة في الموضوع الاساسي ، احب ان اوضح تصوري حول نقطة هامة . انني اعتقد ان سبب موقف السوفيات تجاه الجزائر والرئيس بومدين ، هو انهم تصوروا ان موقف الجزائر يتمشى مع موقف الصين . واليوم هاجمت الصين قائد الاسطول السوفياتي الموجود في بور سعيد لوقوفه سلبيا من معركة حربية دارت على بعد عشرين كيلومترا منه دون ان يتحرك لمشاركة قواتنا في العملية .

اما عن الموضوع الرئيسي فانني اعتقد ان هناك فارقا بين العمل السياسي والحل السياسي . وفي رأيي ان الحل السياسي ، بطريقة الروس او الاميركان ، ليس حلا سياسيا لكنه استسلام .. بل هو تصفية نهائية للقضية . علينا ان ندرك ايضا انه عندما نقول « حل سياسي » فهذا يعني انه لا بد من دفع ثمن ما . اذن ، فالطريق

امامنا مسدود . وعندما يكون الطريق مسدودا يصبح الطريق الوحيد هو الكفاح المسلح .

في رأيي ان مؤتمر القمة العربي المقترح هو عمل سياسي ولن نخرج منه بحل سياسي . احنا الآن مثل السمكة التي شبكت فيها الصنارة . اما ان تقطع السمكة الخيط ، او ان تسحب الصياد الى البحر ، او يسحبها الصياد خارج البحر لتموت .

نحن نرى ان قرار السوفيات في الامم المتحدة غير مقبول ، لانه لا يمكننا قبول انهاء حالة الحرب ، والا فالهزيمة تصبح هزيمتين . لكن هذا الموقف لا يمنع استمرار العمل السياسي الذي ينتهي بانتهاء اجتماعات الجمعية العامة للامم المتحدة . ان عقد مؤتمر قمة عربي سيساعد على استمرار العمل السياسي في المنطقة . اما اذا كان لا بد من الحل السياسي فان الشكل الذي اتصوره هو ان يكون هذا الحل حول بعض القضايا الهامشية المحدودة بحيث لا يمس القضايا المصيرية .

فلنحاول في هذه المرحلة ان نجند معنا كل بندقية ، ونجند معنا كل صوت . فلنضع في الوقت الحاضر جانبا موضوع الدول العربية التقدمية والدول العربية الرجعية ، ولنتجنب المعارك الكلامية ونحن في غنى عنها .. على الاقل لغاية ما يخرجوا اليهود ، وبعدين اللي عايز يقول او يعمل حاجة يبقى ينفذها .

وفي الوقت نفسه لا بد ان نعمل من اجل الكفاح المسلح . وعندما يجد السوفيات اننا مصرون تماما على الكفاح المسلح سيجدون انفسهم مضطرين للسير معنا ، بالرغم من تخوفهم الدائم من ان الكفاح المسلح في جبهاتنا قد يشعل المنطقة كلها .

اخيرا ، لقد علمت من الرئيس الاخ بومدين ان السوفيات في موسكو تحدثوا كثيرا عن هزيمتنا العسكرية ، وانتقدوا بمرارة وضع الجيوش العربية التي انسحبت وتركت الاسلحة والمعدات على ارض المعركة . احنا هنا كقيادة يجب ان لا نتأثر كثيرا بما يقال عنا . لقد هزمنا فعلا . وبنشرب الآن الكأس المر . القيادات الحقيقية هي التي لا تشرب الكأس الحلو فقط ، وانما تشرب ايضا الكأس المر اذا اضطرت لذلك . قيادات الشعوب ليست قيادة انتصارات فقط ، وانما هي قيادة انتصارات وقيادة ازمات ونكسات ايضا . وهي ، كما تقبل تصفيق الجماهير اثناء النصر ، عليها ان تقبل طعنات الجماهير عند الهزيمة . هذه هي سنة الحياة . وكما قلت ، فاننا لا نأبى ان نشرب الحلو ونشرب المر ايضا . احنا بنقول الآن لن نستسلم ..

لن نستسلم وحاجي يوم ينتهي فيه الكأس المر ونشرب مع بعض مرة ثانية الكأس الحلو .

* * * *

(بهذه الكلمات انهى عبد الناصر الاجتماع ليبدأ بعد يومين اجتماعات متواصلة مع القيادة السياسية في الجمهورية العربية المتحدة . كان عبد الناصر قد اتخذ قراره واختار لسيره اتجاهين اراد السير عليهما في وقت واحد . الطريق الاول اعادة بناء القوات المسلحة فورا ، وبأسلحة سوفياتية ، وقد اصدر اوامره بوضع خطة تدريب شاقة وقصيرة المدى بحيث تصبح القوات العسكرية قادرة على الدفاع عن ارض الجمهورية في المرحلة الاولى ، ثم قادرة بعد ذلك على القيام بحرب التحرير . ولكي يكسب الوقت استخدم عبد الناصر مهمة يارينغ كغطاء في العمل السياسي دون الوصول الى الحل السياسي .

بعد الهزيمة كان الملك حسين اول من طلب الى عبد الناصر ضرورة الدعوة الى عقد مؤتمر قمة عربي شامل . وقد ارسل الملك حسين عددا من وجهاء الضفة الغربية والقدس للذهاب الى القاهرة والالحاح على عبد الناصر بالدعوة الى مؤتمر قمة . كان عبد الناصر يرفض ذلك اعتمادا منه على موقف السوفيات . لكن بعدما اتضحت حقيقة الموقف ، قرر القبول بالدعوة الى عقد مؤتمر قمة عربي ومواجهة خصومه العرب وهو مهزوم بعدما كان يواجههم وهو منتصر .

وفي احد الاجتماعات التي عقدها عبد الناصر مع القيادة السياسية في الجمهورية العربية المتحدة لبحث موضوع مؤتمر القمة قال :)

● عبد الناصر : بشأن استخدام سلاح البترول ، فانني اقول ان عملية منع ضخ البترول الى الدول التي تعاونت مع العدو في عدوانه ، ستكون شكلية الى حد كبير . لقد قلت ذلك لبودغورني في حديث ثنائي جرى بيني وبينه قبيل مغادرته القاهرة . اما في ما يتعلق بموقفنا في اليمن فان الخلاف بيننا وبين السعودية استمر سنوات عدة . والثورة الآن في اليمن قد استقرت ، ومن الصعب عودة النظام الملكي الى صنعاء . لقد كان لنا في اليمن ثمانية ألوية عسكرية عندما نشبت حرب ١٩٦٧ . كنا في اشد الحاجة لعودة هذه القوات للاشتراك في الحرب ، غير انني رفضت اعادتها بالكامل ، ولم اسحب منها سوى لواءين فقط مع بعض وحدات من

المدفعية . كان سبب رفضي لاعادة جميع القوات العربية هو خوفي من ان يؤدي انسحابها من اليمن الى مماطلة بريطانيا في الانسحاب من عدن . وحتى لو انسحبت قواتنا من اليمن ، فاننا قد اعددنا قوة عسكرية خاصة تتجه الى عدن يوم ١١/٣٠/ ١٩٦٧ (موعد انسحاب القوات البريطانية) لحماية استقلال عدن وتدعيمه . وفي ما يتعلق بالسعودية والمملكة المغربية وتونس ، فانهم ينسقون المواقف ضدنا . لكن شعب تونس بالذات شعب عربي ، وقد تحرك سياسيا وتظاهر في المدن الكبرى واشعل النار في السفارة الاميركية مما ارغم بورقيبة على ان يعلن عن استعداده لمساعدتنا .

اما سورية والجزائر فانهما ترفضان تماما التعاون مع القوى الرجعية العربية ، وهما ضد اي مؤتمر تشترك فيه هذه القوى .

وفي عمان فان الملك حسين يسير الآن في خط وطني وهو يلح على عقد مؤتمر قمة عربي . ومن جانبي سأقف الى جوار الملك حسين لدعم اقتصاده المتدهور ، ولو على حساب عيشنا ، لانني لا انسى له موقفه منا خلال الحرب .

اما في الرياض فهناك رأي آخر . وقد طرحه الملك فيصل في اجتماعه بالسفراء العرب . كان رأي فيصل ان على العرب ان يضعوا الاتحاد السوفياتي في خانة الاعداء مع اميركا واسرائيل . انه رأي مغلوط ، وتجب مناقشته مع صاحبه . هذه هي خلاصة الموقف العربي ، وعلى كل حال يجب الاستعداد منذ الآن لمواجهة اللي يحبنا واللي يكرهنا في مؤتمر قمة عربي شامل .

الفصل الثالث

مؤتمر القمة العربي في الخرطوم ١٩٦٧
اللاءات الثلاث

الخريطة السياسية للعالم العربي عشية مؤتمر القمة ـ الدوافع وراء قرار عبد الناصر حضور المؤتمر ـ الموقف العالمي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ـ قلق عظيم على الضفة الغربية والقدس ورأي خاص لعبد الناصر ـ كتلة ليكود ـ العمل على الجبهة الدولية ـ المقترحات الاميركية السوفياتية ـ مشروع تيتو ـ مفهوم العمل السياسي وحدوده وضوابطه ـ مناقشة ساخنة بين الشقيري والملك حسين : لا احد مفوض بقبول حل للقضية ـ الجزائر : اين المشروع العربي ؟ نرفض اي حل يمسّ جوهر القضية الفلسطينية ـ لا مفاوضة ولا اعتراف ولا صلح ـ استئناف ضخ البترول ـ المؤتمر في استراتيجية عبد الناصر : تعبير عربي يرفض الاستسلام ودعم اقتصادي يعزز الصمود .

عبد الناصر :

- نلتزم امام التاريخ : لن نتفاوض مع اسرائيل ولن نتنازل عن حقوق شعب فلسطين .
- المقترحات الاميركية مرفوضة لانها تؤدي الى الاستسلام والمذلة .
- الضفة الغربية اهم كثيرا من سيناء وخوفي عليها لا على سيناء .

رئيس الوزراء السوداني محمد احمد محجوب كان شاعرا يشتغل في السياسة ، وكان على علاقة طيبة بجمال عبد الناصر بالرغم من خلافهما السياسي وبالرغم من موقف محجوب من قضية الوحدة بين السودان ومصر بصورة خاصة ، وقضية الوحدة العربية عموما . كان عبد الناصر ينظر الى محجوب نظرة الرجل الذي يتعاطى السياسة على طريقة قرض الشعر الحديث . لذلك كان يأنس الى مجالسه ويستظرف حضوره . وكان محجوب يعرف مكانته هذه عند عبد الناصر ، لذلك لعب دورا بارزا في التحضير لعقد مؤتمر الخرطوم . ومن أجل تحقيق هذا الغرض تنقل محمد احمد محجوب في العواصم العربية ، ثم حصر تنقلاته بين القاهرة والرياض على وجه الخصوص . وفي هذا المجال يمكن اعتبار محجوب اول من اكتشف الاتصالات المكوكية قبل ان يتبعها بعد ذلك هنري كيسنجر . وخلال تنقلات محجوب بين القاهرة والرياض لمس الخلاف الشاسع الذي بين عبد الناصر وبين الملك فيصل . في البداية ، ابدى الملك فيصل تحفظات حول حضور مؤتمر القمة . قابل عبد الناصر هذه التحفظات برفض عقد المؤتمر من الاساس ، وكان يرى ان الوقت ليس مناسبا لعقد مثل هذا المؤتمر . غير ان محجوب ، الذي اعتبر عقد مؤتمر قمة عربي في الخرطوم هو هدف حياته ، لم يشعر بالكلل ولا بالملل ، بل استمر يفاوض ويفاوض حتى استطاع ان يضيق شقة الخلاف بين الزعيمين العربيين ، وتكللت مساعيه في النهاية بالنجاح .

واذا عمل محجوب في العلن لعقد المؤتمر ، فان الملك حسين قد عمل في الخفاء من اجل الهدف ذاته . وضغط ملك الأردن كثيرا على عبد الناصر ، في الوقت الذي كان عبد الناصر يحس تجاه الملك حسين بالضعف نتيجة لموقفه في حرب ١٩٦٧ . لقد عزف الملك حسين على وتر حساس بالنسبة لعبد الناصر . كان حسين يعرف ان عبد الناصر شديد القلق على مصير الضفة الغربية والقدس . وكان يعرف ايضا ان عبد الناصر قال في اجتماع رسمي : لتبق اسرائيل هنا في سيناء عشرة اعوام او اكثر ، في النهاية سنطردها ونزيحها الى ما وراء الحدود . لكن الضفة الغربية والقدس امر يختلف . فهناك كثافة سكانية عربية وقعت تحت

الاحتلال الصهيوني . ان اكثر من مليون مواطن عربي وجدوا انفسهم خلال ساعات عدة تحت نير الاحتلال اليهودي ، ويجب تخليصهم منه بأسرع وقت وبأية طريقة وتحت اي ظرف من الظروف .

الحقيقة ان عبد الناصر كان يخشى عقد مؤتمر قمة عربي بعد الهزيمة . كان يائسا من امكانية الوصول الى موقف عربي موحد . وكان يرى انه لو تم عقد هذا المؤتمر تحت تأثير ظروف الهزيمة فان قاعة اجتماعات المؤتمر ستتحول الى مسرح لتبادل الاتهامات والمزايدة والشماتة .

كان عبد الناصر ينظر الى الوضع العربي بعد الهزيمة نظرة شرحها للرئيس السوفياتي بودغورني في اجتماعهما الثنائي الخاص يوم ٢٢ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ على النحو التالي :

ـ اولا : « من المنتظر ان تكون عملية وقف ضخ النفط العربي الى الدول التي حرضت وساعدت العدوان الاسرائيلي عملية شكلية الى حد كبير . هذا اذا وافقت الدول البترولية على مبدأ وقف ضخ البترول الى حين ازالة آثار العدوان . (موسكو كانت تعلق اهمية كبيرة على ضرورة اتخاذ موقف عربي موحد لقطع البترول عن دول الغرب ، او عن بعضها على الاقل) .

ـ ثانيا : « ان سبب الخلاف بين السعودية وبين مصر هو موقفنا من ثورة اليمن . لكن الثورة الآن استقرت في اليمن ، ومن الصعب عودة الأوضاع القديمة اليها . وقد رفضت سحب جميع القوات المصرية العاملة في اليمن خوفا من ان تتلكأ بريطانيا في سحب قواتها من عدن .

ـ ثالثا : « ان السعودية وتونس تنسقان ضدنا وترفضان التعاون معنا حتى في البديهيات .

ـ رابعا : « ان سورية والجزائر ترفضان بصورة جذرية التعاون مع القوى العربية الرجعية ، وبالتالي فانهما ترفضان ايضا حضور اي مؤتمر قمة عربي .

ـ خامسا : « ان الملك حسين يتبع الآن سياسة وطنية ، ومن جهتي فأنا سأقف الى جانبه وسنساعده ولو على حساب عيشنا » .

كانت هذه هي الخريطة السياسية للعالم العربي بعد الهزيمة كما شرحها

عبد الناصر لضيفه بودغورني . ومما زاد في قناعة عبد الناصر بعدم جدوى عقد مؤتمر قمة عربي ، ما وصله من معلومات عن اجتماع عقده الملك فيصل في جدة لسفراء الدول العربية والاسلامية . قال الملك فيصل في هذا الاجتماع حرفيا ما يلي : « اننا اذا اعتبرنا اميركا وبريطانيا شريكتين في الاعتداء علينا ، فيجب ان نعتبر الاتحاد السوفياتي ايضا شريكا في هذا الاعتداء ، خصوصا انه قد غرر بنا وتعهد لنا بمساعدتنا ، فلما وقع العدوان علينا تملص من وعوده وانكشف على حقيقته . من هذا المنطلق يجب اعتبار الاتحاد السوفياتي خائنا ومخادعا ، ومجرما ايضا » .

وفي نهاية اجتماع الملك فيصل مع السفراء قال ايضا بالحرف الواحد : « على كل حال ، سوف نقف مع اخواننا العرب ، ولكن لا بد من ابداء رأينا بصراحة قبل كل شيء . ثم ما هي الفائدة التي يجنيها العرب من وراء قفل آبار البترول . وكيف يستطيع العرب بناء اقتصادهم والنهوض بجيوشهم من نكستها ، وبعضهم لا يملك المال الكافي لشراء الرغيف ؟ » .

هذا الكلام ، وهذا الموقف السعودي الواضح ، دفعا عبد الناصر الى القناعة بعدم جدوى عقد مؤتمر قمة . لكنه ازاء الضغوط التي مورست عليه ، وافق على عقد المؤتمر انما قرر عدم حضوره شخصيا . وجمع عبد الناصر زملاءه اعضاء مجلس قيادة الثورة وقال لهم : « لقد قررت ان اكلف الاخ زكريا محي الدين حضور مؤتمر القمة نيابة عني . ان وراء قراري هذا ثلاثة اسباب اود ان اشرحها لكم بكل صراحة . السبب الاول انني لا اريد ان اعرض نفسي لهزيمة سياسية بعد الهزيمة العسكرية . والسبب الثاني اعتقادي بأنني سأواجه في المؤتمر بشعور الشماتة من قبل من وقفت ضدهم في معارك الهول في طول الوطن العربي وعرضه . والسبب الثالث واقولها بكل صراحة ، انني اخشى مواجهة رجل الشارع العربي في الخرطوم » .

ولم يزد عبد الناصر على ما قاله ، لكننا فهمنا ما كان يعنيه . كان عبد الناصر على استعداد لتحمل اي شيء وكل شيء : الهزيمة العسكرية وغدر المقربين وشماتة الاصدقاء ، لكنه لم يكن مستعدا لان يتحمل سماع الهتافات الشعبية ضده . فعبد الناصر اعتبر منذ بداية حياته السياسية ان الشارع العربي هو جيشه الحقيقي ، فماذا يتبقى له لو تخلى عنه هذا الجيش ؟

وعندما عرف محجوب ، وبالتالي الملك حسين ، بأن عبد الناصر لا يرغب حضور المؤتمر شخصيا اصيبا بالذعر ، لان ذلك يعني الحكم بفشل المؤتمر قبل انعقاده . اذا كان عبد الناصر لا يحضر ، فمن يضمن ان يحضر الملك فيصل او الملك الحسن الثاني ، او بقية الملوك والرؤساء ؟ ان حضور عبد الناصر شخصيا هو المفتاح ، وبدونه يبقى الباب امام التفاهم العربي موصدا . وقد عاد عبد الناصر فأدرك هذه الحقيقة كما ادرك انه لا بد من مواجهة ما يخشاه في الشارع السوداني الآن وليس غدا . واذا كان الشارع العربي قد اصدر حكمه على عبد الناصر ، فمن الاجدى والانفع ان يعرف هذا الحكم . وعندما عرف محمد احمد محجوب بقرار عبد الناصر هذا كاد يرقص من الفرح ، واعتبر ان حلم حياته قد تحقق .

قبل اربعة ايام من موعد انعقاد المؤتمر ، سافرت الى الخرطوم على رأس بعثة سياسية وادارية للاشراف على الاعداد للمؤتمر . والحقيقة ، اقول : انني كنت خائفا من نتائج التجربة التي سيخوضها عبد الناصر في هذا المؤتمر . كنت عالما بالهواجس التي تقلقه ، وكنت اخشى عليه من صدمة اخرى قد تودي به . لكن قلقي بدأ يتلاشى شيئا فشيئا بعد وصولي الى العاصمة السودانية . وحرصت ، اول ما حرصت ، على القيام بجولة في شوارع الخرطوم من اجل معرفة احاسيس الشعب السوداني في تلك اللحظات . ما رأيته في شوارع الخرطوم اثلج قلبي بالفعل . كانت شعارات الترحيب بعبد الناصر تغطي الجدران والنوافذ والابواب ، حتى شملت جدران السفارة الاميركية في الخرطوم . لقد شعرت بالاطمئنان نتيجة هذه الجولة وابرقت باحساسي هذا الى القاهرة .

يوم وصول طائرة عبد الناصر الى العاصمة السودانية كنت في انتظاره في المطار مع مجموعة من الرسميين . فجأة تقدم مني الوزير السوداني المشرف على استقبال الوفود (لا اتذكر اسمه) وقال لي ان طائرة عبد الناصر تحلق الآن فوق المطار . ثم اضاف : هل يمكن تأجيل هبوط طائرة عبد الناصر كي تهبط طائرة الملك فيصل اولا ؟ استغربت هذا الطلب وسألت الوزير السوداني : ومتى تصل طائرة الملك فيصل ؟ قال بشيء من الارتباك : « بعد عشر دقائق » . قلت : ليه ؟ وما هو السبب في اتخاذ هذا الاجراء الغريب ؟ انك تقول ان طائرة الرئيس عبد الناصر تحلق الآن فوق المطار ، وطائرة الملك فيصل بحاجة الى عشر دقائق للوصول . انا مش فاهم ؟ رد الوزير السوداني : « ارجو ان تقدر الموقف . لو

انتا سمحنا لطائرة عبد الناصر بالهبوط الآن لذهبت الجماهير خلفه وخلت الشوارع تماما . وبهذا لن نجد احدا في استقبال الملك فيصل . لو حدث هذا قد يتأثر الملك وقد ينعكس تأثره على امكانيات نجاح المؤتمر » .

اقتنعت بمنطق الوزير السوداني ، ووافقت على تأجيل هبوط طائرة عبد الناصر متحملا كامل المسؤولية . وعندما شرحت الامر لعبد الناصر ونحن في طريقنا من المطار الى دار الضيافة في الخرطوم باقتضاب ، ابتسم وقال لي : « الآن عرفت لماذا حلقت طائرتي خلال ربع ساعة فوق مطار الخرطوم قبل ان يؤذن لها بالهبوط » .

كانت لحظة نزول عبد الناصر من طائرته في الخرطوم لحظة تاريخية لم اشهد لها مثيلا من قبل . لقد انهارت كل الترتيبات التي قضت لجنة الاستقبال اياما في اعدادها ، وسقطت كل الحواجز التي اقامتها اجهزة الامن . اقتحمت الجماهير ارض المطار وضربت نطاقا بشريا حول عبد الناصر ، وتعالت الهتافات بحياة البطل وبحياة العروبة وبالثأر من اميركا واسرائيل . وراح موكب عبد الناصر يتهادى في شوارع الخرطوم وسط بحر هائج من البشر . لقد خرجت العاصمة المثلثة كلها تستقبل عبد الناصر دون ان تدرك انها كانت السبب المباشر في اخراج عبد الناصر من جو الهزيمة الذي كان يعيشه ، ودون ان تدرك ايضا انها قد منحته القوة من اجل الانعطاف في اتجاه طريق الصمود والردع والمقاومة .

غير ان الجو الجماهيري الذي عاشه عبد الناصر في الخرطوم كان يختلف عن الجو الذي عاشه داخل قاعة المؤتمر .

عبد المجيد فريد

* * * *

اهم مناقشات المؤتمر ـ ١ ، ١٩٦٧/٨/٢٩ ـ ١٩٦٧/٩/١

(بدأ مؤتمر قمة الخرطوم ، الذي عرف في ما بعد بمؤتمر اللاءات الثلاث ، اعماله في يوم ٢٩ اغسطس (آب) ١٩٦٧ . تمثلت الوفود العربية بالملوك والرؤساء : عبد الناصر (الجمهورية العربية المتحدة) الملك فيصل (السعودية) الملك حسين (الاردن) عبد الرحمن عارف (العراق) الامير صباح السالم الصباح (الكويت) شارل حلو (لبنان) عبد الله السلال (اليمن) الامير حسن الرضا (ولي عهد

ليبيا) اسماعيل الازهري (السودان) احمد الشقيري (منظمة التحرير الفلسطينية) عبد العزيز بوتفليقة (وزير خارجية الجزائر نائبا عن الرئيس هواري بومدين) احمد بن هيمة (رئيس وزراء المغرب مندوبا عن الملك الحسن الثاني) الباهي الادغم (تونس مندوبا عن الرئيس بورقيبة) . وغابت سورية عن المؤتمر في الوقت الذي كان نائب رئيس الوزراء ابراهيم ماخوس مقيما في الخرطوم . كان ماخوس ينشط في غير فترات انعقاد الجلسات . وعندما تعقد الجلسات كان يجلس هادئا في شرفة « الغراند اوتيل » .

وكان يوم ٣١ اغسطس (آب) نقطة تحول في تاريخ المؤتمر . اذ تقرر في جلسته الصباحية استمرار ضخ البترول الى العالم ، على ان تقوم دول النفط بتقديم الدعم المالي لدول المواجهة من اجل الاعداد العسكري والصمود الاقتصادي . وقد وافق المؤتمر بالاجماع على ان تقدم دول النفط مبلغ ١٣٥ مليون جنيه (٥٥ مليون جنيه من الكويت ، و ٥٠ مليون جنيه من السعودية ، و ٣٠ مليون جنيه من ليبيا) خصص منها لمصر ٩٥ مليون جنيه وللاردن ٤٠ مليون جنيه . بعد هذا القرار اصبحت الرؤية واضحة تماما ، وظهر للجميع ان الهزيمة جمعت العرب . وفي الجلسة المسائية التي عقدها المؤتمر اتجهت كل الانظار والآذان نحو جمال عبد الناصر لمعرفة ما يمكن ان يقوله بعد اتخاذ قرار الدعم الاقتصادي) .

● عبد الناصر : يجب ان نضع في حساباتنا نقطتين اساسيتين عندما نتعرض لموضوع العمل السياسي ، وهما الاعداد العسكري والصمود الاقتصادي . ولا شك في ان القرار الذي اتخذ في الجلسة السابقة والخاص بالدعم الاقتصادي سيساعدنا كثيرا على الصمود . يجب علينا ان نضع في حساباتنا ايضا ان هناك اتفاقا بين اميركا والاتحاد السوفياتي على حل القضية بالصيغة السياسية . وهذا ما عبر عنه المشروع السوفياتي ـ الاميركي الذي ارتكز على نقطتين رئيسيتين ، هما : انهاء حالة الحرب والانسحاب من الاراضي المحتلة . هذا بخلاف مواضيع فرعية اخرى كموضوع القدس والملاحة البحرية . من جانبنا نحن رفضنا المشروع في الامم المتحدة . وعلى بقية العرب ان يحددوا مواقفهم الآن . وارجو ان يكون مفهوما لدينا جميعا اننا عندما نتكلم عن العمل السياسي فان ذلك لا يعني اننا لن نأخذ فقط ، بل سنعطي ايضا . وهنا يجب ان نبحث ماذا سوف نعطيه . وبمعنى آخر ، ما الذي نستطيع ان نعطيه . ان الموقف العالمي الآن يختلف تماما عما كان عليه عام ١٩٥٦ . في

ذلك العام اتفقت كل من اميركا والاتحاد السوفياتي على الوقوف في وجه العدوان الثلاثي . اما في سنة ١٩٦٧ فقد اتفقت اميركا والاتحاد السوفياتي على حق اسرائيل في الوجود والحياة . كما اتفق الاثنان ايضا على انهاء حالة الحرب .

ان العمل السياسي شاق ويحتاج الى نضال عنيف . ان الموقف السياسي بالنسبة الينا في مصر اختلف كثيرا بعدما اتخذنا هنا في المؤتمر قرار الدعم الاقتصادي لدول المواجهة ، لانهم هناك في واشنطن كانوا يعتقدون اننا سنستسلم بعد ستة اشهر . لكن هذا الدعم سيمكننا من الصمود . لقد اصبح دخلنا من قناة السويس ، الذي توقف بعد العدوان ، لا يؤثر علينا كثيرا . لذلك فأنا دائم القول ان موقفنا في مصر يختلف كثيرا عن موقف الملك حسين في الاردن ، لاننا في مصر نستطيع ان نصمد سنة وسنتين واكثر ، خصوصا بعدما توصلنا الى حل مشكلة العملة الصعبة بالقرار الاقتصادي الذي اتخذ في جلسة صباح اليوم . اما بالنسبة للمناطق الآهلة بالسكان في الاراضي المحتلة كالعريش ورفح وغزة ، فهناك مقاومة شعبية بطولية للاحتلال الاسرائيلي ، وهي مستمرة بالرغم من عمليات الاعدام بالجملة التي نفذت منذ ايام ضد رجال المقاومة ، وبالرغم من عمليات نسف المنازل التي تتم بشكل عشوائي في قطاع غزة .

اننا في مصر بالرغم من كل شيء قادرون على المقاومة وعلى النضال ، وقادرون ايضا على رفض اي عرض مشبوه لا يحقق مطالبنا . اننا في مصر نستطيع الانتظار حتى نستكمل استعدادنا العسكري ، وعندئذ نقوم بالعمل الوحيد الذي تفهمه اسرائيل جيدا ، وهو تحرير الارض بالقوة . من هنا فانني لست قلقا بالنسبة للموقف في مصر ، ولكن ما يقلقني حقيقة هو الموقف في الضفة الغربية . وهنا يجب ان نسأل انفسنا : هل ان عامل الوقت بالنسبة للضفة الغربية سيكون في صالحنا ام لا ؟ انا شخصيا اعتقد انه لن يكون في صالحنا على الاطلاق .

انني اتابع بالتفصيل كل ما يحدث في اسرائيل اليوم . لقد اندمجت الاحزاب الثلاثة ، التي تمثل قمة التطرف في اسرائيل ، في كتلة واحدة تحت اسم « ليكود » . وهذه الكتلة تصر على الاحتفاظ بالضفة الغربية بأكملها وعدم التفريط في اي شبر منها . ولهذا يجب ان نسرع بالتحرك ونبذل اقصى جهدنا لاستعادة القدس والضفة الغربية بالوسائل المتاحة لدينا في الوقت الحاضر ، لاننا لو تأخرنا قليلا فلن تعود القدس ولن تعود الضفة الغربية .

هنا ينبغي ان نطرح على انفسنا سؤالا آخر : هل يمكن استعادة الارض المحتلة الآن عن طريق الحل العسكري ؟ اعتقد ان الاجابة واضحة على هذا السؤال ، وهي ان هذا الطريق ليس مفتوحا امامنا في الوقت الحاضر . اذن ليس امامنا سوى طريق واحد هو العمل السياسي من اجل استعادة الضفة الغربية والقدس .

عندما حضر الينا الملك حسين في القاهرة كنت اشعر بالمشكلة الحقيقية بالنسبة للضفة الغربية . كنت اتألم من اجلها ، ومن اجل اهلها ، وكان احساسي بها وألمي لها اضعاف ألمي لسيناء . لان الضفة الغربية مزدحمة بسكانها العرب وقد سقطوا الآن في قبضة الاحتلال اليهودي ، في الوقت الذي نقف نحن مكتوفي الايدي لا نستطيع ان نفعل شيئا من اجلهم . ان سيناء تكاد تكون خالية من السكان ، كما ان مصر لن تهدأ لحظة عن تحريرها حتى ولو اضطرت الى تقديم عشرات الألوف من الشهداء . لكن اطماع اليهود في الضفة الغربية قديمة ومعروفة . انهم يطلقون عليها « اليهودية والسامرة » ويعتبرونها جزءا من « ارض الميعاد » . لهذا ابلغت الملك حسين انه من اجل استعادة الضفة الغربية والقدس ، له الحق ان يتخذ كافة الوسائل المناسبة ما عدا التفاوض مع اسرائيل . كما ذكرت له اننا لا نمانع في ان يواصل تحسين علاقاته ببريطانيا واميركا من اجل الهدف نفسه . ذلك لانني اعتبر ان كل يوم يمر على الضفة الغربية وهي تحت الاحتلال الاسرائيلي ، هو خطوة على طريق ربطها باسرائيل . لا بد ان ندرك جميعا ان هناك امرا حيويا وعاجلا ، وهو استعادة الضفة الغربية والقدس في اقرب وقت . ومن اجل تحقيق هذا الهدف العاجل ، انا قلت للملك حسين ان يقوم بأي اجراء يراه مناسبا ما عدا الصلح مع اسرائيل او التفاوض معها . انا قلت هذا الكلام للملك حسين امام الوفد الجزائري في القاهرة ، واكرره هنا اليوم في هذه القاعة وامامكم جميعا ، لان اي تأخير في استعادة القدس والضفة الغربية سيساعد على تغيير معالمها لتصبح في النهاية جزءا من اسرائيل . وللسبب نفسه انا وافقت الملك حسين على عقد هذا المؤتمر ، ووافقت على حضوري شخصيا . نحن في مصر نتعرض لضغط من اميركا اكثر مما يتعرض له الملك حسين في الاردن ، الا اننا نستطيع ، كما سبق ان قلت ، ان نناضل سياسيا وان نرفض المشروع السوفياتي ـ الاميركي . غير اننا لا نرى ضررا في قبول المشروع اليوغوسلافي على اعتبار اننا في الوقت الحاضر عاجزون عن القيام بعمل عسكري وليس امامنا الا العمل السياسي .

اننا ، ايها السادة ، حاولنا ان نتحرك عسكريا لكننا هزمنا . حاولنا ان نغلق خليج العقبة في وجه الملاحة الاسرائيلية ، لكننا لم ننجح . قضينا عشر سنوات في الاعداد العسكري لتحرير الارض المغتصبة ، لكننا لم نتمكن في النهاية من تحقيق الهدف الذي سعينا اليه . كل هذه حقائق لا نخجل من ذكرها ، لاننا لم نرتكب خيانة . كل ما فعلناه اننا حاولنا وفشلنا . غير اننا رغم الهزيمة نقف هنا امامكم وامام التاريخ ، ونلتزم امامكم وامام التاريخ ، بأننا لن نتفاوض مع اسرائيل ولن نتنازل عن حقوق شعب فلسطين .

لقد ابلغني الرئيس تيتو انه كان مستعدا للسفر الى موسكو ليتفق مع قادة الكرملين على ان يحل المشروع اليوغوسلافي محل المشروع الاميركي . لكن الاميركيين لن يقبلوا بالمشروع اليوغوسلافي لانه ينص على اعادة اراضينا المحتلة . الاميركان لن يقبلوه لانهم يريدون اذلالنا ، ولانهم يخططون لتمكين اسرائيل من السيطرة على المنطقة العربية . وفي رأيي ان مقترحات تيتو ستؤدي بنا الى حل سياسي مقبول . اما المقترحات الاميركية فستؤدي بنا الى الاستسلام والمذلة ، ولذلك لا يمكن قبولها . واذا كنا هنا لن نتمكن من التوصل الى الاتفاق الموحد على مشروع معين ، فاني ارى ان يذهب الملك حسين كي يتفاهم مع الاميركان ويتفق معهم على استرجاع الضفة الغربية . وانا مستعد لان اعلن هذا الكلام على الملأ ، لان اميركا وحدها هي التي تستطيع ان تأمر اسرائيل برفع ايديها عن الضفة الغربية .

والآن سيجتمع مجلس الامن خلال شهر سبتمبر (ايلول) . والروس يتصلون بنا يوميا يستفسرون عن رأينا . ولا بد من اتخاذ قرار الآن حتى يكون موقفنا واضحا لدى اصدقائنا . واعتقد ، من وجهة نظري ، ان مشروع تيتو مشروع مناسب وعلينا ان نبدي رأيا فيه .

واني اتقدم من الملك حسين الآن بسؤال : هل تستطيع تحرير الضفة الغربية بالوسائل العسكرية ؟ اذا كانت الاجابة بالايجاب ، فأنا ذاهب معك مهما تكن النتائج . اما اذا كانت الاجابة بالنفي فنحن منذ عشر سنوات نحاول تحرير فلسطين المحتلة ، ولكن دون جدوى . ويجوز ان يكون ذلك لحكمة ارادها الله . وفي هذه الحالة علينا ان نلجأ الى الحل السياسي حتى نصبح قادرين على الحل العسكري .

واقرر امامكم الآن ، ان تحرير سيناء مؤجل في الوقت الحاضر الى ان يقضي الله امرا كان مفعولا . اما بالنسبة للضفة الغربية فليس هناك من وسيلة لاخراج اليهود منها الا بعمل سياسي .

* * * *

(بعدما ألقى عبد الناصر كلمته هذه اتجهت كل الانظار الى الملك فيصل . كان فيصل هو الرجل الوحيد في المؤتمر ، بعد عبد الناصر ، الذي يمسك بيده مفتاح نجاح المؤتمر او فشله . وتكلم الملك فيصل لاول مرة ، وارهفت الاسماع لتلتقط كل كلمة ولتحيط بكل اشارة . قال الملك فيصل بصوته الخافت العميق :

● ● فيصل : اقترح ايها السادة ان تكون كلمة الرئيس عبد الناصر هي ورقة العمل الخاصة بالمؤتمر ، وان تكون هي اساس القرارات التي ستصدر عنه في المستقبل .

ثم توقف الملك فيصل عن الكلام . كانت تلك العبارة القصيرة الحاسمة بمثابة شهادة الميلاد لمؤتمر الخرطوم . لقد نجح المؤتمر اذن ، وها هما فيصل وعبد الناصر يقفان معا على الخط نفسه . لقد كانت هذه هي اول مفاجأة في خطاب الملك فيصل ، لكنها لم تكن الاخيرة . لقد حفل خطابه بكثير من المفاجآت . اعلن الملك السعودي انه كان على اتصال بالاميركيين طوال الوقت ، قبل الحرب وبعدها . واشار الى انه التقى بالسفير الاميركي قبل حضوره مباشرة الى الخرطوم . ولما سأله عبد الناصر عما دار بينه وبين السفير الاميركي ، رد الملك فيصل قائلا : « النقاط الخمس التي وردت في **مشروع جونسون** ») .

اهم مناقشات المؤتمر ـ ٢

ارتفعت درجة حرارة المؤتمر بعد الكلمة التي ألقاها جمال عبد الناصر في الجلسة السابقة ، وتعليق الملك فيصل المقتضب عليها . كانت كلمة الملك حسين السبب المباشر في ارتفاع درجة الحرارة . وقد تدخل احمد الشقيري ، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، وهدد في النهاية بالانسحاب من المؤتمر . وظهر واضحا ان وفدي الجزائر وفلسطين متمسكان بخطة محددة ، بينما الوفود الاخرى تبحث عن حل عملي وسط تيارات السياسة الدولية والمصالح المتشابكة .

حاول عبد الناصر اطفاء الحريق الذي اندلع داخل قاعة المؤتمر فلم يستطع . الا انه حاول مرة ثانية التخفيف من حدة التهاب الموقف ، ولما فشل هذه المرة ترك النقاش الحاد يأخذ مجراه بعدما حاصر النيران ضمن دائرة ضيقة بحيث لا تؤثر على النتائج الايجابية التي توصل اليها المؤتمر حتى الآن . لكن موقف عبد الناصر هذا لم يمنعه من التأكيد مرات عدة على ان العمل السياسي مشروع في هذه المرحلة طالما ان الحل العسكري غير ممكن . لكن العمل السياسي يجب ان يقترن بمبادئ ثلاثة : لا مفاوضة مع اسرائيل ، ولا اعتراف بها ، ولا صلح معها . ومن هذا التأكيد وموافقة المؤتمر عليها في النهاية ، عرف مؤتمر الخرطوم في ما بعد بمؤتمر اللاءات الثلاث .

لقد تحولت قاعة الجلسة بالفعل الى ساحة حرب كلامية ، تبادل فيها الوفد الاردني برئاسة الملك حسين ، والوفد الفلسطيني برئاسة احمد الشقيري ، كلمات اعتبر الجميع ، وعلى رأسهم جمال عبد الناصر ، انه لا موجب لها . قال الشقيري مثلا بلهجة عنيفة : « لا احد هنا ، لا ملك ولا رئيس دولة ولا حتى منظمة التحرير الفلسطينية ، مفوض في اجراء حل منفرد بشأن الضفة الغربية مع اسرائيل » . رد الملك حسين بلهجة تدل على فقدان الصبر : « انا لم احضر الى هنا لاستمع الى نصيحة من احد » . لزم عبد الناصر الصمت ، وعندما وصل النقاش الحاد الى مرحلته النهائية انهى الملك فيصل الجلسة بعدما اختلس نظرة الى الساعة التي في يده ، ونظرة الى الرئيس السوداني اسماعيل الازهري الذي كان يترأس المؤتمر . وفهم الازهري الاشارة وسارع الى رفع الجلسة .

عبد المجيد فريد

* * * *

(بدأت الجلسة بكلمة الملك حسين الذي اشاد بالرئيس عبد الناصر ووصفه بأنه يمثل الوطنية والاخلاص في الوطن العربي . ثم دخل رأسا في الموضوع) .

●● الملك حسين : ان الوضع في الضفة الغربية في غاية السوء والصعوبة . وحتى لو اعدنا بناء قواتنا العسكرية من جديد فاننا لن نتمكن من تحرير الارض في وقت قريب . وفي الوقت نفسه فاننا اذا تركنا الضفة الغربية في ايدي اليهود لفترة طويلة ، سيكون من الصعب علينا استرجاعها بعد ذلك . ان القضية ليست قضية

الضفة الغربية لوحدها ، ومستقبل القدس لا يهم الفلسطينيين والعرب وحدهم ، بل يهم المسلمين والمسيحيين ايضا . ومنذ ان توقف القتال اصدرت الامم المتحدة قرارات عدة بشأن القدس ، لكن اسرائيل لم تحترم قرارا واحدا من قرارات الامم المتحدة . وبهذا تكون قد تحدت العالم بأسره .

نحن نؤكد ان شعبنا ، سواء في الضفة الغربية او في غيرها ، هو شعب واحد ، وان عملية استرجاع الضفة الغربية من ايدي اليهود تحتاج الى توفير بعض العوامل ، اهمها تعاوننا جميعا ومدى قدرتنا على التحمل والصمود . واذا كان رأيكم قبول مشروع تيتو فأنا معكم لان المشروع دون شك افضل من غيره بكثير . لكن في الوقت نفسه علينا ان نقوم ببعض الاتصالات السياسية مع الدول الغربية والدول الشرقية من اجل توضيح موقفنا ، ويجب ان نأخذ في الاعتبار ان اتفاقنا جميعا على رأي واحد بالنسبة لهذا الموضوع سيكون له اهمية كبرى وسيكسبنا الكثير من الاحترام والتأييد الدوليين .

وقبل ان اختم كلمتي ، اتوجه مرة اخرى بالشكر والتقدير للرئيس الاخ جمال عبد الناصر على صراحته واخلاصه .

● عبد الناصر : اثناء اجتماعي ببعض الرؤساء العرب في القاهرة في يوليو (تموز) الماضي ، ارسلنا وفدا منا الى الاتحاد السوفياتي . هذا الوفد تألف من الرئيسين بومدين وعارف ، وذلك لتوضيح موقفنا للقيادة السوفياتية ، والتعرف على موقفهم من القضية . اما بالنسبة للولايات المتحدة الاميركية فليس لنا اتصال بهم ، كما ان علاقاتنا معهم سيئة للغاية . لذلك اعتقد ان الدول والقيادات العربية التي هي على علاقة طيبة بالاميركان ، يمكنها الاتصال بهم . واقترح ان يقوم جلالة الملك فيصل بمثل هذه الاتصالات حيث ينوب عنا في شرح وجهة نظرنا في القضية ، خاصة ان الموضوع معروض الآن على مجلس الامن . وكلنا نعرف ان الامم المتحدة هي في النتيجة الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية . واقترح ايضا ان يشترك مع الملك فيصل في اجراء هذا الاتصال الاخ الباهي الادغم (تونس) . اما من جانبنا فاننا سنداوم على الاتصال بالاتحاد السوفياتي وبفرنسا . لكن ليس لنا اتصال في الوقت الحاضر ببريطانيا .

● ● فيصل : استمعت الى حديث كافة الاخوان بكل تقدير وانتباه ، واسمحوا لي

ان اعبر عن رأيي بصراحة تامة . ان الهدف والجرح والنكبة كلها واحدة . وما الاختلاف بيننا الا في اتباع الوسائل والاساليب فقط . لذلك يجب ان لا ينفض هذا الاجتماع الا عن رأي موحد ، كما يجب ان تصدر عنه قرارات ومشروعات واضحة ومفهومة للجميع . اما بشأن ما تفضل به فخامة الرئيس جمال عبد الناصر حول موضوع الاتصال بالاميركان ، فأحب ان اكون صريحا وواضحا كل الصراحة وكل الوضوح . نحن ، قبل النكسة وبعدها ، كنا وما نزال على اتصال بالاميركان تقريبا كل يوم . لقد وصلتني اخيرا رسالة من الرئيس الاميركي جونسون وقمت بالرد عليها فورا . قلت لجونسون في رسالتي انني ، كصديق ، انصح الولايات المتحدة الاميركية بأن تقوم بشجب العدوان الاسرائيلي وان تلعب دورا يتناسب مع حجمها العالمي لسحب اليهود من الاراضي العربية . وقلت له ايضا ان مثل هذا الاجراء هو اقل ما ننتظره من دولة عظمى صديقة ومحبة للسلام .

كذلك ابلغت الجنرال ديغول في حديث دار بيننا استغرق ساعة ونصف الساعة اثناء لقائي معه قبل الحرب بثلاثة ايام ، وكان معي الدكتور رشاد فرعون . وكلانا اوضح له حق العرب وعدالة قضيتهم ووحشية اليهود في اعتدائها على المناطق العربية . وللاسف ، لمسنا تشويشا في التفكير عند ديغول حول الحق العربي في فلسطين . فهو يعتقد ان اليهود اصحاب حق في فلسطين ، وانهم عادوا الى وطنهم ، وعلى العرب ان يعترفوا ويتعايشوا مع الامر الواقع .

قمنا كذلك بالاتصال بالانكليز وعقدنا اجتماعا مع رئيس الوزراء البريطاني في « ١٠ داوننغ ستريت » . وقد شرحنا له وجهة النظر العربية ، واستمعنا منه الى موقف الحكومة البريطانية من القضية .

وعموما ، نحن لم نتوقف عن الضغط على الاميركان وعلى الانكليز والفرنسيين . وارى انه من الضروري ان يعمل كل منا على قدر طاقته ، كما ارى ان لا ينفرد احد منا بقرار او بموقف في هذه القضية .

● عبد الناصر : اعود الى موضوع الضفة الغربية ، واقول انه اذا لم يكن لدينا الآن حل عسكري لتحريرها فعلى الملك حسين ان يسعى لحل القضية بمعرفته ، شرط ان لا يؤدي ذلك الى مفاوضة او صلح مع اسرائيل . وبخصوص اقتراحي

قيام الملك فيصل بالاتصال بالاميركان ، فأرجو الموافقة على ان يقوم جلالته بهذه الاتصالات باسم المؤتمر .

● ● فيصل : اني اتصل بالاميركان بصفة دائمة . ومنذ اسبوع واحد كان عندي السفير الاميركي .

● عبد الناصر : وماذا كان رأيهم ؟

● ● الملك فيصل : والله ما قال لي السفير سوى النقاط الخمس التي وردت في مشروع جونسون .

● ● احمد الشقيري : ان موضوع الضفة الغربية خطير ، والآلام التي يتعرض لها شعبنا تهزنا جميعا وتفزعنا على مصير قضية فلسطين . ان منظمة التحرير الفلسطينية قد حددت موقفها من القضية في المبادئ الستة التي وزعتها على المؤتمر ، والتي تم وضعها بعد تفكير عميق ودراسة هادئة . واننا نشعر شعورا امينا وصادقا بأن هذه المبادئ الستة هي التي يمكن على اساسها حل القضية الفلسطينية . نحن متفقون معكم على ضرورة انسحاب العدو من قطاع غزة والضفة الغربية ، وعلى بذل اقصى الجهود السياسية لحمل العدو على الانسحاب . كما اننا نؤكد ان المنظمة لا تضع شروطا او تحفظات ، لكن السؤال الذي يجب ان نطرحه على انفسنا هو : ما هو الثمن الذي يجب علينا ان ندفعه ؟ نحن جميعا نعرف اسرائيل . وانا ، بمنتهى التواضع ، صاحب خبرة طويلة معها واعرف اهدافها واطماعها نتيجة الممارسة الفعلية . وارجو ان يكون مفهوما لديكم ان موقفنا في المنظمة ليس نتيجة عناد او تطرف ، لكن الموضوع الذي يجب ان يشغلنا هو موضوع الثمن الذي يتعين علينا ان ندفعه في سبيل استعادة الضفة الغربية . ونحن نرى انه اذا كان الثمن باهظا فان قبولنا به سيكون خطأ كبيرا . ان سياسة اميركا تهدف الى تصفية القضية الفلسطينية بصفة نهائية . والنقاط الخمس الواردة في مشروع جونسون ثمن غال وباهظ من اجل استرجاع الضفة الغربية . فهل نحن مستعدون لدفع هذا الثمن الغالي في مقابل الضفة الغربية ؟ انا كمواطن عربي ، وكرئيس ، ارفض دفع هذا الثمن واعلن الآن انني غير موافق . المشروع اليوغوسلافي يهدف الى تسوية نهائية والى سلم دائم في المنطقة . انا لا اريد ان اطيل عليكم الحديث اكثر من ذلك ، لكنني اردت ان اوضح وجهة نظرنا لمجلسكم الموقر .

والمبادئ الستة التي وضعتها منظمة التحرير وزعناها عليكم ، وهي خلاصة وجهة النظر الفلسطينية بشأن مستقبل القضية . اننا في النتيجة نرفض اي حل يؤدي الى التصفية النهائية للقضية الفلسطينية .

● عبد الناصر : انا اختلف مع الشقيري في تعبير ورد على لسانه حول التسوية النهاية للقضية . فالتصفية النهائية تعني الجلوس مع اسرائيل حول مائدة المفاوضات ، وهذا بالفعل ما تريده اميركا . كان اسهل علي ان لا اتكلم ، غير اننا كانت لدينا في الماضي مصيبة واحدة ، واصبحت لدينا الآن مصيبتان : مصيبة سنة ١٩٤٨ ومصيبة سنة ١٩٦٧ . لذلك ، انا قلت اننا على استعداد لان ندفع ثمنا مقابل استرداد الضفة الغربية . نحن الآن ليس في استطاعتنا جميعا استعادة الضفة الغربية عسكريا ، فهل نتركها في يد اسرائيل ؟ وما الذي يمكن عمله في الوقت الحاضر ؟ وما هو البديل ؟

كان يمكنني ان ألزم الصمت واتحدث عن سيناء فقط . ولكني اكرر ما قلته من قبل ، وهو ان الضفة الغربية اهم عندي بكثير من سيناء ، حتى ولو بقوا فيها عشر سنوات . انا قلت انه لا بد ان ندفع الثمن مقابل الضفة الغربية ، وانا اقصد بالطبع الثمن المعقول .. طالما اننا لا نستطيع استردادها عسكريا ، ويجب ان لا ننسَ ان نصف فلسطين ضاع العام ١٩٤٨ والنصف الآخر ضاع العام ١٩٦٧ ، واذا كان هدفنا الآن استعادة الضفة الغربية عن طريق العمل السياسي ، فلا بد من دفع الثمن .

الملك حسين كانت له علاقات بالاميركان ، وكانوا يمدونه بالسلاح . واعتقد انهم حريصون على استمرار علاقتهم به ، ولهذا قلت كلامي بكل وضوح وصراحة . وبالطبع سيكون هناك ثمن ، ولكن الثمن ليس تصفية القضية . يجوز ان يكون الثمن هو توثيق علاقة الملك حسين بالاميركان واقترابه منهم اكثر . واذا كانت الحقيقة دائما مرة ، الا ان علينا قبولها لاننا نواجه في الوقت الحاضر مصيبة كبرى ، وعلينا ان نعمل من اجل الخروج منها .

الموضوع بسيط وواضح للغاية ، هناك دائما طريقان لا ثالث لهما : النضال السياسي والعمل العسكري . وعندما لا نكون قادرين على العمل العسكري فعلينا ان نناضل سياسيا . واذا كنا قد اخترنا ــ نظرا لظروفنا ــ العمل السياسي فأنا

اختلف مع الشقيري في وصفه مشروع الرئيس تيتو بأنه تصفية للقضية الفلسطينية . هناك فرق بين العمل السياسي وتصفية القضية . واذا لم نبادر بعمل ايجابي لاسترداد الضفة الغربية فستتحول الارض التي احتلها اليهود تدريجيا الى ارض اسرائيلية .

ختاما اقول : علينا ان نناضل سياسيا حتى يحين الوقت المناسب لاستعادة حقنا بالعمل العسكري .

● ● محجوب (السودان) : اود ان اتعرض هنا الى ثلاث نقاط وهي : اولا انه من الممكن القبول بحل سياسي شرط عدم تصفية القضية الفلسطينية . ثانيا ، ان الموافقة على انهاء حالة الحرب معناها مرور السفن الاسرائيلية في قناة السويس ، ومعناها ايضا اعترافنا باسرائيل . ثالثا ، القرارات الاقتصادية التي وافق عليها المؤتمر ستجعلنا قادرين على الصمود ، كما ستتيح لنا التحدث من مركز القوة .

● ● بوتفليقة (وزير خارجية الجزائر) : ان موقف الجزائر من القضية الفلسطينية معروف . اما عن المشروع اليوغوسلافي فاني اراه مناسبا في بعض الفقرات ، وغير مناسب في فقرات اخرى . واتساءل : لماذا لم يتقدم الرئيس تيتو بمشروعه الى مجلس الامن ؟ ولماذا لم يصل المشروع الينا عن طريق مندوبينا الدائمين في الامم المتحدة ؟ ولماذا عرض الرئيس تيتو مشروعه خلال جولته في المنطقة العربية ؟

ان هذا المشروع يلبي حاجة في نفس يعقوب . ان الشرق والغرب قد التقيا معا بين سطوره . وبما ان مشروع تيتو هو مشروع دولة صديقة وقفت معنا دائما ، لذلك لا ينبغي علينا السكوت لان السكوت معناه الرضى ، وعلينا الآن ان نرد ونقول لاصدقائنا بوضوح اننا لا نقبل اي مشروع يتضمن المساس بجوهر القضية الفلسطينية . اسرائيل اليوم تريد التعايش السلمي ، ولا يمكن ان يتم لها ذلك الا بازالة حالة التوتر الموجودة في المنطقة . وهذا لا يتأتى الا باعتراف الدول العربية باسرائيل .

جانب آخر اود ان اوضحه ، وهو ان هناك دولا في المنطقة وقع عليها عدوان شديد وتواجه ضغوطا خارجية وداخلية هائلة ، وهي تعاني اكثر من الدول الاخرى البعيدة عن مسرح الاحداث مثل الجزائر . ولهذا يقال ليس من اللائق ان يقوم هؤلاء الذين على بعد آلاف الكيلومترات من المعركة باسداء النصائح لهؤلاء الذين في ارض المعركة ويتحملون متاعب الاحتلال وضغوطه ، مهما كانت نصائحهم

مفيدة وقيمة . هذا صحيح . ولكن ما دامت القضية المطروحة قضية قومية في الاساس ، حينئذ يجب ان يكون لنا رأي .

انني اعتقد اننا نفكر بعقلية المغلوب على امره ، وكنت اتمنى ان يكون المشروع الذي ندرسه الليلة هو مشروع عربي وليس مشروعا يوغوسلافيا او اميركيا او روسيا . والغريب ان الاميركان لا يعترفون بالصين الشعبية ، وتعداد سكانها ٧٠٠ مليون نسمة ، ويضغطون علينا من اجل الاعتراف باسرائيل قبل حل اي مشكلة في المنطقة العربية .

لقد سمعت الليلة ايضا ان الاردن وبقية الدول العربية لا تستطيع القيام بأي عمل عسكري . ولذلك فهي تسعى الى حل سياسي . والمعروف ان اي حل سياسي ، فيه اخذ وفيه عطاء . ولذلك فاذا كان الحل السياسي بالنسبة للضفة الغربية فيه اخذ وفيه عطاء ، فان الخطورة هنا تكمن في اننا قد نتبع الاسلوب نفسه بالنسبة لسيناء والمرتفعات السورية .

اننا الآن في حيرة كبرى ، لانه رغم اتفاقنا جميعا على الهدف فاننا نختلف في الاسلوب . كما اننا لم نهتد بعد الى الطريق الذي يعيد الينا الاراضي المحتلة دون التخلي عن القضية الفلسطينية . واذا وافقنا الآن على مبدأ الاخذ والعطاء في العمل السياسي ، فليس واضحا امامنا الى اي مدى سيكون الاخذ والى اي مدى سيكون العطاء .

●● بن هيمة (المغرب) : انا اشكر الرئيس عبد الناصر واهنئه على صراحته . كما اهنئ المؤتمر كله بجدية الحوار والمناقشات . لقد وضحت لنا جميعا استحالة استرجاع الارض العربية عن طريق الحرب ، كما تفضل الرئيس عبد الناصر وقدم الضفة الغربية على سيناء . وفي الوقت نفسه رد الملك حسين بأنه لا يجب التفريق بين الترابين . وفي الحقيقة فان كل ما دار في هذا المؤتمر من مناقشات كانت ايجابية .

حقيقة ، اننا بعيدون عن ارض المعركة . وترابنا غير محتل ، ولكننا نعتبر ان احتلال اليهود للضفة الغربية يهدد العرب جميعا ويمس كرامتهم . هذا ما لا نقبل به على الاطلاق . وفي ختام كلمتي اعلن موافقتنا الكاملة على كل ما قاله الرئيس جمال عبد الناصر ، وما صرح به الملك حسين . كما اني اقترح ان يفوض

الملك فيصل بصلاحيات كاملة من المؤتمر للاتصال بالاميركان والضغط عليهم من اجل حل القضية سياسيا في اطار الاسس التي اقرها المؤتمر ، وذلك حتى نصبح قادرين عسكريا على تحرير فلسطين .

● ● احمد الشقيري : ان منظمة التحرير توافق على بذل كل الجهود من اجل حل القضية ، ولكنها في الوقت نفسه لا تفوض احدا .

● ● الملك حسين : مما لا شك فيه ان موقفنا سيكون قويا اذا استطعنا ان نجمع على رأي واحد . ويجب ان لا ننسَ ان القضية ـ كما سبق وذكرت ـ هي قضية كل العرب ، وقضية الوجود العربي ، ولا يمكن عن طريق اتصالات فردية مني او من غيري ان نصل الى حل مقبول للقضية . ان القضية ستبقى دائما قضيتنا جميعا . وفي هذا الاطار فاني مستعد للقيام بأي تكليف ، وان اتحمل اي مسؤولية ، ولكن يجب ان يفهم البعض (الناشر : يعني الشقيري) ان الموضوع ليس موضوع مزايدة ولا هو تسجيل مواقف . لقد سمعنا الشقيري وهو يتحدث عن المبادئ الستة : فلنراجع ايها السادة قرارات مؤتمر القمة العربي الاول . لقد كان هناك تكليف محدد للشقيري .

سؤال آخر : كنت اود ان اعرف من الذي كتب هذه المبادئ الستة ، ومن الذي قررها ؟

لقد سمعت الليلة كلاما كثيرا ، وارجو ان لا يفهم من كلامي هذا اني غاضب لكرامتي الشخصية ، لان الموضوع اكبر من هذا . انها كرامة ابنائنا ومواطنينا العرب جميعا . القضية ليست قضية فضل احد على الآخر ، انما الموضوع ان الاردن اصبح الدرع الامامي في وجه الخطر وعلى هذا الاساس ، ومن هذا المنطلق انا اتحدث .

واخيرا انا موافق على اي رأي ترونه ، او اي مسؤولية تحددونها . ولكني لست مستعدا ان اسمع نصائح من احد .

● ● عبد الرحمن عارف : الموضوع ليس بهذا الشكل .. انه موضوع قومي ومن اجل فلسطين ، والا لما جاءت الجزائر ارض المعركة عبر آلاف الكيلومترات ، ولما قدمت مصر والعراق وغيرهما آلاف الشهداء من ابنائها .

●● الشقيري : قضية فلسطين هي قضيتنا جميعا . هذا صحيح . ولكن ليس هناك احد منا مفوض بقبول حل ما للقضية . لا الملك حسين ولا منظمة التحرير . اما اذا اردتم ان تكون المنظمة مجرد مستمعة فقط ، فلا داعي لحضورها هنا ، ونحن على استعداد للانسحاب فورا من المؤتمر . ولكن قبل ان اغادر هذه القاعة اقرر لكم بشكل قاطع ، باسم منظمة تحرير فلسطين ، انه لا يوجد ملك او رئيس دولة لديه تفويض بحل القضية الفلسطينية . واذا وجد مثل هذا الشخص فسيعتبر هذا تحولا خطيرا في قضية قومية لا تهم الجيل الحالي فقط ، لكنها مسؤولية الاجيال المقبلة ايضا .

(الناشر : هنا دارت مناقشة صاخبة وطويلة اشترك فيها محمد احمد محجوب وعبد الرحمن عارف واحمد الشقيري . والتزم عبد الناصر الصمت وراح يتلهى بتبادل الهمسات مع بعض اعضاء وفده . اما الملك فيصل فقد اعطى هذه المناقشة الصاخبة اذنا صماء وراح يعبث بأصابعه في اطراف عباءته السوداء .

واخيرا تمكن عبد الرحمن عارف ومحجوب من تهدئة النقاش ، وعادت القاعة الى الجو الهادئ . في تلك اللحظة كان الملك فيصل ينظر الى ساعة يده ، بحركة مكشوفة ، ثم الى رئيس المؤتمر اسماعيل الازهري (السودان) . وفهم الأزهري مغزى اشارة الملك فيصل ، فسارع الى القاء نظرة خاطفة على الساعة الكبيرة المعلقة على جدار قاعة الاجتماعات . كانت عقاربها تشير الى الثانية من صباح اول سبتمبر (ايلول) . عندها اعلن الرئيس الازهري رفع الجلسة .

مؤتمر الخرطوم عقد بعد ذلك جلسة واحدة قصيرة حيث تم التصويت على القرارات . وبذلك انتهى مؤتمر الخرطوم ، حيث كان بالنسبة لعبد الناصر آخر حلقة من حلقات اختبار الارض تحت قدميه بعد الهزيمة . لقد خرج عبد الناصر من مؤتمر الخرطوم بخطة كاملة للمستقبل . كان قد ضمن السلاح من الروس ، وضمن الدعم المالي من العرب ، ووضع على رأس القوات المسلحة قيادة جديدة هدفها اعادة البناء العسكري مستفيدة من اخطاء الماضي الكثيرة والقاتلة .

كان على عبد الناصر ان يلعب بكل الاوراق الموجودة في يده لكسب الوقت اولا ، ولكسب الرأي العام العالمي ثانيا ، ولاعادة تسليح الجيش وتدريبه ثالثا . وفي الوقت الذي كان ينادي فيه بالحل السياسي ، كان يرفع شعار : ما اخذ

بالقوة لا يسترد الا بالقوة . وفي الوقت الذي راح فيه يضغط بكل قواه على القيادة السوفياتية لتلبية طلباته من السلاح ، لم يغلق الابواب في وجه الاتصالات الاميركية التي نشطت بعد الهزيمة مباشرة تطلب اعادة العلاقات مع القاهرة . ليس هذا فقط ، بل ان الاميركيين عرضوا على مصر في ذلك الوقت حفر قناة جديدة في الارض المصرية تحل محل قناة السويس يتولون هم ادارتها ... !

وفي خضم العروض ، فان رومانيا قدمت اغرب طلب لعبد الناصر . لقد عرض الرئيس الروماني تشاوشيسكو على عبد الناصر ان يدبر له في رومانيا لقاء سريا مع قادة اسرائيل ... ! !

ماذا كان رد عبد الناصر على عرض الرئيس الروماني ؟ وماذا كان موقفه من عروض الاميركيين ؟) .

الفصل الرابع

عبد الناصر والصراع مع اميركا
١٩٦٨

بعض جلسات مجلس الوزراء واللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكي
١٩٦٨/٢/١٨ ـ ١٩٦٨/١٢/٣٠

شروط اعادة العلاقات مع اميركا ـ اميركا تتنصّل من مشروع القرار السوفياتي ـ الاميركي ـ مهمة يارنغ ـ اتفاق مع فتح على بدء عمليات فدائية ـ اميركا تحوّر قرار مجلس الامن ـ المراحل الاميركية لاسقاط عبد الناصر ـ خطة عبد الناصر لمواجهة السياسة الاميركية ـ عامل الوقت ـ شرطان لاي حل سياسي ـ دايان : لم نجد ثمنا لعبد الناصر ـ اتجاهان داخل القيادة السوفياتية ـ موقف السادات آنذاك ـ التفوق البشري والتفوق النوعي ـ الغارة الاسرائيلية على مطار بيروت ـ مترتبات انهاء حالة الحرب ـ رفض اقتراح تشاوشيسكو عقد لقاء سري مع قادة اسرائيل ـ محاولات اميركا واسرائيل لتجزئة القضية ـ مشروع سوفياتي جديد للتسوية ـ مواعيد تسليم الاسلحة السوفياتية .

عبد الناصر :

- لم تكسب اسرائيل الحرب طالما انها لم تحصل على اتفاقية صلح .
- لن تنسحب اسرائيل نتيجة ضغط دولي بل عندما نطردها بالقوة .
- هدف الاستعمار سلخ مصر عن العروبة لتتفرغ للسياحة وتنسى جراح الشعب العربي .

ليس اليوم كالبارحة .

ان كل ما يجري على الساحة العربية الآن يناقض تماما ما كان يجري على الساحة المصرية بعد هزيمة ١٩٦٧ . فالرئيس جمال عبد الناصر ، وهو في عز هزيمته ، رفض ان يعطي شبرا واحدا من الأرض وبوصة واحدة من التنازلات .

في الماضي ، وبعد هزيمة ١٩٦٧ ، توقفت الحرب الساخنة بين عبد الناصر وبين الاميركيين ، لكن الحرب الباردة اشتعلت حتى مست نيرانها عنان السماء . لقد اعتقدت اسرائيل ، بعد الهزيمة ، ان عبد الناصر سيأخذ المبادرة في الاتصال بتل ابيب في طريقة او اخرى . حتى قيل على لسان احد الزعماء الاسرائيليين : « اننا في انتظار مكالمة تأتينا من القاهرة » .

واعتقدت اميركا ايضا ان عبد الناصر قد وعى درس الهزيمة جيدا ، لذلك سرعان ما سيرتد خالعا ملابسه قطعة بعد قطعة ، فيطرد الروس من مصر ، ويعدل عن الخط الاشتراكي ، ويفتح ابواب البلاد على مصراعيها في وجه الرأسمال الغربي بشكل عام والرأسمال الاميركي بشكل خاص ، ثم ينزع عنه جلده العربي ، ويتقوقع داخل حدوده ، متفرغا للتنمية والسياحة واسداء الخدمات .

ولكن سرعان ما تبين لواشنطن انها كانت واهمة ، وان حساباتها لم تكن دقيقة ، ربما بفعل برودة آلات الكومبيوتر التي تعتمد عليها في الحسابات السياسية ، او ربما لعدم معرفة هذه الآلات بالعقلية العربية الصلبة التي جسدها جمال عبد الناصر في مرحلة من مراحل التاريخ العربي المشرف . لذلك سعت واشنطن ، بعدما تأكد لها ان عبد الناصر لن يبادر الى الاتصال بتل ابيب ، او بها على الاقل ، الى الاتصال به . حدث اول اتصال بين القاهرة وبين واشنطن عندما كان عبد الناصر يحتفل بآخر مرحلة من مراحل انتهاء السد العالي في اسوان . كان عبد الناصر في تلك الفترة يبدو سعيدا للغاية . وقد ألقى خطبته الشهيرة في هذا الاحتفال قائلا : « الحمد لله الذي عشت حتى رأيت السد العالي وقد اصبح حقيقة واقعة من اجل رخاء الشعب المصري » . في ذلك الوقت بالتحديد ، اتصل

الاميركيون بعبد الناصر طالبين اعادة العلاقات الديبلوماسية . لكن عبد الناصر اشترط من اجل اعادة العلاقات الديبلوماسية « ان يصبح لاميركا موقف واضح من القضية الفلسطينية » .

وتؤكد كل الاحداث ان واشنطن انتابها اليأس من احتمال التغيير في سياسة عبد الناصر ، فعادت تتآمر عليه من اجل اطاحة نظامه . عبد الناصر عرف هذه الحقيقة ، وكان مستعدا لكافة الاحتمالات . وقد حذر في احدى جلسات مجلس الوزراء التي عقدت في العام ١٩٦٩ من التآمر الاميركي عندما قال : « ان اميركا ستنفق في العام ١٩٦٩ مبلغا يراوح من ١٥ الى ٢٠ مليون جنيه لصرفه على بعض العناصر المعارضة في الداخل من اجل قلب نظام الحكم » .

وعندما وقع العدوان الاسرائيلي على مطار بيروت عشية الاحتفالات بعيد ميلاد ١٩٦٩ ، دعا عبد الناصر الى عقد جلسة استثنائية لمجلس الوزراء المصري حيث قال : « ان هذه العملية تثبت ان اسرائيل هي التي تمارس ضغطها على اميركا وليس العكس » .

ولعل آخر المحاولات التي بذلت لترويض عبد الناصر قام بها الرئيس تشاوشيسكو ، رئيس جمهورية رومانيا الاشتراكية . وقد عرض تشاوشيسكو على عبد الناصر في تلك المرحلة ان يدبر له لقاء سريا مع من يريده من قادة اسرائيل ، في رومانيا او في اي مكان يختاره . ورفض عبد الناصر العرض ، وقال لمجلس وزرائه ان اميركا واسرائيل تعملان بكل قوة من اجل تصفية القضية الفلسطينية . وهما تحاولان بكل الوسائل تحويل القضية الى مشكلة مصرية ـ اسرائيلية ، ومشكلة سورية ـ اسرائيلية ، ومشكلة اردنية ـ اسرائيلية .

ان الصراع بين اميركا وعبد الناصر يجب ان يعتبره المؤرخون بمثابة ملحمة العصر . لقد كان هو وراء كل ثورة ضدهم في العالم الثالث : في افريقيا وآسيا واميركا اللاتينية . ولسوء حظ مصر والعرب والعالم الثالث ، استطاعت اميركا ان تلحق الهزيمة به . لكنه خلال مقاومته لم يستسلم ولم يركع ولم يطلب الصفح .

قصة عبد الناصر مع الاميركيين مأساة دامية ، وهي تستحق ان تروى للاجيال المقبلة . وسأحاول جاهدا ان ابين بعض جوانبها من خلال روايتي بعض الاحداث الرئيسية فيها .

عبد المجيد فريد

كان العام ١٩٦٨ حافلا بالاحداث الداخلية في مصر . اضرابات الطلبة ، وبيان ٣٠ مارس (آذار) ، ثم القضية التي اطلق عليها « قضية المشير عامر » ، ثم محاكمة المسؤولين عن الهزيمة في الجيش والطيران ، ثم اضرابات العمال في حلوان واستقالة زكريا محي الدين من رئاسة الوزراء ، ثم انتخابات التنظيم السياسي التي جرت من القاعدة الى القمة . داخليا ، كان الهم الوحيد في ذهن عبد الناصر هو اعادة البناء السياسي من الداخل . وبعدما تم له ذلك تفرغ الى البناء العسكري وفي ذهنه هدف واحد هو تحرير الارض حسب الشعار الذي اطلقه : ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة .

* * * *

جلسة مجلس الوزراء ، ١٩٦٨/٢/١٨

● ● في يوم ١٨ فبراير (شباط) ١٩٦٨ عقد مجلس الوزراء اجتماعا برئاسة جمال عبد الناصر . خصصت هذه الجلسة لسماع بيان محمود رياض الذي كان وزيرا للخارجية في ذلك الوقت . وقدم رياض عرضا لآخر تطورات الموقف السياسي ، شارحا بالتفصيل مهمة الدكتور يارنغ الامين العام للامم المتحدة الذي كلف بمهمته المشهورة آنذاك . أهم ما جاء في بيان محمود رياض هو الخلاصة . والخلاصة تقول ان مهمة يارنغ ستنتهي الى لا شيء . قال رياض ايضا : « من الواضح لنا ان اميركا تبسط حمايتها على اسرائيل وعلى غزواتها ايضا » . ولقد حدث اخيرا عندما اثير موضوع الملكيات العربية في القدس ، وحاول الاردن عرض القضية على الامم المتحدة ان قامت اميركا بضغط مباشر على الاردن لعدم اثارة هذه القضية . وقد اضطرت الحكومة الاردنية الى الرضوخ للضغط الاميركي ولم تثر الموضوع في الامم المتحدة .

● عبد الناصر : لقد لاحظنا في الفترة الاخيرة اهتمام اميركا المتزايد في المنطقة عموما ، وفي مصر بصفة خاصة . وقد يكون السبب في ذلك هو ازدياد المكانة التي يتمتع بها السوفيات هنا في الشرق الاوسط . لقد قال لي احد الاميركيين اخيرا ان الحكومة الاميركية تنفق ، في منتهى السذاجة ، (٣٠) الف مليون دولار في فيتنام ، من اجل وقف امتداد النفوذ الشيوعي في جنوب ـ شرق آسيا ، بينما تترك السوفيات يكسبون مكانة كبيرة في الشرق الاوسط وبثمن بخس . من جانبنا ،

فنحن نستطيع الاستفادة من الاهتمام الاميركي بنا وبالمنطقة ، وذلك من اجل كسب الوقت ومن اجل المزيد من التحرك السياسي . كل ذلك من اجل الاستعداد العسكري . لقد ابلغني محمود رياض انهم (اي الاميركيون) قد أبدوا الاستعداد للتنازل عن شروطهم التي كانوا قد فرضوها لاعادة العلاقات معنا . ولكني ارى ان الوقت غير مناسب لاعادة العلاقات مع اميركا . ان الاميركيين يريدون العودة الى المنطقة بأي ثمن . انهم يدركون انهم لا يستطيعون العودة الا عن طريقنا . لقد انفقوا اخيرا عشرة ملايين جنيه في السودان دون جدوى . لذلك ، فجأة ، وانا موجود في اسوان اتصلوا بنا ملحين في اعادة العلاقات معنا . لقد بلغ الحاحهم درجة انهم اعدوا البيان الذي كان سيصدر عقب اعلان عودة العلاقات . لكني رفضت ، وكان شرطي الوحيد للموافقة على اعادة العلاقات هو ان تتخذ اميركا موقفا واضحا من القضية الفلسطينية .

غموما ، أؤكد لكم واكرر التأكيد ان اسرائيل لن تنسحب من ارضنا نتيجة ضغط اميركي عليها ، ولا نتيجة جهود الامم المتحدة . لكنها ستنسحب عندما نصبح قادرين على القيام بعمل عسكري لطردها من الارض المحتلة .

جلسة مجلس الوزراء ، ١٩٦٨/٤/٧

● ● في اجتماع مجلس الوزراء المصري الذي عقد في تاريخ ٧ ابريل (نيسان) ١٩٦٨ برز هذا الموضوع في المناقشات . استعرض عبد الناصر الموقف في المنطقة عامة وركز على موقف الاميركيين بشكل خاص .

● عبد الناصر : واضح من الموقف الاميركي انهم مصرون على ان نجتمع باليهود . وللأسف وصلنا الكلام ذاته عن طريق السوفيات ايضا . من خلال ذلك يتضح لنا ان اميركا وروسيا قد اتفقتا على التقدم بمشروع مشترك بشأن جدولة تنفيذ قرار مجلس الامن . الروس اصلا ضغطوا علينا للقبول بحل سياسي انطلاقا من اعتقادهم بأن قواتنا المسلحة لن تتمكن من تسليح وتنظيم نفسها قبل مرور ثلاث سنوات . لكن الدول العربية كلها رفضت المشروع الاميركي ـ السوفياتي .

اثر ذلك توترت العلاقات بيننا وبين الاتحاد السوفياتي ، حيث سافر محمود رياض بعد ذلك الى موسكو وشرح لهم هناك موقفنا . بعد ذلك رفضت اميركا التقدم الى الامم المتحدة بالمشروع المشترك . كان الروس يتصورون ان مشروع

القرار الاميركي ـ السوفياتي المشترك سينفذ بالفعل ، وان اليهود سينسحبون من الارض المحتلة . وعندما سافر علي صبري الى موسكو قال له بريجنيف انه من المهم ان تقبلوا بمشروع الحل السلمي الآن الى ان تستعدوا عسكريا ، ونحن سنستمر في تسليحكم وتدعيمكم . المهم ان السوفيات عندما اعادوا الاتصال بالاميركان للتفاهم معهم حول المشروع المشترك ، سحب الاميركان موافقتهم السابقة على اساس نقطتين :

ـ الاولى ، انه لا انسحاب الى خطوط ٥ يونيو (حزيران) .
ـ الثانية ، انه لا بد ان يجتمع العرب واليهود في حضور وسيط ما .

لقد تلقيت رسالة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي تقول انهم فقدوا الامل ، وان الاميركان ضللوهم وخدعوهم .

الحقيقة ان هدفنا الاساسي من التزامنا وسيرنا في طريق الحل السياسي ، هو ان نكسب الوقت للاعداد العسكري ولاقناع السوفيات بامدادنا بجميع الاسلحة المطلوبة . واحب ان اقول مرة اخرى انه طالما ان اليهود لم يوقعوا معنا اتفاقية صلح ، فان اسرائيل تعتبر نفسها انها لم تكسب الحرب . فالاستراتيجية الصهيونية هي اجبارنا علـى حــل To force a settlement (النـاشر : ذكر عبد الناصر هذه الكلمة بالانكليزية) .

لقد ابلغت سفير بريطانيا ، عندما قابلني اخيرا ، وانا اعرف انه جاءني مدفوعا من الاميركان ، اننا في مصر نرفض تماما الجلوس على مائدة مفاوضات مباشرة مع اليهود لانها ستكون مائدة استسلام لا مائدة مفاوضات .

المهم الآن ان نكون مستعدين عسكريا . ولذلك عايزين وقت . ومن رأيي ان الوقت غير مهم طالما اننا حنقعد مع الناس ونفهمهم كل جوانب المشكلة ، وطالما ان جبهتنا الداخلية مستقرة . لقد حاول الاميركان مرة اخرى اعادة العلاقات السياسية معنا وقد ابلغتهم مجددا ان عليهم ان يعلنوا موقفهم السياسي العادل من القضية ، لكنهم رفضوا . وطبعا فان سبب الحاحهم انهم عايزين ، عن طريق اعادة العلاقات مع مصر ، ان يأخذوا تصريح مرور يدخلوا به الدول العربية كلها . لكننا لن نمكنهم من ذلك .

● ● الدكتور صفي الدين ابو العز (وزير الشباب) : هل نستطيع ان نعرف سبب

عدم تنفيذ زيارة بريجنيف الى مصر بعدما اعلن عنها ؟

● عبد الناصر : من وجهة نظر السوفيات ، قالوا انه اذا حضر بريجنيف الى مصر ولم يتم شيء على الصعيد العسكري او السياسي ، فانهم ـ اي السوفيات ـ يخسرون دوليا . لذلك اكتفوا بارسال مساعد رئيس الوزراء في هذه المرحلة . عامة ، انا شايف ان احنا اللي عايزين مساعدتهم ، وعايزين طلبات منهم . لذلك اقترح ان احنا اللي نروح لهم .

● ● الدكتور حافظ غانم : ما هو مدى امكانية نجاح مهمة يارنغ ؟

● عبد الناصر : في تقديري ان مهمة يارنغ لن تصل الى اتفاق مشرف بالنسبة الينا . كما اني اقدر انه سيبقى حوالى سنة ونصف السنة ، يعني ١٨ شهرا ، وفي الآخر يصل الى لا شيء . في الواقع ، احنا في حاجة الى هذا الوقت لاعداد قواتنا المسلحة . اما بالنسبة الى الرد على الموضوعات التي عرضها يارنغ ، فأنا قلت له :

ـ من حيث حق الحياة ، فاحنا في مصر في حاجة الى هذا الحق مثل اسرائيل .

ـ من حيث الحدود فلا توجد مشاكل حدود بيننا وبين اسرائيل اصلا ، اذ ان الحدود المصرية معروفة ومثبتة منذ مئات السنين .

ـ من حيث المرور في خليج العقبة ، فاننا نحتفظ بحقنا في عرض ذلك على محكمة دولية .

ـ من حيث المرور في قناة السويس ، فنحن موافقون على المرور في القناة بشرط ان تنفذ اسرائيل قرارات الامم المتحدة بشأن الفلسطينيين .

ـ من حيث المناطق المنزوعة السلاح ، فنحن موافقون عليها بشرط ان تكون على جانبي الحدود .

ـ من حيث تواجد قوات طوارئ دولية فنحن موافقون عليها بشرط ان تكون ايضا في الجانبين هنا وهناك .

بعد ذلك ذهب يارنغ الى اسرائيل ورفضوا تنفيذ قرار مجلس الامن ، كما رفضوا ايضا مشروعا آخر قدمه الانكليز يتضمن انسحاب اسرائيل لمسافة عشرين كيلومترا فقط من قناة السويس .

عامة ، وفي رأيي ، اننا يجب ان نستفيد من مهمة يارنغ لكسب الوقت للاعداد العسكري لقواتنا المسلحة . كما يجب القيام في هذه المرحلة بعمليات فدائية في الاراضي المحتلة . وقد اتفقت مع القائد العسكري لمنظمة « فتح » على المساعدات والتنسيق معنا . وعندي معلومات ان اليهود منزعجون كثيرا من العمليات الفدائية في الاراضي المحتلة ، والتي تكلفهم حوالى ١٥ قتيلا اسبوعيا . ده بيوجع اليهود كتير .

بعد كل هذه الاتصالات السياسية ، انا لي ملاحظة على كل ما يحدث الآن ، وهو اني شايف ان الاميركان عايزين يمشونا في سكة غير سكة قرار مجلس الامن .. اجتماع مشترك بيننا وبين اليهود غير موجود في قرار مجلس الامن .. تفاوض مشترك غير موجود ايضا في القرار . انا شايف انهم عايزين ـ عن طريق السير في الاجراءات بالاسلوب اللي مخططين له ـ يمشونا الى مطلب اسرائيل الاساسي . هذا يجرنا الى ضرورة استعراض خطط الاميركان ضدنا . وهذه الخطط مرت على ثلاث مراحل :

ـ المرحلة الاولى : ان الهزيمة العسكرية تقضي على النظام كله ويقوم بدلا عنه نظام آخر موال للاميركان . وقد كان من اسباب التنحي يوم ٩ يونيو (الناشر : عندما اعلن الرئيس عبد الناصر استقالته في ٩ يونيو ـ حزيران ـ ١٩٦٧) انه لا يمكن لي ان اتفق مع الاميركان . بعدها ، طبعا تذكرون احداث ٩ و ١٠ يونيو واصرار جماهيرنا (الناشر : عمت مصر والعالم العربي التظاهرات الشعبية العارمة داعية عبد الناصر للعودة عن استقالته والسير في طريق الصمود والتحرير) .

ـ المرحلة الثانية : كان في تقديرهم ان كل فلوسنا بتخلص في شهر ديسمبر بحيث نبقى غير قادرين على توفير القمح اللي نعمل بيه العيش للناس . لكن قرارات مؤتمر الخرطوم جاءت صدمة لهم وأخذنا الدعم الاقتصادي اللي قدرنا نعبر به هذه المرحلة .

ـ المرحلة الثالثة : وهي المرحلة الاخيرة . لقد اتجه الاميركان بعد ذلك للعمل على اسقاطنا داخليا عن طريق عدم الاستقرار الداخلي . وانا اقدر ان الاميركان حيصرفوا السنة الجاية من ١٥ الى ٢٠ مليون جنيه في مصر على بعض العناصر الداخلية لتحقيق هذا الغرض . ولهذا اعتقد انه خلال السنة المقبلة ستكون عندنا

بعض المتاعب الداخلية ، وذلك قبل ان نبدأ العمليات العسكرية . لذلك من الضروري ان نمسك البلد كويس خلال هذه الفترة .

* * * *

جلسة اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي ، ١٩٦٨/١٠/٢٨

[اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي كانت قمة التنظيم السياسي الاشتراكي العربي ، وقد تم انتخاب اعضائها بعد بيان ٣٠ مارس (آذار) . وتشكلت اللجنة من ٩ اعضاء : الرئيس جمال عبد الناصر ، انور السادات ، حسين الشافعي ، علي صبري ، الدكتور محمود فوزي ، الدكتور كمال رمزي استينو ، الدكتور لبيب شقير ، عبد المحسن ابو النور وضياء الدين الداوود . (الناشر : عينت سكرتيرا عاما لهذه اللجنة العليا فحضرت كافة اجتماعاتها حتى تاريخ دخولي السجن الحربي في مايو (ايار) ١٩٧١)] .

* * * *

في اجتماع اللجنة التنفيذية الذي عقد يوم الاثنين ٢٨ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٨ تحدث الرئيس جمال عبد الناصر عن امور الساعة ، فقال :

● عبد الناصر : وصلتني رسالة من الاتحاد السوفياتي قدمها الي سفيرهم في القاهرة عن تطور جديد في المفاوضات السياسية بين السوفيات والاميركان . وقبل ان اتحدث عما جاء في هذه الرسالة ، والرد المقترح عليها ، احب ان اوضح خطتي بشأن التعامل الحالي مع الاميركان وطريقة الحديث معهم .

في رأيي ان نجعل السوفيات هم الذين يدخلون في المناقشات والخلافات مع الاميركان . وبذلك ، بدلا من ان تكون الخلافات بين مصر والاميركان تكون بينهم وبين السوفيات . وطبعا لما السوفيات والاميركان ، كدول عظمى ، بيقعدوا على طرابيزة واحدة بتكون هناك لغة بينهم غير اللغة اللي بتكون بين دولة كبيرة ودولة صغيرة ، وخاصة في موضوع تسوية سياسية .

والآن عن الرسالة التي تلقيتها من السوفيات . الواضح ان السوفيات خايفين من ان ندفع بقواتنا العسكرية في الوقت الحاضر في عملية عسكرية جديدة قبل ان تكون قادرة على ذلك بشريا وتدريبيا ومعنويا . لانه لو هزمت هذه القوات

مرة اخرى ستكون هناك مشكلة كبرى بالنسبة اليهم في المنطقة كلها . لقد طمأنت السوفيات في هذا الموضوع ، وقلت لهم اننا لن نتورط في حرب رئيسية قبل ان نتأكد تماما من قدرتنا العسكرية للدخول فيها . ولذلك نلح عليهم دائما بضرورة تسليحنا بالكامل . وللاسف ، لم نستكمل قدراتنا العسكرية الميكانيكية الآن للتحرك شرقا بعد عبور القناة .

اما عن الموضوعات والمقترحات السياسية التي وردت في الرسالة السوفياتية فاني اقترح ان يتضمن ردنا عليها ما يلي :

ـ اولا ، عن اجراء مباحثات او مفاوضات مشتركة مع اسرائيل فمن المستحيل بالنسبة الينا القيام بهذا الاجراء .

ـ ثانيا ، عن المرور في قناة السويس فلا بد من ربطه مع موضوع الفلسطينيين .

ـ ثالثا ، عن الحدود الآمنة لاسرائيل فسأكرر لهم ما قلته قبل كله من اننا لن نتنازل عن شبر من الاراضي .

ـ رابعا ، عن مشكلة القدس فمن الممكن بحثها ومناقشتها ولكن لا يمكن التخلي عنها .

ـ خامسا ، عن اعلان انهاء حالة الحرب فسأكرر لهم ايضا ما قلته بأن انهاء حالة الحرب مرتبط ارتباطا وثيقا مع انسحابهم الكامل . اي اننا لن ننهي حالة الحرب معهم وهم على شبر واحد في اراضينا .

ـ سادسا ، عن استفتاء اللاجئين الفلسطينيين الموجودين خارج فلسطين واحتمال عدم رغبتهم في العودة فاني ارى عكس ذلك ، وفي تقديري انهم يرفضون اقتراح عدم العودة .

عامة ، من جانبنا ، سأستمر في تشجيع السوفيات للسير في المباحثات والمناقشات السياسية مع اميركا بشرط تكرار رأينا السابق الخاص بالاستفادة من هذه الفترة في استكمال اعدادنا العسكري .

● ● الدكتور محمود فوزي اثار موضوع المناقشات الطويلة التي تدور بين وزيري خارجية الاتحاد السوفياتي واميركا في الامم المتحدة . وأشار الى خطورة السماح بجدل طويل مع ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل . واقترح الدكتور فوزي انه من

الانسب في الوقت الراهن ان لا نحدد حلا لقضية فلسطين بقدر ما يمكن ان نصل اليه من حلول لسحب القوات الاسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة ، باستثناء مدينة القدس . وقال : « يجب ان يتم ذلك على اساس عامل الوقت ، وفي كل مرة يجب ان نرد على السؤال التالي : هل ان عامل الوقت في صالحنا ام في صالحهم ؟ » .

● عبد الناصر : ان الموضوع الرئيسي بالنسبة الى عامل الوقت هو مدى قدراتنا الداخلية ، مدى تماسكنا ، مدى قدرتنا على التنمية الاقتصادية ، وهل نحن قادرون على التحرك كدولة بالنسبة الى برامج التصنيع وبالنسبة الى الاراضي الزراعية الجديدة ، وبالنسبة الى الاستثمارات وبالنسبة الى خطتنا بالكامل ؟ هل هي خطة حقيقية ام خطة على الورق فقط ؟ على هذا الاساس فقط يحسب عامل الوقت لصالحنا او لغير صالحنا .

هم يحسبون الوقت بشكل آخر . انه في صالحهم على اساس انهم يتوقعون انهيار الجبهة الداخلية وحدوث انفجار فيها .

* * * *

كان جمال عبد الناصر يؤمن ايمانا قاطعا بأن مصر هي جزء من الامة العربية ، وان موقف مصر العربي ليس اختراعا كما انه ليس نزوة ، وان مصالح مصر الحقيقية هي مصالح عربية ، كذلك المصلحة العربية هي مصلحة مصر . كان يقول ويردد دائما لمن حوله ان عروبة مصر هي قدر مصر وليس بالاستطاعة الهروب من القدر . وانطلاقا من هذا المبدأ فان على مصر ان تلعب دورها دائما ضمن هذا الواقع .

كان يقول ايضا ويردد ان الهدف الوحيد للقوى الاستعمارية هو اخراج مصر من الحلقة العربية وطرحها بعيدا عن مشاكل العرب والعروبة ، بحيث تنطوي على نفسها تعالج مشاكلها بصرف النظر عن تعارض تلك المعالجة بالنسبة للمصالح العربية . كان يقول ايضا ان القوى الاستعمارية تريد لمصر ان تتفرغ للسياحة والفندقة والخدمات العامة ، وان تنسى مشاكل وجراح الشعب العربي . كان يقول دائما ان مصر اذا فعلت ذلك تكون قد حكمت على نفسها بالعزلة الابدية « فلا تربح دينها بل تخسر دنياها » .

من هذا المفهوم وضمن هذا المنطلق ، حرص عبد الناصر وهو في هزيمته ، على ان يتصرف دون ان تؤثر عليه طعنات الاصدقاء قبل الأعداء . ويظهر ذلك واضحا من خلال متابعة مناقشة الموقف في اجتماعات اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي او اجتماعات مجلس الوزراء التي سأحاول ان اعرض بعض الحوار فيهما .

عبد المجيد فريد

جلسة اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكي ، ١٩٦٨/١١/١٢

يوم الثلاثاء الواقع في ١٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٨ ، عقدت اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكي العربي اجتماعا ناقشت فيه القضية ، استمرارا لمناقشات طويلة اثيرت في الجلسات السابقة لها .

● عبد الناصر : يلوح لي انه لا فائدة من حركة وسيط الامم المتحدة يارنغ . لقد سبق ان قدرت لحركته في المنطقة حوالى ١٨ شهرا على اعتبار ان سياسة اسرائيل كانت وستبقى دائما كما خطط لها ، وهي اجبارنا على حل لصالحهم To Force a settlement (الناشر : ذكر عبد الناصر هذه الكلمة مرة اخرى بالانكليزية). من جانبنا ، فقد تنازلنا الى اقصى حد ممكن وذلك بضغط من الاردن ومن اجل اهالي الضفة الغربية . ولكن لا يمكننا التنازل اكثر من ذلك .

(وهنا تدخل الدكتور محمود فوزي متحدثا عن طول الوقت المنتظر لحل القضية ، وعن احتمال وصول اسرائيل الى استخدام الرؤوس الذرية حوالى العام ١٩٧٠ ، وعن الآمال المرتقبة من الحكم الجديد برئاسة نيكسون للولايات المتحدة الاميركية ، على اعتبار انه مطالب بحل مشكلتي فيتنام والشرق الاوسط . ثم تساءل الدكتور فوزي عما اذا كان من الممكن التفكير جديا في عودة العلاقات بين مصر وبين الولايات المتحدة الاميركية ، خاصة ان الامور ستتحسن هنا

وهناك . ونقل الدكتور فوزي امكانية هذا التحسن عن احد كبار موظفي « پان اميركان » للبترول الذي توقع استخراج كميات كبيرة من البترول في الصحراء الغربية المصرية . وذكر الدكتور فوزي ان ذلك سينعكس على نمو الاقتصاد المصري بشكل تدريجي . يضاف الى ذلك ان الدلائل المالية تشير الى هذا التحسن

المرتقب ، ولو في ظواهر بسيطة مثل ارتفاع سعر الجنيه المصري في السوق الحرة في بيروت ارتفاعا ملحوظا) .

● عبد الناصر : يجب ألا يغيب عن بالنا مطلقا ان هـدف اسرائيل كـان ، وسيبقى وسيستمر ، اجبارنا على ان نعتبر القضية قضية مصرية ـ اسرائيلية وليس قضية عربية ـ اسرائيلية . هذا كلام غير مقبول من جانبنا . اما عن عملية اعادة العلاقات مع اميركا فلا بد ان يكون لعودة العلاقات اساس . كيف نعيدها ولم توافق اميركا على مبدأ الانسحاب الى خطوط ٥ يونيو ؟ ان الكلام حول هذا الموضوع لا بد من مراجعته مع باقي الدول العربية بما فيها موريتانيا .

يا دكتور فوزي ، لا بد ان يكون هناك ثمن سياسي لاعادة العلاقات بيننا وبين اميركا . انهم منذ شهر فبراير يطلبون ويلحون على اعادة العلاقات ، ولكن في الوقت نفسه لم يتجاوبوا مع شروطنا . لذلك من رأيي ان نتريث ونشوف نيكسون حيعمل ايه بعد تأليف جهاز حكمه في شهر يناير المقبل وطبعا احنا ما زلنا مستمرين معهم في الديالوغ السياسي عن طريق اشرف غربال (الناشر : اشرف غربال كان رئيسا لمكتب رعاية المصالح المصرية في اميركا) .

المهم الآن ان نسأل انفسنا سؤالين : السؤال الاول ، هل نستطيع ان نتنازل اكثر مما تنازلنا ؟ السؤال الثاني ، هل نستطيع ان نقبل الكلام المقدم من اسرائيل ؟

انا سبق وقلت للروس لما تكلموا معنا عن الحل السياسي ، ان هناك موضوعين لا يمكن التفريط فيهما : الموضوع الاول اننا لن نترك او نتنازل عن اي شبر من اراضينا . والثاني هو اعادة حقوق الفلسطينيين .

● ● عبد المحسن ابو النور (عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي) : اعتقد ان اليهود لن يتنازلوا الا نتيجة حرب ، او عندما يشعرون اننا قد اصبحنا اقوياء عسكريا . ولذلك لا بد من الاستمرار في التعبئة الجماهيرية والعسكرية لانها هي الطريق الوحيد .

● ● الدكتور لبيب شقير (عضو اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكي) : ان اية تنازلات اخرى معناها احداث هزة داخلية للنظام ، واليهود يعلمون ذلك جيدا . ان القضية ليست في يد اسرائيل وانما هي في يد اميركا ايضا . ان من مصلحة اميركا ان تأخذ القضية وقتا طويلا ، وان يفشل نظامنا عن طريق تقديم التنازلات

المتتالية ، ولهذا فان الحل السلمي غير ممكن ، وليس هناك سوى المواجهة العسكرية .

● عبد الناصر : ان المواجهة العسكرية ليست سهلة . واصارحكم بأنني كنت افضل الحل السلمي بالرغم من ان القوات المسلحة عندنا ترفض ذلك حفاظا على كرامتها وكرامة مصر . لقد قلت لهم (الناشر : اي للقوات المسلحة) ان الحرب ليست من اجل الحرب فقط ، ولكنها وسيلة لتحقيق الهدف السياسي والاستراتيجي .

نقطة اخرى ، وهي ان اليهود عايزين فعلا يتوسعوا ولكنهم عارفين رأيي جيدا في هذا الموضوع ، وعارفين اني لن اوافق على ذلك ابدا . لقد وصلتني رسالة من احد افراد عائلة طوقان من اهالي الضفة الغربية ، ان موشي دايان قال في حديث خاص انهم يعرفون ثمن معظم الزعماء العرب في المنطقة وفي الدول المجاورة لهم ، ما عدا جمال عبد الناصر فلم يجدوا له ثمنا حتى الآن .

نقطة اخرى ، وهي ان العسكريين في اسرائيل قد اصابهم الكثير من الغرور ، يضاف الى ذلك تصريح نيكسون الذي اعلن فيه ان الولايات المتحدة الاميركية ستحرص دائما على ان تكون اسرائيل متفوقة على جيرانها العرب .

يجب ان لا ننسَ ابدا ان بريطانيا واميركا ترغبان وتعملان على حصرنا في مصر داخل حدودنا ، والسعي لتدويل قناة السويس كممر بحري دولي . ان اميركا وبريطانيا تحاولان منذ ١٩٥٥ ـ بعد اتفاقية الجلاء ـ تحقيق هذا الهدف بشتى الطرق ، والسعي لابقائنا داخل حدود مصر .

● ● حسين الشافعي : بالنسبة لعامل الوقت فأنا ارى انه يجب استخدامه لصالحنا كمناورة وليس من اجل اعطاء المزيد من التنازلات . ولكن لا بد لنا من اختراع مناورة سياسية لتغطية فترة الانتظار الحالية من اجل الاعداد العسكري الكامل .

● عبد الناصر : ان موضوع المناورات ليس محل مناقشة . ان المناورات مطلوبة طبعا ، والروس تحدثوا عنها اكثر من مرة . لكن المهم الآن هو ان طلباتنا من الاسلحة والمعدات التي اتفقت معهم عليها في الاتحاد السوفياتي في شهر يوليو الماضي لم يتم التعاقد عليها حتى الآن . ويلوح لي ان موضوع تشيكوسلوفاكيا (الناشر : اشارة الى دخول قوات حلف وارسو تشيكوسلوفاكيا لاطاحة حكم دوبتشك) قد اثر الى حد ما على علاقتهم بنا . ما زلت اعتقد ذلك بالرغم من ان

بريجنيف وغريشكو قالا لسفيرنا في موسكو مراد غالب ان المكتب السياسي للحزب الشيوعي هناك قد وافق على كل طلباتنا . كما وصلني ايضا ان الروس قالوا لسفيرنا مراد غالب انه منذ اليوم فقط اصبحوا على ثقة من ان مصر ستستخدم السلاح السوفياتي الذي يرسل اليها استخداما سليما .

ان موقفنا العسكري اليوم جيد . واستطيع ان اقول لكم انه من الممكن ان نعبر القناة ، ولكننا غير قادرين على ان نتحرك شرقا بعد العبور . ولا يجب ان يغيب عن بالنا ان اليهود مدربون تدريبا جيدا على القتال الهجومي . وتدريب قواتنا على مثل هذا النوع من القتال يحتاج الى وقت قد يستغرق سنة او سنتين . ان هناك قيادات في الاتحاد السوفياتي تقول انه لا يوجد سوى الحل السلمي ، بينما هناك اعضاء في المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي بالاضافة الى وزير الحربية الماريشال غريشكو ، يرون انه لا يوجد حل للمشكلة سوى الحل العسكري .

هناك موضوع آخر يتعلق بالقروض مع الاتحاد السوفياتي . ان قسط صفقات جميع الاسلحة المقسطة حتى عام ١٩٧١ يبلغ مائة وستة ملايين روبل ، تضاف اليه قيمة قسط السد العالي الذي يبلغ ستين مليون روبل .

اعود الى موضوع المواجهة العسكرية واقول انه موضوع صعب ويحتاج الى اعداد كبير . كما يجب ان لا ننسَ في هذه المواجهة ضرورة حماية اهدافنا الحيوية التي تبلغ حوالى الف هدف في الوقت الحاضر .

● انور السادات (عضو اللجنة التنفيذية العليا) : بالنسبة لتقديم تنازلات اخرى ، فانني اعتقد انه قد اصبح واضحا ولا مجال لأي كلام عن تقديم هذه التنازلات . كما انا شايف ، فان مسألة الاميركان بدأت معنا منذ ١٩٦٥ ، وبالتحديد في عهد جونسون وذلك عندما بدأ جونسون يتحرش بنا ويمنع المعونات والمساعدات عنا . بصورة عامة ، فان العملية ضدنا مخططة سياسيا ومقررة في اميركا . وقد تم تنفيذها في حماسة بواسطة جونسون ، وفي حماسة اقل الآن بواسطة نيكسون . ولذلك لا يمكننا دراسة اعادة العلاقات مع اميركا في مثل هذا الجو العام . ليس هذا معناه اننا ندخل في شتائم مع نيكسون ، ولكن المهم الا نخدع بكلامهم ، بل عليهم ان يقدموا افعالا من جانبهم وليس مجرد الكلام .

ان القضية الاساسية تختصر بالتالي :

هل يحكم شعب مصر من الخارج ام لا ؟ الاميركان يصرون على حكم شعبنا من الخارج ، مرة اخرى ، كما فعلوا في السنوات السابقة . لا .. ان هذه المعركة مصيرية ولا بد من الصمود حتى آخرها .

ان التنازلات معناها نهاية هذا النظام وزواله . ومعناها ايضا عودة حكم هذا الشعب من الخارج مرة اخرى .

فلنراجع انفسنا في الخمسة عشر شهرا التي مضت علينا منذ يونيو السابق . انا شخصيا كنت في حالة ذهول لمدة ٢١ يوما ، ولكن بعدها وجدت اننا قد تدرجنا في مرحلة الصمود ، وانتقلنا الى معركة الفدائيين داخل الارض المحتلة (الناشر : يعني داخل ارض سيناء المحتلة) ومعركة المدافع ، ومعركة الطيارين ، ومعركة البحرية . ان هذه المعركة هي قدرنا . وواضح لكل ذي عينين اننا بعد السنة ونصف السنة الماضية نسير نحو النصر باذن الله ، واننا يجب ان نتحمل ، وان ننزل الى شعبنا ونقول له ونشرح له موقفنا وكيفية الصمود .

● ● حسين الشافعي : ان هناك بعض الناس اللي قلبها على النظام حريصة على الثورة وعلى قواتها المسلحة ، ويرون ان لا نتحرك الا بعد الاستعداد الكامل من جانبنا .

● عبد الناصر : طبعا الكلام ده واضح ومفهوم . لكن هناك عاملا آخر يجب ان لا ننساه ، وهو انه لو ظل اليهود في اماكنهم دون اي ازعاج ، ده يبقى غلط منا . في رأيي انه بعد مرور شهر من الآن يجب ان نشتغل بجد داخل الاراضي المحتلة ، ويجب ان نشتغل ايضا داخل اسرائيل . ندخل دوريات تقعد هناك يومين او ثلاثة ثم تعود . وهكذا ندخل في عمليات استنزافية مستمرة لهم .

● ● الدكتور لبيب شقير : ان العملية لو بردت تصبح في صالح اليهود ، ولو سخنت تصبح في صالحنا . ان الموضوع لو بقي ساخنا تبقى الشعوب العربية ساخنة وبالتالي سيصعب على اي حكومة عربية في هذا الوقت ان تمتنع عن المشاركة بالدعم المالي المقرر . وهناك عامل آخر هو اننا نتميز عن اليهود بالعدد البشري ، بينما لم نحسن استخدام هذا العامل عسكريا في مواجهاتنا السابقة معهم .

● عبد الناصر : انا سبق ورديت على موضوع العامل البشري ، وهو ان هذا العامل يحتاج الى قاعدة وطيدة(Firm Base)(الناشر : ذكر عبد الناصر هذه

الكلمة بالانكليزية) لكي يعملوا منها ، وهذا ما بدأنا في اعداده تدريجيا . الحاجة الثانية ان الموضوع البشري ، لكي نترجمه الى عمل ونتائج ، يحتاج الى المال . كما ان هناك نقطة اخيرة بالنسبة للعامل البشري هي ان ارضنا في مصر عامة لا تعطي المناعة المطلوبة للمقاتلين المشاة . ان ارضنا ليست كأرض فيتنام وليست كأرض الجزائر . فمثلا في سيناء لا بد للمقاتل ان يحمل معه السلاح والذخيرة وكل ما يحتاجه من اكل ومياه . لان سيناء ، بوجه عام ، غير مأهولة بل هي صحراء جرداء يسهل اكتشاف المتسللين فيها الا اذا كانوا في اعداد قليلة .

* * * *

جلسة مجلس الوزراء ، ١٩٦٨/١٢/٢٩

(مثال آخر لمواقف عبد الناصر وأقواله . في يوم الاحد من ذلك التاريخ عقد مجلس الوزراء المصري جلسة لمناقشة عملية الغارة التي قامت بها اسرائيل على مطار بيروت في اليوم السابق ٢٨ ديسمبر ـ كانون الاول ـ ١٩٦٨) .

● عبد الناصر : ان هذه العملية الاسرائيلية تعطينا دلالات كثيرة وكبيرة . كان لبنان يعتبر نفسه ضمن الحماية الاميركية . وهو قد يكون كذلك بالفعل . ولكن رغم ذلك فان هذه الحماية الاميركية لم تمنع قيام اسرائيل بعملية عسكرية في مطار بيروت اصابت لبنان بخسائر ضخمة بلغت حوالى اربعين مليون جنيه . ان ما حدث في بيروت يمكن ان يحدث بعملية فجائية في مصر ، كمنطقة حلوان مثلا . ومن اجل ذلك لا بد ان نستعد وان تغطي حمايتنا كل الاهداف الحيوية الموجودة في بلدنا . وواضح من عملية بيروت ان اسرائيل هي التي تمارس ضغطها على اميركا وليس اميركا هي التي تمارس الضغط على اسرائيل .

● ● محمود رياض (وزير الخارجية) : لا شك ان الغارة على مطار بيروت تؤكد ان الحل السلمي غير متوقع ، بل وغير ممكن . ان الحل السلمي معناه ان تترك اسرائيل ارضا ، واسرائيل تحاول ان تتوسع على حساب الارض العربية . واضح ايضا ان اميركا تهدف دائما الى ان تستمر اسرائيل في تفوقها العسكري الحالي على العرب ، ولذا قامت بتسليحها اخيرا بمجموعة جديدة من طائرات « الفانتوم » . اما عن انهاء حالة الحرب مع اسرائيل فقد قمت بدراسة كاملة عن نتائج انهاء حالة الحرب والمزايا العديدة التي ستجنيها اسرائيل ، منها ـ مثلا ـ انهاء

المقاطعة العربية ، وهذا معناه ان تتحول اسرائيل يوما بعد يوم الى سويسرا الشرق . ان اسرائيل عندها الخبرة وعندها التكنولوجيا وتستطيع ان تستجلب رأس المال الاجنبي . يضاف الى ذلك ان اميركا لها مصلحة في وقوفها مع اسرائيل ، هذه المصلحة تعرفونها جيدا ولا مجال لبحثها هنا . كل هذا يعني انه لن يكون هنالك حل سياسي .

● عبد الناصر : ما لدينا من معلومات يؤكد ان اسرائيل قد اصبحت يائسة من التفاهم معنا (desperate) (الناشر : ذكر عبد الناصر هذه الكلمة بالانكليزية) وان نشاط الفدائيين يسبب لهم متاعب كثيرة كما ان عدم اتفاق الفلسطينيين معهم يسبب لهم ايضا قلقا كبيرا . ان استراتيجية بن غوريون ــ كما سبق ان قلت ــ هي ارغامنا على حل(To Force a settlement)(الناشر : قال عبد الناصر هذه الكلمة بالانكليزية) وهذا ما لم تتمكن اسرائيل من الحصول عليه ، ولذلك فهي قلقة ويائسة .

اما عن زيارة غروميكو الاخيرة لنا فقد اعطانا ملخصا عن اتصالاتهم الاخيرة مع الاميركان ، كما اقترح ان يقوم السوفيات بنشاط جديد في اطار الحل السلمي ، وفي اطار قرار مجلس الامن ، مضافة اليه جدولة زمنية لتنفيذه ، وانسحاب اسرائيل من الاراضي التي تحتلها . المشروع في رأيي ليس فيه جديد . وكان رأي السوفيات ان يتقدم محمود رياض بهذا المشروع الجديد الى ممثل الامم المتحدة يارنغ . لكنني طلبت من غروميكو ان يقوم السوفيات بتقديم المشروع الى الاميركان ، لانني متأكد من ان اسرائيل سترفض الانسحاب . انني متأكد انه لا يوجد في اسرائيل زعيم قادر على ان يتبنى مثل هذا المشروع ، خاصة وان انتخاباتهم ستجري في العام المقبل ١٩٦٩ . يضاف الى ذلك انني متأكد من ان الاميركان سيرفضون ايضا مثل هذا المشروع . واذا حصل ذلك فسيثور السوفيات ويغضبون ، وحينئذ سيقدمون لنا السلاح المطلوب ، وسيتجاوبون معنا ويعملون على توفير كل طلباتنا .

موضوع آخر احب ان اعرضه عليكم ، وهو ان تشاوشيسكو رئيس جمهورية رومانيا سبق ان قام باتصال بنا حول اسرائيل . ثم اعاد الاتصال بنا مرة اخرى في هذه الايام مقترحا اجراء لقاء غير رسمي بيننا وبين اسرائيل ولو بشكل سري في رومانيا . طبعا هذا العرض مرفوض لاننا ملتزمون عربيا بعدم القيام منفردين

بأي اتصال بالعدو ، بالاضافة الى احتمال استغلال اليهود مثل هذا الاتصال حتى ولو تم بصورة سرية في رومانيا .

ان اميركا واليهود يحاولون مرة بعد مرة ، بل ويصرون على ان تتحول المشكلة الى مشكلة مصرية ـ اسرائيلية وسورية ـ اسرائيلية واردنية ـ اسرائيلية كي لا تبقى مشكلة اسرائيلية ـ عربية . ان محاولات الاميركان ضدنا مستمرة وتتخذ اشكالا مختلفة . لقد تقدمت اخيرا شركة اميركية كبيرة للقيام بمشروع كبير في مصر ، وهذا المشروع هو شق قناة ملاحية جديدة تمتد من ميناء بور توفيق على البحر الاحمر الى بلدة رمانة على البحر الابيض . هذه الشركة الاميركية معها شخص مصري سبق اعتقاله اسمه م . ع . (الناشر : اكتفي بذكر هذين الحرفين فقط من اسم الشخص الذي ذكره عبد الناصر) وقد ارسل المشروع الي عن طريق عبد اللطيف البغدادي (الناشر : عضو مجلس قيادة الثورة) . لكني طبعا رفضت المشروع لانهم عايزين عن طريق هذا المشروع ان يعملوا دولة داخل الدولة .

● ● الدكتور ثروت عكاشة (وزير الثقافة) : هل ممكن ان نعرف سبب تأخير وصول المطلوب من السلاح السوفياتي وما هو موقف السوفيات من امدادنا بالسلاح والمعدات العسكرية ؟

● عبد الناصر : ان سبب تأخير وصول المطلوب من المعدات والاسلحة السوفياتية هو انشغال السوفيات بمشكلة تشيكوسلوفاكيا ، على اساس انهم اضطروا الى تشكيل وحدات سوفياتية جديدة كي لا يختل الدفاع الاصلي ، وكي لا تختل التزاماتهم العسكرية في شرق اوروبا . ذلك طبعا بالاضافة الى الزيادة المستمرة في العبء المالي المترتب على طلباتنا العديدة المتتالية . ان ضباط الجيش الذين زاروا موسكو اخيرا عادوا الى هنا وقالوا انهم وعدوهم بارسال كل الاسلحة والمعدات المطلوبة . واني اعتقد ان هناك خلافا داخليا في القيادة السوفياتية حول الشرق الاوسط ، كما ان الاميركان لعبوا بهم وخدعوهم ، ولذلك نرى القادة السوفيات احيانا متشددين واحيانا متساهلين . كما نراهم احيانا متفائلين واحيانا متشائمين .

اما عن حضور غروميكو في زيارته الاخيرة الينا فاني اعتقد ان السبب الرئيسي لحضوره كان نتيجة لان ضباط الجيش عندنا مسكوا الخبراء السوفيات يوميا

في كلام ومناقشات معلنين استياءهم لعدم وصول الدفعات الجديدة من الاسلحة والمعدات التي وعدوني بها . كما اعتقد ايضا ان غروميكو حضر للاطمئنان على الموقف السياسي الداخلي بعد تظاهرات الطلبة التي حدثت اخيرا في المنصورة وفي الاسكندرية .

* * * *

جلسة اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي ، ١٩٦٨/١٢/٣٠

في اجتماع اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي الذي عقد في مقرها في الطابق الـ ١١ من مبنى الاتحاد في كورنيش النيل يوم الاثنين الواقع في ٣٠ ديسمبر (كانون الاول) ، شرح جمال عبد الناصر لاعضاء اللجنة المشروع السوفياتي الذي عرضه عليه غروميكو . ويتلخص هذا المشروع اساسا في انهاء حالة الحرب على ان تصبح سارية المفعول عند اتمام انسحاب اليهود من جميع الاراضي التي احتلوها .

المرحلة الاولى من المشروع تقضي بانسحاب اسرائيل اربعين كيلومترا شرق قناة السويس ، وبعد شهر تسحب اسرائيل قواتها الى خط ٥ يونيو . بعد ذلك يتم الاتفاق على موضوعي الفلسطينيين والمرور في قناة السويس وخليج العقبة . مع التأكيد على ان الممر المائي في خليج العقبة هو ممر دولي مفتوح للجميع .

● عبد الناصر : طبعا فان رأيي اللي سبق ان قلته هو ان لا نتقدم شخصيا بالمشروع ، اذ قد يعتبر نقطة انطلاق لتنازلات جديدة . واقترحت على الروس ان يتقدموا هم بالمشروع . اني اعتقد ان الاهم من هذه المشروعات هو استكمال بنائنا الداخلي والاعداد العسكري . لقد ابلغني رئيس الخبراء السوفيات ان الطائرات الجديدة ستصلنا في اوائل العام المقبل . ان اليهود في الوقت الحاضر هم في حالة قلق وغيظ وعايزين يعملوا اي حاجة . وتدل عمليتهم العسكرية في مطار بيروت على قدر من التهور . من جانبنا ، سنبدأ عمليات الفدائيين في سيناء بمجرد ان نستكمل حماية اهدافنا الحيوية . بعدها مباشرة نبدأ الضرب . في الوقت نفسه طبعا سنضرب ايضا . اليهود بيقولوا عايزين حدود آمنة . ولما نسألهم ما هي تلك الحدود الآمنة يقولوا عايزين نتفاوض معكم مفاوضات مباشرة . للاسف ان اسرائيل بعد عملية

بيروت تثير الرعب في العالم العربي . امام ذلك لا بد ان نصبر ونتحمل . فالحرب
هي الحرب . نضرب ونكون جاهزين ايضا لتحمل الضربات المضادة .

* * * *

(وعلى الرغم من الحرب الضارية بين عبد الناصر وبين اميركا ، وعلى الرغم من الضغوط الهائلة التي تعرض لها النظام في مصر سواء في الداخل او في الخارج ، فان عبد الناصر لم يهدأ لحظة واحدة من اجل دعم الجبهة العربية والجبهة الداخلية على حد سواء . وفي اجتماعاته مع مجلس الوزراء واللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي ، التي ستاتي تفاصيلها في ما بعد ، كشف عبد الناصر عن اسرار خطيرة عربية ومصرية . لقد اعترف مثلا بأنه لم يكن له حول ولا قوة في مصر منذ العام ١٩٦٢ وان قيادة الجيش كانت ضد تأسيس تنظيم سياسي قوي انطلاقا من نظرية ان الجيش يجب ان يكون السند الوحيد للثورة . وقال عبد الناصر انه تلقى عرضا عن طريق احد وجهاء الضفة الغربية بأن اليهود على استعداد لتقديم تنازلات كبيرة لعبد الناصر شرط ان يجلس معهم حول مائدة واحدة . كما كشفت اجتماعات مجلس الوزراء المصري عن سر عربي هو عرض تقدم به الملك فيصل بشأن امارات ساحل عمان) .

الفصل الخامس

ثلاثة لقاءات هامة عام ١٩٦٨

تيتو
عبد الرحمن عارف
الملك حسين

الموقف السياسي والعسكري ـ الحاجة لطائرات ذات مدى بعيد ـ تقدير دور الخبراء السوفيات ـ نتائج لقاء تيتو وكوسيغين ـ سياسة ملء الفراغ الاستعمارية ـ السعودية والخليج والبحر الاحمر ـ صحارى آمنة بين اسرائيل والعراق والسعودية ـ لا جدوى من اميركا ـ الجبهة الشرقية ضرورة قصوى ـ ربط المصالح الفرنسية بالمصالح العربية .

عبد الناصر :

- لا نقبل اي لقاء مباشر او غير مباشر مع اسرائيل .
- نقف مع السعودية ضد اطماع شاه ايران في الخليج العربي .
- اميركا تلعب لعبة حقيرة وتريد بيع العرب كلهم .
- نسقوا مع الفدائيين الفلسطينيين وتجنبوا اثارة المتاعب .

بالرغم من انشغال جمال عبد الناصر بالشؤون الداخلية ، واهتمامه الشديد باعادة بناء القوات المسلحة واعادة بناء التنظيم السياسي على اسس جديدة تكفل له وتعطيه حرية الحركة ، فانه لم يتوقف لحظة واحدة عن متابعة الشؤون الخارجية والاجتماع بزعماء العالم كلما سنحت له الفرصة ، شارحا وجهة نظره في الموقف محاولاً الضغط على الاصدقاء والمناورة مع الاعداء ، والعمل في كل اتجاه من اجل احباط المخطط الاميركي ـ الصهيوني لمنطقة الشرق الأوسط .

كان عبد الناصر يلتقي بمن يرتاح الى اللقاء بهم مستفيدا من الحوار معهم . كان يلتقي ايضا ، وبنفس الرغبة ، بمن لا يرتاح اليهم ، لأنه كان يعتبر ان الحوار ضروري حتى على حساب عاطفته الشخصية واعصابه . كان يعاني الضيق من لقاء البعض ، لكنه كان في كل الحالات مثالا للضيف المجامل والمتحدث الذي يجيد الاستماع ... ولم يلحظ احد من هؤلاء الذين كان عبد الناصر يضيق بمجالستهم حقيقة شعوره .

وكان جوزف بروز تيتو رئيس جمهورية يوغوسلافيا احب زعماء العالم الى قلبه . كانت تجربة تيتو في يوغوسلافيا واحدة من التجارب القليلة التي استفاد منها عبد الناصر وجعلها نموذجا له . كان تيتو ماركسيا حتى العظم ، لكنه كان يتبع سياسة مستقلة عن خط موسكو . لقد كان الزعيم الوحيد في المعسكر الاشتراكي الذي تحدى ستالين في عز قوته وجبروته . ولم يتردد تيتو لحظة في تحديه ، وظل صامدا امام كل الضغوط . وراح ستالين وجاء خلفاؤه وذهب هؤلاء الى بلغراد ، العاصمة اليوغوسلافية ، وخاطبوا تيتو بكلمة « الرفيق العظيم » . وبذلك مسحوا تهمة ستالين له بأنه « خارج على المبادئ الماركسية ـ اللينينية » .

من اجل ذلك وغيره ، كانت تجربة تيتو داخل يوغوسلافيا تجذب اهتمام عبد الناصر وتحظى باعجابه .

قبل ذلك ، وبعد ذلك ، كان عبد الناصر يثق في بعد نظر تيتو وصدق حكمه وفهمه العميق لما يجري حوله على امتداد الكرة الارضية . وبالفعل فان تيتو كان

مهندسا لمعسكر دول عدم الانحياز والحياد الايجابي . وكان نهرو هو فيلسوف هذا المعسكر . وكان جمال عبد الناصر ثالثهما . ورغم فارق السن والتجربة ، الا ان عبد الناصر استطاع ان يبرز في هذا الميدان لانه خرج بسياسة العالم الثالث من دوائر ومثلثات الهندسة ، ومن كتب الفلسفة ليضعها موضع التجربة الحية . كانت هذه احدى ميزات عبد الناصر البارزة .

ومن جهته ، كان تيتو معجبا بجمال عبد الناصر . معجبا بشجاعته وبصدقه وبشبابه ايضا . وذات يوم قال تيتو لعبد الناصر وهما يجلسان معا على شاطئ البحر في جزيرة بريوني اليوغوسلافية : « صدقني .. انني اغبطك . فأنت اصغرنا سنا ، وستعيش لترى ثمرة اعمالك » . لم يكن جوزف بروز تيتو يعرف المجهول . لم يكن يدرك ان القدر يخبئ لعبد الناصر المصير المحزن . لم يكن يعلم ان تيتو سيعيش ليمشي في جنازة الزعيم العربي الصغير السن .

على العموم ، كانت جلسات عبد الناصر وتيتو تتسم دائما بطابع المصارحة التامة . وكان اجتماعهما الذي انكشف الستار عنه الآن قد جرى في ظروف غاية في التعقيد : عناد اسرائيلي ، مؤامرات اميركية في الداخل وفي الخارج ، وموقف عربي يتسم بالغموض وعدم الاستقرار . كان تيتو قد وصل الى القاهرة بعد جولة طويلة له في دول الشرق الاقصى حيث التقى هناك بكوسيغين الذي كان هو الآخر في زيارة الهند . وحرص عبد الناصر ان يسمع من تيتو كل ما دار بينه وبين كوسيغين في العاصمة الهندية . كما حرص على معرفة رأي الزعيم اليوغوسلافي في الموقف ، وخاصة موقف انديرا غاندي من ازمة الشرق الاوسط . في هذا اللقاء كشف تيتو عن حقيقة تحركات السعودية في منطقة البحر الاحمر . وسنكتشف ان قصة القرن الافريقي التي فرضت نفسها على العالم اخيرا هي قصة قديمة نسجت خيوطها الاولى منذ عشر سنوات .

عبد المجيد فريد

اللقاء الاول

عبد الناصر وتيتو

(جرى اللقاء في ٥ فبراير ـ شباط ـ ١٩٦٨ في مدينة اسوان . وقد اراد عبد

الناصر ان يضع صديقه تيتو في الصورة لما يجري بالنسبة لازمة الشرق الاوسط . لذلك كان عبد الناصر البادئ في الكلام) .

● عبد الناصر : منذ اغسطس الماضي بدأنا التحرك ايجابيا لمواجهة العدوان الاسرائيلي. وقد حضرنا مؤتمر القمة العربي في الخرطوم ، وتبين لنا في المؤتمر انه من الافضل لنا عدم الاصرار على قطع البترول شرط ان تقوم دول النفط بتقديم الدعم المالي لنا وللاردن كدول مواجهة . وبذلك حصلنا على دعم مالي من العملات الصعبة يعادل ٩٥ مليون جنيه ولو اننا فقدنا بسبب الحرب ما يعادل حوالى ١٨٠ مليون جنيه من العملة الصعبة ، الا ان مقدار الدعم الذي خصص لنا سيساعدنا كثيرا على الصمود والتصدي لاسرائيل . ولو اضفنا اليه القروض والتسهيلات التجارية التي تقدم لنا من الاتحاد السوفياتي والمعسكر الشرقي ، وايضا القرض الفرنسي والقرض الآخر الايطالي ، لادركنا اننا سنضاعف نصيبنا من العملة الصعبة ، ولكن نبقى في حاجة الى مبلغ آخر لشراء الخامات والمواد الوسيطة اللازمة لمصانعنا . عموما انا اعتبر نتائج مؤتمر الخرطوم مشجعة لنا على الاستمرار في الصمود والنضال . وكما تعلمون فخامتكم ، فاننا بالنسبة للامم المتحدة ، قام وزير خارجيتنا بتحرك سياسي سبق ابلاغه لكم . ويهمني الآن عرض بعض الملاحظات عليكم :

اولا ـ موقف غولدبرغ مندوب اميركا متطابق بنسبة مائة بالمائة مع موقف اسرائيل .

ثانيا ـ بعدما وافقنا على المشروع السياسي المسمى بالمشروع السوفياتي ـ الاميركي قامت اميركا بسحب موافقتها على المشروع .

ثالثا ـ ان هدف اميركا في المرحلة الحالية هو تجميد الموقف وتركه دون حل .

رابعا ـ ان اميركا واسرائيل على علم تام بأننا غير مستعدين عسكريا في الوقت الحاضر . وهذا هو السبب في الغطرسة الاسرائيلية وفي عدم المبالاة .

أما بخصوص قواتنا المسلحة فقد اصبحنا الآن في حالة تمكننا من الدفاع عن مصر ، ولكننا لسنا مستعدين للهجوم لتحرير الارض ، وذلك بسبب النقص في الطيارين ، بينما دعمت اميركا القوات الجوية الاسرائيلية بأسراب جديدة من الطائرات الحديثة . ان اسرائيل مصرة على ضرورة الجلوس معها والتفاوض المباشر ،

وهي تعتقد انها ستحقق هذا الهدف طالما اننا غير قادرين على تحرير الارض بالسلاح .

ان اهم مشكلة لنا مع السوفيات ، في موضوع التسليح ، هي حاجتنا لنوع جديد من الطائرات الحديثة . والطائرات الموجودة لدينا في الوقت الحاضر هي الميغ ـ ١٧ والميغ ـ ١٩ والميغ ـ ٢١ والسوخوي ـ ٧ . وتعتبر هذه الطائرات ذات مدى قصير ولا تستطيع الوصول الى كل اهداف اسرائيل . فمثلا طائرات الميغ ـ ١٧ لا تصل الا لحدود اسرائيل فقط ، وتصل طائرات الميغ ـ ٢١ الى الجزء الجنوبي من اسرائيل فقط ، اما طائرات السوخوي فهي ذات مدى بعيد ولكن قدراتها القتالية محدودة . وفي المقابل نجد ان طائرات اسرائيل الفرنسية الصنع تغطي اغلب مطاراتنا ، كما ان الطائرات الاميركية (سكاي هوك) تصل الى كل شبر في بلدنا . لذلك طلبنا من القيادة السوفياتية قاذفة مقاتلة ذات مدى بعيد ، كما طلبنا منهم الخبرة والمساعدة في التدريب ، فأرسلوا لنا بالفعل خبراء من الجيش والبحرية والطيران . ويسعدني ان اقرر ان التعاون بين هؤلاء الخبراء العسكريين وضباطنا هو على اكمل وجه .

اما في مجال التحرك السياسي العربي ، فقد اقترحنا عقد مؤتمر قمة عربي جديد بهدف تعبئة موارد الامة العربية عسكريا واقتصاديا ضد اسرائيل . ولكن السوريين يرفضون الفكرة لانهم يتحفظون على التعاون مع السعودية والاردن كما ان السعوديين ضد عقد مثل هذا المؤتمر حتى لا يتورطوا في التزامات مالية جديدة . وبالنسبة لعلاقاتنا مع السعودية فانها تتسم بالفتور ، وذلك بسبب ما تركته حرب اليمن ، رغم اننا وافقنا في مؤتمر الخرطوم على سحب قواتنا من اليمن ، وتم ذلك بالفعل . وقد رفض السعوديون الاعتراف بحكومة قحطان الشعبي في عدن . ويهمني ان اشير الى نقطة هامة هي اننا لم نسحب قواتنا من هناك الا بعدما تأكد لنا خروج الانكليز من عدن وجنوب اليمن .

وفي الوقت نفسه نحن ابلغنا السعودية اننا نقف معها في الخليج العربي ونقدم لها اي مساعدة مطلوبة ضد اطماع ايران هناك ، رغم انه سبق للسعودية الاتفاق مع ايران ضدنا في اطار الحلف الاسلامي . ولكن الموقف تغير بعد قرار بريطانيا وسحب قواتها من المنطقة ، فظهرت على الفور الخلافات بين السعودية وايران ..

ونحن بالنسبة لهذه الخلافات نقف مع السعودية كدولة عربية شقيقة ضد شاه ايران .

وبشأن موضوع اخراج السفن المحتجزة من قناة السويس ، فقد تحركنا من اجل تسهيل عملية اخراجها ، وذلك بناء على طلب الدول التابعة لها هذه السفن . وقد تلقيت من مستر براون ، وزير خارجية بريطانيا ، اربعة خطابات حول هذا الموضوع . ولكن عندما بدأنا في اتخاذ الخطوات الاولى لتنفيذ عملية اخراج السفن ، اعترضت طريقنا القوات الاسرائيلية وفتحت نيرانها من الضفة الشرقية على القائمين بهذا العمل ، فقررنا وقف العملية .

(الناشر : كان عبد الناصر قد استجاب لضغط من مستر براون وزير خارجية بريطانيا لاخراج السفن المحتجزة وعددها ١٣ سفينة اغلبها يرفع العلم البريطاني . وكان السبب الحقيقي لاستجابة عبد الناصر لطلب مستر براون ان الوزير البريطاني اتخذ موقفا محايدا في الامم المتحدة ورفض الاستجابة للضغط الاميركي لتأييد اسرائيل تأييدا مطلقا . وقد تعرض الرجل للهجوم الشديد من الصحف البريطانية وقالت جريدة « صنداي تلغراف » ان وزير الخارجية اساء التصرف . ووصفت « الاوبزرفر » سياسة براون بأنها تتحدى العقل) .

● ● تيتو : اود معرفة الموقف البترولي في مصر بعد حرب ٦٧ ؟

● عبد الناصر : لقد فقدنا بترول سيناء وقيمته حوالى ستة ملايين جنيه سنويا . ولكن لدينا الآن مصدرا جديدا سيعطينا نفس الكمية تقريبا . وكما تعلمون فخامتكم فقد هاجم الاسرائيليون معامل التكرير بالسويس ، ولذلك بدأنا نكرر بترولنا في مصافي عدن .

(وبعدما استعرض الرئيس تيتو نتائج زيارته في بلدان الشرق الاقصى والتي شملت الهند والباكستان وافغانستان وكمبوديا قال) :

● ● تيتو : لاحظت بوجه عام عطفا كبيرا من هذه الدول على قضية العرب بالرغم من الضغوط الاميركية على بعضها . ان السيدة انديرا غاندي مثلا تتعرض لضغط شديد من الجناح اليميني في برلمان الهند . وقد قابلت في الهند الرفيق اليكسي كوسيغين رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي ، ودار بيننا حديث عن ازمة الشرق الاوسط . وقد ابلغني كوسيغين بأنهم في الاتحاد السوفياتي قرروا عدم السماح

للاميركان ان يحلوا محل الانكليز في منطقة الشرق الاوسط بغض النظر عن الاشاعات التي ترددت عند انسحاب الانكليز من عدن . وقد اكد لي كوسيغين ان السوفيات باقون في المنطقة الى ان تظهر قوة وطنية واضحة فيها ، وان ما تردده الاوساط الغربية عن الفراغ في المنطقة وضرورة سد الفراغ انما هـو اصطلاحات استعمارية ولن يسمح الاتحاد السوفياتي لاحد من خارج المنطقة بسد الفراغ .

كما اكد لي كوسيغين ان الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى ستقف بجوار هذه الشعوب تساعدها وتدعمها ، ثم اضاف بأنه يجب على الدول غير المنحازة ايضا ان تقف بجانب شعوب هذه المنطقة . اما عن سياسة السعودية تجاه اليمن وجنوب اليمن فاني اعتقد انه اصبح واضحا انها موجهة ومدعومة من قوى خارجية للحصول على مفتاح البحر الاحمر من الجنوب والسيطرة عليه .

● عبد الناصر : هل تعرض كوسيغين في حديثه معك للحـل السياسي المقترح لازمة الشرق الاوسط ؟

● ● تيتو : لقد فهمت من حديثي مع كوسيغين ان السوفيات يخططون على اساس انه لا يمكن التوصل الى حل سياسي مقبول ما لم تكن الجمهورية العربية المتحدة قوية عسكريا . ويجب الا ننسَ انكم تحظون الآن بعطف كبير من جانب دول العالم ، وذلك بسبب موقف اسرائيل المتعنت . ولهذا اعتقد انه عندما يتعذر الوصول الى حل سياسي ، فان العالم سيفهم حينئذ لماذا اخترتم الحل الآخر .

* * * *

اللقاء الثاني
عبد الناصر وعبد الرحمن عارف

(في ١٠ فبراير ـ شباط ـ ١٩٦٨ ، وصل الى القاهرة الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف عائدا مباشرة من باريس بعد قيامه بزيارة فرنسا رسميا والاجتماع الى الرئيس الفرنسي شارل ديغول . ولقد رغب عارف في ان يطلع عبد الناصر على نتائج محادثاته مع الرئيس الفرنسي قبل ان يعود الى بغداد) .

● ● عبد الرحمن عارف : لقد ادركنا منذ اللحظة الاولى لمباحثاتنا مع ديغول ان هناك ضغطا عليه من القوى الصهيونية في فرنسا ، ولكنه مصمم على السير في سياسته

الجديدة لكسب العرب . وقد اكد لنا ديغول ان فرنسا مستعدة في الوقت الحاضر لمساعدة الدول العربية وفقا لما تحتاجه هذه الدول ، وان سياسة فرنسا الجديدة ليست مبنية على امور عاطفية ، ولكنها وضعت من اجل مصلحة فرنسا .

وتعرض ديغول في حديثه الى ضرورة انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة ، على ان يبحث الطرفان في ما بعد مشاكل الحدود بينهما ، وحرية الملاحة البحرية . ولكن في الجلسة التالية تدخل اعضاء الوفد الفرنسي في الحديث وسحبوا هذا النص الواضح واقترحوا النص فقط على السلام في المنطقة بوجه عام . وعندما اثرنا موضوع الخليج العربي ، تجنب ديغول الخوض في هذا الموضوع . وكان واضحا انه يرتبط مع ايران بعلاقات وطيدة ، واكتفى بضرورة التشاور في موضوعات الخليج مع السعودية والكويت وباقي الدول المطلة على الخليج .

وقد ابدى ديغول استعداد فرنسا لتلبية كافة الاحتياجات والمعونات المطلوبة ، بما في ذلك الاسلحة والمعدات العسكرية . واظهارا لحسن النية ، امر بتعديل مواعيد توريد الطائرات الميراج المتعاقد عليها مع العراق لتصبح ثلاث طائرات شهريا بدلا من طائرتين .

وقد ذكر لي ديغول في حديث شخصي معي انه كان على يقين من انتصار اسرائيل على الجيوش العربية ، على اساس المعلومات المتوفرة لديه عن حجم ونوع الاسلحة التي كانت في حوزة اسرائيل . واشار ديغول انه يتعين علينا كعرب ان نوحد وجهة نظرنا السياسية لان اسرائيل لها رأي واحد في كل قضية ، وللعرب اكثر من رأي . وقال انه لو كانت لنا وجهة نظر واحدة فسيساعد ذلك فرنسا بما لها من مكانة في العالم ان تلعب دورا رئيسيا في قضية الشرق الاوسط .

وقد شكا الجنرال ديغول من سيطرة القوى الصهيونية العالمية على اجهزة الاعلام في فرنسا ، وقال الرئيس ديغول ان السبب في ذلك قد يكون عزلة الدول العربية عن اوروبا وفشلها في استخدام الاسلوب الصحيح للاتصال بالرأي العام الاوروبي .

● ● اسماعيل خير الله (وزير الخارجية العراقي) : عندما تقابلنا مع وزير خارجية فرنسا ، لخص لنا الجانب السياسي لمشكلة الشرق الاوسط في كلمات محددة وواضحة حيث قال لا تنسوا ان حل هذه المشكلة سيعتمد دائما على العلاقة بين

الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية . وعلى ضوء العلاقة بين هاتين الدولتين الكبيرتين سيكون الحل .

● عبد الناصر : اشكركم على مروركم علينا لتبادل الرأي في الموقف الحالي . وفي رأيي انه منذ حرب الـ ٦٧ حتى الآن حدثت تطورات عسكرية وسياسية هامة . ففي الموقف العسكري تحسن وضع قواتنا المسلحة عما كانت عليه قبل العدوان . فمثلا ، كانت لدينا فرقتان كاملتان في اليمن اعدناهما الى الجبهة المصرية . وكانت لدينا خمس فرق اخرى اعدنا تسليحها وتدريبها ، بالاضافة الى اعادة بناء جميع قواتنا المدرعة . كما طورنا اسلوب التجنيد العسكري فأمكن استخدام عدد كبير من الجنود خريجي المعاهد والجامعات على المعدات والمركبات الحديثة واجهزة الرادار واسلحة الدفاع الجوي والغواصات . وقد اتخذنا اخيرا قرارا بزيادة عدد الفرق وسيجري تسليحها . ولدينا الآن خبراء سوفيات بناء على طلبنا لتدريب القوات على العمليات . ما ينقصنا بشكل اساسي الآن هو تزويد قواتنا المسلحة بالسيارات والمركبات النصف جنزير .

اننا الآن قادرون على القيام بالدفاع عن مصر ، ولكن غير قادرين على القيام بالهجوم في سيناء . وقد تحسنت القوات الجوية والدفاع الجوي كثيرا عن العام ٦٧ . ولكن ما زلنا نعاني من نقص الطيارين ، كما طلبنا من السوفيات تزويدنا بطائرة جديدة بعيدة المدى .

ومن الناحية السياسية فنحن لم نرفض قرار مجلس الامن لنؤكد للعالم اننا لا نقف في وجه الجهود المبذولة لاحلال السلام في المنطقة . وعموما ، من خلال التحركات السياسية وزيارات مستر يارنغ في المنطقة ، فقد اصبحت على يقين ان المشكلة لن تحل في الوقت الحاضر لسبب رئيسي وهو ان اسرائيل تعلم اننا حتى الآن غير قادرين على شن هجوم لتحرير الارض ، وبالتالي فليس لنا بديل في الوقت الحاضر سوى التحرك السياسي . ويعمل الاميركان من جانبهم على ابقاء الموقف في المنطقة كما هو عليه الآن ، ويعتقدون في واشنطن ان الجماهير العربية سيزداد ضيقها وقلقها وانها حتما ستتحرك بمضي الوقت ضد حكوماتها ، وتحدث الانفجارات المطلوبة داخل النظم العربية المناوئة للسياسة الاميركية في المنطقة . ولذلك فأنا اقترح ممارسة جميع انواع الضغوط المختلفة على الاميركان من اجل اشعارهم ان موقفهم الحالي سيكون له ابلغ الاثر على مصالحهم في المنطقة .

ان المساعدات السوفياتية ما زالت تتدفق علينا حتى الآن . وقد سبق ان وافقوا لعلي صبري على مدنا بمائة الف طن من القمح . وقد طلبنا الآن ارسال دفعة اخرى تبلغ (٢٠٠,٠٠٠) طن من القمح ، وقد وصلتنا سلع اخرى في حدود ٦٥ مليون جنيه .

لقد طالبنا بعقد مؤتمر قمة عربي ، ولكن سورية رفضت عقد هذا المؤتمر . كما ان السعودية لا تريد عقد مثل هذا المؤتمر لاسباب مختلفة . وللاسف ، ان الموقف العسكري على الجبهة الشرقية ضعيف للغاية ، ولا تستطيع سورية الوقوف وحدها . وقد خسرت الاردن كل طائراتها في الحرب ، ولذلك لا بد من تعبئة كل الجهود المتوفرة في العراق وسورية والاردن من اجل دعم الجبهة الشرقية بحيث انه عندما تبدأ المعركة المقبلة تضطر اسرائيل الى القتال على جبهتين وليس على جبهة واحدة . ويجب ان نكون واثقين من قدرة قواتنا المسلحة قبل ان نبدأ المعركة ، لاننا للاسف لم نقدر قوة اسرائيل الحقيقية في الحرب السابقة . وليكن معلوما للجميع اننا لا نتحمل هزيمة اخرى من اسرائيل .

لقد كنت اتمنى ـ كما قال ديغول لكم ـ ان يكون العرب جبهة واحدة ولهم رأي واحد . لقد زارني تيتو منذ خمسة ايام وقد اوصانا بضرورة العمل في الجبهة الداخلية وخاصة بين العمال والمثقفين حتى يفقد الاميركان الامل في احداث تغيير داخلي .

اني ارى اهمية كبرى لزيارتكم لفرنسا وحديثكم مع ديغول . وعلينا ان نسعى بكل جهد لربط المصالح الفرنسية بالمصالح العربية . وانا اعلم ان فرنسا العام ١٩٨٠ تحتاج لحوالى ٢٠٠ مليون برميل من البترول ، وتأمل في الاعتماد على العراق والجزائر في توفير هذه الكمية بعيدا عن وساطة الولايات المتحدة الاميركية او تدخلها .

* * * *

اللقاء الثالث

عبد الناصر وحسين

(في السادس من شهر ابريل ـ نيسان ـ وصل الى القاهرة الملك حسين على رأس وفد سياسي وعسكري رفيع . وكانت هذه اول زيارة رسمية يقوم بها الملك الاردني

بعد معركة الكرامة التي جرت في ٢١ مارس ــ آذار ــ ١٩٦٨ والتي اشتركت فيها قوات المقاومة الفلسطينية جنبا الى جنب مع الجيش الاردني) .

● ● حسين : لقد جئت اليكم للتشاور في ما يجب اتخاذه في هذه المرحلة ، خاصة انه حدثت في الفترة الاخيرة تطورات سياسية هامة . ولقد كانت رسالتكم لنا يوم ٢١ مارس ١٩٦٨ ــ يوم معركة الكرامة ــ هي اول رسالة عربية تلقيناها . ولهذا فنحن نعتز دائما بكم وبمواقفكم النضالية وبدوركم الطليعي . يوجد في اسرائيل الآن اتجاه يصر على الاحتفاظ بكل الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل في حرب الـ ١٩٦٧ وهناك من يدعو لاحتلال اراضينا بالكامل حتى تصبح هناك صحراء آمنة بينهم وبين العراق ، وصحراء اخرى آمنة بينهم وبين السعودية .

● ● بهجت التلهوني : لقد وصلتنا رسالة من احد اهالي الضفة الغربية ، حكمت المصري . وقد اكدت الرسالة المعلومات الخاصة باحتمال قيام اسرائيل بعملية عسكرية جديدة شرقي الاردن ، تفرض اسرائيل بعدها على الملك حسين قبول حكومة فلسطينية محلية من بعض الفلسطينيين المقيمين في الضفة الغربية والمتعاونين مع سلطات الاحتلال .

● ● عبد المنعم الرفاعي : الملاحظ الآن ان اسرائيل بدأت في تحركها السياسي تبتعد عن مضمون ونصوص قرار مجلس الامن . لقد رفضت ما اقترحناه على ممثل الامم المتحدة يارنغ اضافة نص في مقترحاته (على ان الاطراف مستعدة لتنفيذ القرار) . ثم جاءنا الاميركان امس في عمان ونصحونا بعدم التمسك بهذا النص حتى لا تتعقد الامور . وواضح من ذلك بالطبع ان اسرائيل لها اطماع اقليمية في الارض العربية ، ونحن نعتقد الآن ان يارنغ سيتوقف عن الاستمرار في مهمته ويعود بالقضية مرة اخرى الى مجلس الامن .

● عبد الناصر : الموضوع المهم ليس مقترحات يارنغ ولكن هو ان نقرر هل نقبل الذهاب والاجتماع مع الاسرائيليين في مكان ما ، بشكل مباشر او غير مباشر ، وما اثر ذلك بعدما رفضنا علنا مثل هذا اللقاء ؟ انا ارد بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة واقول انه لا يمكننا قبول مثل هذا اللقاء المباشر او غير المباشر . ولا تنسوا انني مشيت معكم فقط في صيغة القرار الذي تسلمه يارنغ رغم معارضة الجزائر والعراق والسودان والسعودية . وقد اتخذت موقفي هذا من اجل استمرار التحرك السياسي .

اعود واقول انه يتحتم علينا الآن ان نبحث : هل سنقبل الذهاب الى رودس او الى جنيف ؟ من جانبنا نحن نرفض هذا الاقتراح . وبالنسبة لاميركا فقد كان تصوري انها ستقف معكم موقفا يختلف عن موقفها معنا ، على اساس ان هناك عداء شخصيا بيننا وبينهم ، وكان المفروض ان يكون سلوكهم معكم يتفق مع موقفكم منهم كأصدقاء .

الناس عندنا في مصر يريدون الحرب ويرفضون السلام بهذا الشكل ، مع اني كنت اتصور ان الناس زهقوا ، وضاقت نفوسهم من كثرة الحروب وشدة الاعباء الملقاة عليهم . الناس عندنا اصبحت حساسة جدا والوضع العام اصبح صعبا جدا .

في الفترة الاخيرة تحركنا في الجبهة الداخلية وصدر بيان ٣٠ مارس ، وتم استفتاء الناس واجريت الانتخابات . وسنستمر في التحرك السياسي لغاية ما نجهز انفسنا للمعركة العسكرية . لقد اعطانا مؤتمر الخرطوم دعما قدره ٩٥ مليون جنيه للصمود . وهنا نسأل انفسنا : اذا وافقنا على ما تدبره اميركا وتقترحه اسرائيل ، الا يكون ذلك مبررا للدول العربية للامتناع عن دفع هذا الدعم ؟ نحن هنا في مصر في حاجة لهذا الدعم من اجل الصمود ، رغم اننا رفعنا الضرائب حوالى ٢٥٠ مليون جنيه ، كما ان ميزانيتنا العسكرية وصلت الى ٣٠٠ مليون جنيه . ان مطلب اسرائيل الذي تصر عليه هو التفاوض المباشر . هل موقفكم الداخلي يتحمل ذلك ؟ عن موقفنا نحن ، اقول لكم بصراحة نحن لا نتحمل ذلك .

● محمود رياض : لقد سألت يارنغ في آخر زيارة سؤالا صريحا : ما الذي سيوقع عليه مندوبنا الذي سيذهب الى قبرص او جنيف في المفاوضات المقترحة ؟ وبعد حوار طويل معه حول تفاصيل الاجابة على هذا السؤال تأكد له ان مندوبنا سيوقع في هذه الحالة على اتفاقية استسلام ، وقد اعترف لي يارنغ ان الولايات المتحدة الاميركية ارسلت له مبعوثا خاصا منذ ايام ليعبر له عن انزعاج واشنطن من احتمالات فشل مهمة يارنغ ، كما ابلغه ان حكومة اسرائيل تضم ١٣ وزيرا من ذوي الاتجاهات المعتدلة ، كما تضم ٥ وزراء فقط لا يوافقون على التنازل عن شبر واحد من الاراضي العربية المحتلة . وان اشكول ، رئيس الوزراء ، غير قادر على اتخاذ موقف حاسم من هذا الموضوع داخل مجلس الوزراء ، لان مثل هذه الخطوة قد تطيح حكومته . وقد ابلغت يارنغ اننا سمعنا نفس الكلام تقريبا من السوفيات عن طريق سفيرهم في نيويورك .

اما عن اضافة او شطب بعض الالفاظ او العبارات في مقترحات يارنغ فاننا قطعنا شوطا طويلا فيها من اجل كسب الوقت ومن اجل ارضاء الرأي العام الدولي . والسؤال المطروح الآن هو : هل الاستمرار في لعبة الالفاظ والعبارات مفيد ؟ وهل يضمن تأخير الهجوم المحتمل على الاردن ؟ وهل من مصلحتنا ان يعود يارنغ بالقضية الى مجلس الامن على اساس ان ذلك سيمنع أسرائيل من القيام بعمل عسكري ؟

●● حسين : في هذا الموضوع اتصل بي الاميركان امس بحجة انقاذ مهمة يارنغ من الفشل ، ونصحوني بعقد اتفاقية صلح مع اسرائيل . وكان جوابي عليهم انه لا يمكن بحث هذا الموضوع لانه لم يذكر في قرار مجلس الامن .

اما عن احتلال القدس فاننا نشعر ، بعد مراجعة الموقف الدولي ، انه ليس هناك تأييد لنا في هذا الموضوع من الدول الاسلامية باستثناء عدد محدود . كما ابلغني الروس انهم مستعدون للوقوف معنا سياسيا ، كما وعدوا بتزويدنا بأسلحة سوفياتية في حالة فشل كل محاولاتنا للحصول على اسلحة من المصادر الغربية . ونحن الآن نحاول الحصول على بعض الاسلحة والذخائر الغربية من الدول العربية الشقيقة من اجل تعويض النقص الموجود لدينا . وللاسف لم يتم أي تنسيق عسكري في الجبهة الشرقية حتى الآن ويرفض السوريون اي تنسيق معنا . وفي الحقيقة ، ان الشعور بالقضية في العالم العربي يتفاوت بدرجات مختلفة ، واذا بقينا في العالم العربي كما نحن عليه الآن ، فستظل المبادرة دائما في يد العدو . نحن نحتاج للتنسيق بيننا في امور كثيرة ، والى موقف موحد في موضوع القدس ، وايضا في موضوع المراقبين الدوليين على الحدود .

● عبد الناصر : انا قلت الكلام اللي انت قلته الآن في خطاب علني . وقلت انه لا توجد خطة عربية مشتركة او تنسيق عربي . واعتقد ان كثيرا من الدول العربية تريد الابتعاد عن اية التزامات جديدة قد تتورط فيها . السوريون طلبوا عمل قيادة مشتركة معنا ، فقلت لهم ان القيادة المشتركة لا بد ان تكون بينهم وبين الاردن والعراق ، ولا بد من الاستفادة الى اقصى درجة من امكانيات الجيش العراقي . هناك طبعا شكوك بينهم وبين العراق بسبب امور حزبية ، ولكن علينا ان نبذل اقصى الجهد لقيام القيادة الشرقية ، كما علينا ان نصبر للتغلب على المشاكل

الداخلية التي نعاني منها ، ولكن ان نقبل التفاوض مع اليهود بشكل مباشر او غير مباشر ، فهذا امر غير مقبول .

الاميركان طلبوا منا في فبراير الماضي اعادة العلاقات معهم ، فقلنا لهم آسفين .. نحن لا نعيد العلاقات معهم الا بعد توضيح موقفهم من القضية العربية ، ولو بتصريح عن حقوق العرب ، ولكنهم رفضوا ، ولذلك رفضنا .

● ● التلهوني : ماذا سيكون موقف الجمهورية العربية المتحدة في حالة اعتداء اسرائيلي علينا ؟

● عبد الناصر : انا طلبت من الفريق فوزي يوم معركة الكرامة ان يقدر موقفه ويحدد لي ما الذي يمكن ان نقوم به عسكريا من جانبنا ؟ وكان جواب فوزي اننا مستعدون لفتح نيراننا على طول الجبهة بعد نصف ساعة من صدور الامر بذلك ، فاستشرت رياض قبل ان اعطي الامر للفريق فوزي ، فنصحني رياض بأن مثل هذا الاجراء العسكري ستكون له آثاره البعيدة على التحرك السياسي ، ومن الافضل عدم القيام به الآن . اما اذا كان المقصود بالسؤال هو مدى استعداد قواتنا لعبور قناة السويس شرقا ، فان قواتنا ما زالت في حاجة الى وقت لاستكمال اعدادها . كما انها محتاجة الى حوالى عشرين ألف سيارة عادية ونصف جنزير يبلغ ثمنها حوالى ستين مليون جنيه .

● ● التلهوني : وماذا سيكون الموقف سياسيا ؟

● عبد الناصر : انا سبق ان قلت للملك حسين ان الرغيف الواحد نقسمه نصفين : نصف لكم ونصف لنا . وسنستمر في الوقوف معكم مهما حدث . ويسعدني ان اقول لكم اليوم انني شايف الصورة الآن غير صورة الامس . حتى نفسي ومعنوياتي شخصيا تحسنت كثيرا عن ايام زيارتك لي السابقة في اواخر ٦٧ .

وفي رأيي ان الاميركان بيلعبوا لعبة حقيرة جدا وعاوزين يبيعونا كلنا كعرب . وحتى الروس انفسهم يئسوا من امكان الوصول لحل سياسي . ومن جانبنا فنحن نعتقد اننا قدمنا اقصى ما يمكننا للوصول الى حل سياسي .

● ● حسين : وماذا سيكون الوضع لو ان اسرائيل وافقت على مشروع يارنغ ؟

● عبد الناصر : في هذه الحالة يتم الاتصال بين الوفود ويارنغ على ان يمثلنا

المندوبون العرب الموجودون في الامم المتحدة . ولنا هناك الدكتور القوني ، كما يجب الا تكون هناك وثيقة للتوقيع . بمعنى آخر ، ارفض الاجتماع المباشر او غير المباشر مع اسرائيل . وما نقبل به فقط هو الاجتماع بمندوبينا الرسميين في الامم المتحدة .

● ● الفريق خماش (رئيس الاركان الاردني) : من الصحيح ان العمليات الفدائية هامة جدا ولها نتائج ايجابية على العدو ، الا انها تنحصر حاليا في الجبهة الاردنية ، وهذا يعطي لاسرائيل المبرر دائما للقيام بعمليات عسكرية ضد الاردن ، خصوصا وان اسرائيل تضع ٧٥ بالمائة من قواتها على الحدود الاردنية ، وخمسة لواءات امام الجبهة المصرية ولواءين امام سورية . وفي عملية الكرامة سحبت اسرائيل لواء مدرعا من بئر سبع انضم الى اللواءات الاخرى في الهجوم على الاردن . ومعروف ان اسرائيل لديها ٨ لواءات مدرعة و ..

● عبد الناصر : آسف لمقاطعتك .. ولكن اريد التأكد من عدد اللواءات الاسرائيلية المدرعة ؟

● ● الفريق خماش : معلوماتي تؤكد ان العدو لديه ٨ لواءات مدرعة .

● عبد الناصر : سبب سؤالي هو انه سبق للمخابرات السوفياتية ان ابلغت المشير عامر ان اسرائيل لديها ٨ لواءات مدرعة ، ولكن القيادة العامة السابقة رفضت معلومات السوفيات واصرت على معلوماتها الخاصة ان اسرائيل لديها ٥ لواءات فقط . وللاسف وضعت خطتها على هذا الاساس . عموما فلنعد الى حديثك .

● ● الفريق خماش : بالنسبة للتسليح فنحن في الاردن نفضل الحصول على اسلحة غربية حيث يمكن استخدامها مباشرة بواسطة افراد قواتنا المدربين عليها اصلا .

● عبد الناصر : بعد هذا الاستعراض العسكري والسياسي اود ان اكرر انه طالما لم نوقع اتفاقية صلح مع اسرائيل فانها لم تكسب الحرب . المهم ان نصبر ولا نيأس . ان استراتيجية اسرائيل منذ ايام بن غوريون هي اجبارنا على حل . وطالما لم نوقع اي اتفاق معها فهي لم تحقق اهدافها . لا بد من قيام جبهة شرقية وجبهة غربية ، وان نتحرك في الجبهتين في وقت واحد . انا ارى ضرورة عقد مؤتمر قمة عربي نعلن فيه جميعا ان الارض العربية مقدسة ولن نفرط في شبر منها . هذا معناه

اننا سنعبئ كل جيوش العرب وكل اموال العرب لتحرير ارض العرب . احنا بنقول اننا مائة مليون عربي ولكن في الحقيقة هذا القول غير صحيح ، لسبب اساسي هو انه لا توجد خطة سياسية عربية ، ولا توجد خطة عسكرية عربية . هذا الموضوع يحتاج ان نجتمع في مؤتمر قمة ونتفق ونضع خطة وبرنامجا . اما اننا نسكت ونتهرب فهذا غير مقبول .

وعن الفدائيين اقترح ان تقعدوا معهم وتنسقوا معهم . وانا اعرف الفلسطينيين بتوع « فتح » وهم ناس طيبين وممكن التنسيق معهم . في نفس الوقت هناك من يثير الفدائيين ويقول لهم بأن الملك حسين سيعتقلهم ويقضي عليهم ، لذلك لا بد ان تطمئنوهم وتغرسوا الثقة بينكم وبينهم ، وان تختاروا من بين المسؤولين بعض الامناء للاتصال بهم ويكون شرط اختيارهم ان يثق الفلسطينيون فيهم . ويجب ابعاد من يسعون للدس بينكم وبينهم ، وارجو ان تتجنبوا اثارة المتاعب لهم ومطاردتهم . (الناشر : كانت المعلومات المتوفرة لدى عبد الناصر في ذلك الوقت تفيد ان مسؤولي الاتصال بين الملك حسين وبين الفلسطينيين تحوم حولهم الشبهات بأنهم على اتصال مع المخابرات المركزية الاميركية) .

آخر حاجة احب ان اقولها في اجتماعنا اليوم هو انه يجب علينا ان لا نستسلم لليأس ، كما علينا أن نتجنب اضعاف الموقف العربي .

* * * *

الفصل السادس

١ ـ خطة عبد الناصر لاستنزاف اسرائيل ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩ .
٢ ـ مشروع سيسكو لاغراء مصر بحل منفرد .

عام ١٩٦٨

بعض جلسات مجلس الوزراء
واللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكي

الموقف العربي ـ الجبهة الشرقية ـ السعودية واوضاع الخليج العربي واليمنين ـ ضغط اميركي لوقف الدعم الاقتصادي ـ معركة الكرامة ـ اول اتصال بين ياسر عرفات والسوفيات ـ مخطط اميركي لتصفية المقاومة وخطوات للحماية ـ جدية الاسهام العربي في المعركة ـ عمليات فدائية في سيناء ـ تهديد المصالح الاميركية ـ تطور القدرات العسكرية ـ الوضع في مصر قبل ١٩٦٧ ـ انقلاب سلمي بقيادة المشير عامر ورفض سيادة التنظيم السياسي ـ بدء وصول معدات العبور ـ الاتحاد السوفياتي المصدر الوحيد للسلاح ـ عمليات الاستنزاف الاولى ـ جيش شعبي من مليون مقاتل .

عبد الناصر :

- طالبت مرارا بتغيير القيادة الجوية دون جدوى .
- الاعتقاد بأن الحل بيد اميركا كلام فارغ .
- لن نستسلم وليأتِ غيرنا ليحكم ويستسلم .
- ستعبر قواتنا القناة وتكون معركة فاصلة في المنطقة .

جلسة مجلس الوزراء ، فبراير (شباط) ١٩٦٨

كان الموقف العسكري في ذلك الوقت هو شغل عبد الناصر الشاغل اذا لم يكن همه الوحيد . وفي احدى جلسات مجلس الوزراء التي عقدت في شهر فبراير (شباط) ١٩٦٨ طلب عبد الناصر من الفريق محمد فوزي قائد القوات المسلحة استعراض الموقف العسكري بكامله . وفعل الفريق فوزي ذلك ، وعندما وصل الى حرب ١٩٦٧ قال :

● ● الفريق محمد فوزي : كنا نتوقع هذه الحرب ، غير ان القوات المسلحة لم تكن مستعدة لها وذلك للاسباب التالية :

اولا ـ ان المجهود الرئيسي للقوات المسلحة كان موجها لجبهة اليمن .

ثانيا ـ ان القوات المسلحة قد تركت في الفترة السابقة للحرب اختصاصها العسكري وهو القتال والدفاع ، وتفرغت لاختصاصات اخرى خارج مجالها العسكري .

ثالثا ـ لقد تعددت القيادات في القوات المسلحة ، وتضاربت هذه القيادات بعضها ببعض ، الامر الذي جعل اعداد هذه القوات عمليا للقتال غير ممكن .

واشار الفريق فوزي الى قدرة الجندي المصري على القتال ، وضرب مثلا معركة (رأس العش) التي نشبت بين قوة مصرية صغيرة وقوات اسرائيلية مدرعة ، واستمرت المعركة ٦ ساعات كاملة انتصرت في نهايتها القوة المصرية على القوات الاسرائيلية وحققت هدفها . واستعرض الفريق فوزي المساعدات العسكرية السوفياتية وقال ان القوات المصرية الآن قد بلغت نسبة ٧٠ ٪ من حجمها الذي كانت عليه قبل معركة ٥ يونيو . ان الاسلحة السوفياتية قدمت الينا بدون ثمن .

ووصف الفريق فوزي حالة الجيش المصري يوم ٥ يونيو فقال : ان القدرة القتالية للجيش المصري لم تكن تتعدى نسبة ٣٠ ٪ ولم يكن هناك نظام للاحتياط . اما اليوم فان الصورة قد تغيرت بحيث تحددت المسؤوليات في كافة قيادات الجيش .

وصدر قانون التجنيد الجديد مما اتاح للقوات المسلحة نوعية جديدة من الجنود المثقفين ، كما تقرر عدم استمرار قادة الفرق والعمليات والوحدات وهيئة اركان الحرب ورئيس اركان الحرب كل في موقعه اكثر من ٣ سنوات .

واستعرض الفريق فوزي خطة تطوير القوات الجوية فقال :

● ● الفريق محمد فوزي : يجري الآن اعداد الطيارين المدربين على اساس طيار ونصف طيار لكل طائرة ، اي ثلاثة طيارين لكل طائرتين . وانه بعد استكمال خطة الاعداد العسكرية فان الحرب بيننا وبين اسرائيل لن تستغرق ساعات او اياما ، لكنها تكون معركة عنيفة وشرسة وطويلة الامد . يجب الاخذ في الاعتبار ان اليهود لا يتحملون المعارك الطويلة الامد ، وهم غير مستعدين لها . وهذا عنصر يضاف الى العناصر الاخرى التي تشكل احتمالات النصر لنا . اما عن الاسطول البحري فباستطاعتي القول ان مصر لها الآن السيطرة الكاملة في البحر . اما عن حجم القوات العسكرية التي ينبغي لنا الدخول بها في المعركة ضد اسرائيل فهي موجودة ومدروسة . غير انني اصرّ على ضرورة التحرك عسكريا في اطار عمل عربي مشترك وتحت قيادة عسكرية موحدة . ففي هذه الحالة يمكن الاعتماد مثلا على القوات الجوية السورية . كما يمكن الاعتماد على القوات العراقية على ان تقوم بحماية ودعم الجبهة الشرقية . ومن سوء حظنا اننا خسرنا في حرب يونيو نحو (١٣) الف عربة عادية ونصف جنزير . واننا الآن في حاجة الى مثل هذا العدد من العربات للدخول في حرب سيناء .

* * * *

جلسة مجلس الوزراء ، ١٨/٢/١٩٦٨

مساء يوم الاحد الواقع في ١٨ فبراير (شباط) ١٩٦٨ دعا الرئيس جمال عبد الناصر مجلس الوزراء الى عقد جلسة عاجلة لاستعراض الموقف العربي . في ذلك الوقت كان الموقف العربي مترجرجا تحيط به الخلافات من كل جانب . وكان عبد الناصر يرى ان استمرار الموقف العربي على مثل هذه الحال سيعرض خطته الى مواجهة الكثير من العقبات . طلب عبد الناصر الى وزير الخارجية آنذاك محمود رياض ان يلخص لمجلس الوزراء نتائج رحلته التي قام بها في عدد من

الدول العربية . واستجاب رياض لرغبة عبد الناصر وشرح لمجلس الوزراء ما شاهده في العواصم العربية على الحقيقة ، ودون الوقوع في حبال الاوهام .

قال رياض ان هناك عدة عقبات الآن امام العمل العربي المشترك ، وانه استمع الى انتقادات متبادلة في كل من سورية والعراق والاردن ولبنان . (كان ذلك طبعا في عام ١٩٦٨) . تحفظات سورية حول موقف الاردن ، وشكوى من العراق لعدم ارساله قوات عسكرية الى الجبهة السورية ، ثم شكوى عراقية مقابلة من نشاط سوري في العراق .

ولم ينس رياض الاشارة بالاستعداد الطيب الذي لمسه في الكويت في مجال انشاء قوة جوية كويتية تشترك في المعارك المقبلة مع اسرائيل . وخلص رياض الى القول ان اهم هدف يجب التركيز عليه في المرحلة الحالية هو قيام الجبهة الشرقية بالتعاون بين الاردن وسورية والعراق . وقال رياض ايضا ان السعودية اظهرت استعدادها لتقديم ما يطلب منها في المعركة ، وقال : انهم ، يا سيادة الرئيس ، يرغبون في تحسين العلاقات معنا . لقد اوضحت للملك فيصل موقف مصر من الامارات في الخليج العربي بشكل مفصل ، واكدت له ان ما يهم مصر في الدرجة الاولى هو خروج الانكليز من هذه الامارات ، وبالتالي استقرار البلاد . ورد الملك فيصل فعرض اقتراحا بشأن الامارات يتلخص في ان يقوم اتحاد بينها وبين السعودية من اجل خلق كيان سياسي يتولى فيه مشايخ الامارات رئاسته بالتناوب ، كما الحال في اتحاد ماليزيا .

ووصف فيصل هذا الحل بأنه يضمن عروبة ساحل عمان ويحميه من اطماع ايران . ان الملك فيصل ، يا سيادة الرئيس ، ابدى استعداده للاعتراف باليمن الجنوبية ومدها بالمساعدات الاقتصادية ، وفي الوقت نفسه ابدى قلقه الشديد من المساعدات السورية والجزائرية لليمن الشمالية .

* * * *

جلسة مجلس الوزراء ، ١٩٦٨/٣/٢٤

وفي جلسة مجلس الوزراء التي عقدت في تاريخ ٢٤ مارس (آذار) تحدث عبد الناصر معلقا على الوضع العربي في ضوء البيان الذي ادلى به محمود رياض بعد جولته في الاقطار العربية فقال :

● عبد الناصر : هناك احتمال في ان تتوقف بعض الدول العربية عن دفع نصيبها من الدعم الاقتصادي الذي تقرر في مؤتمر الخرطوم ، وذلك نتيجة لضغط سياسي من اميركا . ومن اجل ذلك طلبت من حسن عباس زكي (وزير الاقتصاد) ان يوفر اكبر قدر ممكن من العملة الصعبة لمواجهة مثل هذا الموقف ، ومن اجل استمرارنا في الصمود . ان لدي معلومات تفيد ان اميركا تضغط بشدة على ليبيا (الناشر : كانت ليبيا لا تزال تحت الحكم الملكي) لكي تتوقف عن دفع نصيبها من الدعم .

* * * *

جلسة مجلس الوزراء ، ١٩٦٨/٣/٢٥

وفي ٢٥ مارس (آذار) ١٩٦٨ دعا عبد الناصر مجلس الوزراء الى عقد جلسة استثنائية لبحث تطورات الموقف في الاردن في ضوء الاعتداء الاسرائيلي المشهور على قرية الكرامة . قال عبد الناصر في بداية الجلسة :

● عبد الناصر : علمت من الفريق فوزي عن عملية الكرامة قبل ان تبدأ بيوم واحد . وقمت بابلاغ الاردن المعلومات المتوفرة عند ادارة المخابرات المصرية . لقد سألنا السوفيات عن صحة هذه المعلومات فأكدوا لنا ذلك ، وقالوا ان المقصود من عملية الكرامة ابعاد الاردن عن سورية . عندما بدأت اسرائيل العملية لم تتصد القوات الاردنية للقوات المهاجمة ، بل دخل الفدائيون المعركة . بعد ذلك اشترك الجيش الاردني ، وكان قائد منظمة « فتح » شخصيا (الناشر : لم يذكر عبد الناصر اسم هذا القائد) موجودا في قرية الكرامة حيث اشرف على تنظيم عمليات المقاومة ثم انسحب منها قبل الهجوم بقليل .

● ● النبوي المهندس (وزير الصحة) : هل هناك امكانية تسليح الاردن من الاتحاد السوفياتي ؟

● عبد الناصر : ان موقف الملك حسين صعب جدا ، لانه اذا طلب اسلحة من السوفيات فان اميركا ستقوم بتأديبه عن طريق تحريك اسرائيل ضده . بالاضافة الى ان اعادة تسليح الجيش بسلاح جديد تحتاج الى خمس سنوات تقريبا يضاف الى ذلك ان الملك حسين لا يستطيع ان يوقع صلحا منفردا مع اسرائيل لاسباب عديدة . لهذا فان موقف الملك حسين صعب كما قلت من قبل .

(وفي هذه الجلسة التي عقدت يوم الاثنين ٢٥ مارس ـ آذار ـ ١٩٦٨ شرح عبد الناصر للوزراء باسهاب وصراحة تامة الظروف والاحوال التي عاشها قبل حرب ١٩٦٧ وبعدها . قال :)

● عبد الناصر : لا يمكن ان انسى الايام الاولى التي مرت علي بعد يونيو ١٩٦٧ . كنت اشعر بمرارة كبيرة . مرارة لا يمكن وصفها . لا شك ان ما حدث في ١٩٦٧ قد أثر علينا جميعا ، نفسيا ومعنويا وماديا . لقد كان علي ان اقابل العديد من الرؤساء والزائرين والصحفيين بل والشامتين ايضا . مرت بنا ظروف صعبة ، وواجهنا مؤامرات ضدنا وكنت مسؤولا عن مراجعة كل ما يحدث في الجبهة الداخلية ، وما يتم من اتصالات خارجية . لقد تمنيت في تلك الايام لو انني تنحيت بالفعل عن السلطة وابتعدت عن موقع المسؤولية . كان في تقديري دائما ان الايام التي سنواجهها صعبة للغاية في الداخل والخارج ، لان خصمنا قوي ولديه التنظيمات وجاهز للعمل ضدنا ، ولديه كل ما يحتاجه من اموال للقضاء علينا .

انا في يوم ١١ يونيو لما استلمت الحكم كنت في حالة سيئة جدا الى درجة انني ارسلت عائلتي خارج القاهرة ووضعت مسدسي الى جانبي لاستخدامه في آخر لحظة وحتى آخر طلقة . يومها سألت عن عدد الدبابات المتبقية في القاهرة ، فقالوا لي لم يبق إلا سبع دبابات . وبالرغم من ذلك بدأت مع القيادات العسكرية السير في الطريق الصعب . طريق اعادة بناء قواتنا المسلحة من جديد . كنت اتحدث مع الفريق فوزي كل ليلة قبل ان اذهب للنوم . اطلبه في الساعة السادسة صباحا لاراجع معه موقف القوات وموقف القيادات واسم القائد المسؤول في كل موقع . ولو لم الجأ الى هذا الاسلوب لكانت الامور فلتت .

موضوع آخر واجهته ، وهو انه كان هناك اعتراض من بعض القيادات العسكرية على تقوية تنظيمنا السياسي . اعتراضهم كان على اساس نظرية كانت سائدة تقول ان الجيش هو السند الوحيد للثورة ويجب ان يبقى كذلك ، وان تقوية التنظيم السياسي سيضع النظام في تناقضات غريبة . اليوم انتهت كل هذه الامور . وما ذكره حسين الشافعي في جلسة اليوم صحيح ، وهو انه وقع ضدي انقلاب سلمي العام ١٩٦٢ قاده المشير عبد الحكيم عامر مع بعض القيادات . هذا صحيح . في ذلك الوقت انا رفضت مواجهة المتآمرين لان النتائج لم تكن مضمونة . وما كان

احد يعرف حيحصل ايه في البلد ؟ انا كنت دائما اتجنب مثل هذه المواقف علشان الدنيا ما تفلتش . واذا راجعتم الماضي فانكم ستعرفون من الذي اطلق تعبير « مراكز القوى » ، ومن الذي نادى بالطهارة الثورية .

انا قلت الكلام ده قبل ١٩٦٧ ، وكنت اقصد في ذلك الوقت امورا كثيرة لم تكونوا على علم بها . الناس متصورة اني كنت قادرا على كل شيء ، لكن حقيقة الامور لم تكن بهذا الشكل ، ولذلك بعد النكسة انا قلت انه لا بد ان يكون في بلدنا المجتمع المفتوح . وبالفعل فقد حدث تغيير حقيقي في القوات المسلحة التي اصبحت جزءا من هذا البلد . حصل تغيير حقيقي في المخابرات العامة بحيث اصبحت جزءا من هذا البلد ، كما شمل التغيير جهات عديدة من اجهزة الحكم .

نقطة اخيرة ، وهي مشكلة قديمة من قبل ١٩٦٧ . ان الجيش كان في ناحية والبلد كان في ناحية اخرى . واذا كنا نريد ضمان المستقبل فلا بد ان تكون هناك سلطة واحدة في هذا البلد ، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا اذا اصبح الجيش جزءا من هذا البلد . كيف ؟ لم اجد حلا للمشكلة حتى الآن ، واعتقد انه عندما يتشكل المؤتمر القومي العام واللجنة المركزية فلا بد ان يكون الجيش ممثلا فيهما . وهنا تعترضنا مشكلة اخرى وهي استحالة اجراء انتخابات داخل الجيش . على كل حال يجب الا يكون الجيش ضد التنظيم السياسي او ان يكون التنظيم السياسي ضد الجيش ، لانهما يكونان جناحي سلطة واحدة .

* * * *

جلسة مجلس الوزراء ، ١٩٦٨/٤/٧

في يوم ٧ ابريل (نيسان) ١٩٦٨ عقد مجلس الوزراء جلسة لبحث الشؤون العسكرية .

● عبد الناصر : ابلغتكم ان بودغورني وافق خلال وجوده في القاهرة على ارسال مجموعة من الطيارين السوفيات ، لكنهم عادوا بعد ذلك ورفضوا الطلب ولم يوافقوا على ارسال الطيارين . ثم عادوا ووافقوا على ان نستخدم الخبراء السوفيات الطيارين المتواجدين لدينا في مصر وعددهم ٥٦ طيارا . وما زلنا نضغط عليهم لارسال عدد اكبر من الطيارين ، لكنهم لم يوافقوا على الزيادة المطلوبة حتى الآن . انني لا اخفي عليكم سرا اذا قلت لكم اننا كنا في الايام السابقة مهددين بوصول اليهود الى

القاهرة في فترة تراوح بين ٤ و ٦ ساعات . ولهذا كنت الح في طلب الطيارين الروس . كما كنت اهدف الى شيء آخر وهو ان يشعر الاميركان بأن السوفيات قد دخلوا المنطقة بأنفسهم . وهذا عامل نفسي مهم جدا بالنسبة الى الاميركان حيث يحسبون له الف حساب .

ان قواتنا اصبحت الآن في حالة جيدة ، لكننا غير قادرين على الهجوم بسبب تفوق اسرائيل في الطيران والمدرعات . كما اننا نعاني من نقص شديد في العربات ومركبات الجنزير اذا اردنا ان نتوغل في سيناء . لقد شرعنا في تشكيل فرقتين عسكريتين وافق السوفيات على تسليحهما بالكامل ، واحب ان ابلغكم ان وسائل ومعدات العبور قد وصل بعضها بالفعل . اما بشأن تزويدنا بالطائرة الجديدة فقد وعد الروس ببحث الطلب ، واعتقد انهم سيوافقون عليه .

انا قد اسافر الى موسكو بعد انعقاد المؤتمر القومي في ٢٣ يوليو لاقناع القيادة السوفياتية بالطلبات الجديدة للاسلحة . واحب ان اسجل حقيقة امامكم هنا وهي انه لا توجد جهة غير الاتحاد السوفياتي يمكنها تزويدنا بالاسلحة والمعدات اللازمة والذخيرة وذلك لسببين :

ـ انه لا يوجد لدينا اموال سائلة لشراء كل هذه الاسلحة من اسواق الغرب .

ـ لا توجد دولة تستطيع امدادنا بهذا الحجم وبهذه النوعية من السلاح إلا الاتحاد السوفياتي .

عموما نحن نسير الى الامام في الاعداد العسكري ، لكن امامنا اوقات عصيبة وعلينا ان نصمد وان نستعد لنحقق النصر . أما ان نروح ونجلس مع اسرائيل ونوقع معها ، فهذا لن نقبله ابدا ولن يتم ذلك ابدا طول ما انا عايش .

* * * *

جلسة مجلس الوزراء ، ١٩٦٨/٥/٥

في اجتماع آخر عقده مجلس الوزراء يوم ٥ مايو (ايار) ١٩٦٨ اعلن جمال عبد الناصر موافقة الروس على وضع ١٢٠ طيارا روسيا في مصر تحت القيادة المصرية .

● عبد الناصر : ان هذا العدد من الطيارين سيتيح لنا التفرغ لتدريب العدد المطلوب

من الطيارين المصريين . ومن ناحية اخرى ، لقد تعمدت اعلان وقوف مصر رسميا الى جانب الفدائيين الفلسطينيين وذلك لدعمهم امام القوى الرجعية ، لأنّ الفلسطينيين انفسهم طلبوا ذلك . واحب ان اقول لكم ان عامل الوقت قد اصبح ضد اسرائيل ، وانهم يخسرون اسبوعيا بسبب نشاط الفدائيين حوالى ١٥ فردا اسرائيليا .

منذ يومين قابلت احد القيادات العربية في الضفة الغربية سرا وقال لي انه قابل اشكول رئيس وزراء اسرائيل وابا ايبان وزير الخارجية ، وقد ذكرا له انهما على استعداد لتقديم تنازلات لا يتوقعها العرب شرط ان يجتمعوا معنا في مفاوضات من اجل حل القضية .

* * * *

جلسة اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي ، ١٩٦٨/١٠/٢٨

وفي اجتماع اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي الذي عقد يوم الاثنين ٢٨ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٨ سأل الدكتور محمود فوزي عما يثار حول وضع مدينة القدس وما يقال بشأن تدويلها . ورد عبد الناصر على سؤال الدكتور فوزي قائلا :

● عبد الناصر : صحيح ان الملك حسين لا يستطيع الاتفاق منفردا مع اسرائيل ، لكنه يتمنى ذلك . كما ان الضفة الغربية لا توافق على مقترحات الملك حسين ، وهم قادرون على التصدي لمشاريعه . ان اخواننا في الضفة الغربية بعثوا الي بعدة رسائل يطلبون فيها عدم التحرك عسكريا إلا بعد استكمال الاستعداد العسكري .

● ● الدكتور محمود فوزي : وموقف الاتحاد السوفياتي من المقاومة الفلسطينية ، كيف تراه يا سيادة الرئيس ؟

● عبد الناصر : لقد سبق ان اصطحبت ياسر عرفات الى موسكو بشكل سري حيث وعدوه هناك بالمساعدة وتسليح الفدائيين . وكان هذا هو أول اتصال للمقاومة الفلسطينية بالاتحاد السوفياتي حسب علمي .

* * * *

جلسة مجلس الوزراء ، ١٩٦٨/١٠/٣١

في جلسة مجلس الوزراء في ٣١ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٨ ابلغ الفريق

فوزي زملاءه الوزراء انه تم اسقاط ٤ طائرات ميراج اسرائيلية هذا الاسبوع . كما تم تدمير ١٠٠ صاروخ عيار ٢٤٠ ملم في قواعدها داخل سيناء . وقال فوزي ان الثقة قد عادت للضباط والجنود ، كما ادرك العدو انه اصبح يواجه قوات عسكرية قادرة على التحرك والعمل الايجابي .

* * * *

جلسة اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي ، ١٩٦٨/١١/٤

وفي يوم الاثنين ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٨ اجتمعت اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي وتحدث فيها عبد الناصر عن اهمية تشكيل الجيش الشعبي لحماية الاهداف الرئيسية في مصر .

● عبد الناصر : لا بد ان نسرع في اعداد الجيش الشعبي . لقد وعدني الروس بتسليح هذا الجيش الذي سيصل عدده الى مليون مقاتل . ان جيشنا قادر في الوقت الحاضر على عبور قناة السويس والتمركز في الارض الموجودة شرق القناة مباشرة . لكن قدرتنا على التوغل في سيناء ما زالت محدودة لعدم توفر السيارات وعربات الجنزير اللازمة لهذا الغرض . المهم الآن أن نصبر ونصمد ، وان يكون واضحا للجميع ان هذا هو قرارنا واننا مصرون على عدم الاستسلام الى ان يحل آخرون محلنا فيحكموا ويستسلموا . اما نحن فلن نقبل . هذا ما قلته العام ١٩٥٦ وما زلت اقوله واكرره مرات .

هناك من يعتقد ان الحل في يد الاميركان . لقد سمعت ان احد اعضاء مجلس الثورة اللي سابونا (الناشر : لم يذكر عبد الناصر اسم هذا العضو) قال هذا الكلام . وهذا كلام فارغ . ونروح بعيد ليه ؟ انا سبق وقلت للملك حسين يروح يبوس ايد الاميركان في سبيل انقاذ الضفة الغربية ، ورغم ذلك لم يحدث شيء ولم يعطوه الضفة الغربية . بل لدينا معلومات وصلتني اليوم تشير الى ان الاميركان طلبوا من الملك حسين تصفية العمل الفدائي الفلسطيني واعدوا الخطط اللازمة لذلك . وانا ارى ضرورة اشعار الاميركان بأن مصالحهم في الشرق الاوسط مهددة وان سياستهم الحالية ستضاعف من نفوذ السوفيات في المنطقة .

● ● عبد المحسن ابو النور (عضو اللجنة التنفيذية العليا) : اريد ان اسأل لماذا لا

نستطيع هنا ان نتعايش سلميا مع اميركا ، ولماذا نقفل باب هذا التعايش في يوم من الايام ؟

● عبد الناصر (بانفعال) : ابدا . لن يكون هناك تعايش . ان ذلك العضو السابق في مجلس قيادة الثورة يقول انه طالما عبد الناصر في الحكم فلن يتفق الاميركان معه . مع غيره ممكن . وانا احب ان اقول له ان الاميركان اصلا متعاطفين مع اسرائيل ولهم مصالح مشتركة مع بعض . وامامنا مثال واضح وهو الملك حسين ، فلا هو اشتراكي ولا هو من نظامنا ، وبرغم ذلك فلم يتفقوا معه ولم يعيدوا اليه شبرا من اراضيه .

ان الموضوع الاساسي بالنسبة الينا هو الصبر والصمود . اما بالنسبة الى موضوع الملك حسين والفدائيين الفلسطينيين فأنا اعتبره موضوعا هاما جدا ، لانه لو ضربهم الملك حسين فسأدخل معه في مشاكل . لقد وعدني الفلسطينيون بعدم التدخل في شؤون الاردن الداخلية . وطلبت منهم الا يشغلوا انفسهم بمشاكل الدول العربية وان يركزوا جهودهم على العمليات داخل اسرائيل .

المهم الآن بالنسبة الينا ان نراجع اهدافنا الحيوية ونجهز قوات مدربة من الجيش الشعبي .

● ● عبد المحسن ابو النور : يوجد الآن عشرة آلاف متطوع مدربين على القتال تحت قيادة عبد المجيد فريد ، وان التنسيق كامل بين عبد المجيد فريد والفريق فوزي وشعراوي جمعة .

* * * *

جلسة اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي ، ١٩٦٨/١١/١٢

في يوم الثلاثاء ١٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٨ تحدث عبد الناصر امام اعضاء اللجنة التنفيذية العليا التي اجتمعت بكامل اعضائها ما عدا علي صبري بسبب اعتكافه في منزله نتيجة اصابته بوعكة صحية ، عن اهمية الانضباط العسكري .

● عبد الناصر : ما حدث العام ١٩٦٧ كان نتيجة عدم الانضباط الذي ساد قواتنا المسلحة منذ ١٩٦٢ . خلال عمليات ١٩٦٧ الحربية صدر أمر بانسحاب

الفرقة المدرعة الى غرب القناة ، ثم صدرت اليها اوامر اخرى بالتقدم شرق القناة . لقد كان هناك خلل في قيادة القوات الجوية ، وقد طالبت عدة مرات بضرورة تغيير هذه القيادة ولكن دون جدوى . والشيء المحزن ان القيادة العسكرية اكدت لي قبل معركة ١٩٦٧ انهم قادرون تماما على احراز النصر .

* * * *

جلسة اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي ، ١٩٦٨/١٢/٣٠

وفي اجتماع اللجنة التنفيذية العليا في ٢٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٨ وجه عبد الناصر سؤالا هاما للاعضاء : « هل نبقى صامتين على الجبهة ام نبدأ التحرك ؟ ». واجاب عبد الناصر على سؤاله بنفسه فقال :

● اني اعتقد انه من الخطأ سياسيا ان نبقى صامتين ، بل علينا ان نبدأ العمليات العسكرية بصورة تدريجية . لذلك سنبدأ بتنفيذ عمليات فدائية ضد اهداف حيوية للعدو . اي اننا ستتحول من موقف الدفاع السلبي الى موقف الدفاع الايجابي . وانا واثق ان الشعب سيتقبل التضحيات شرط ان يكون هناك رد من جانبنا ضد العدو اذا حاول القيام بعمليات عسكرية ضدنا . وانا اقول ان الناس كان معهم حق عندما قالوا بعد ١٩٦٧ « عايزين حكومة حرة لان العيشة بقت مرة » . وهذا امر طبيعي يحدث بعد الهزيمة . لكني احب ان اقول الآن ان الشمس ستشرق علينا مرة اخرى ولكن مع مرور بعض الوقت ومع بذل جهد شديد . كما ارجو ان تطمئنوا الجماهير ان سيأتي ـ ان شاء الله ـ اليوم الذي تعبر فيه قواتنا المسلحة الى شرق القناة لتطرد العدو من سيناء . ولن تكون المعركة هذه المرة معركة ايام ستة او سبعة ، لكنها ستكون معركة حاسمة وفاصلة في المنطقة .

عام ١٩٦٩
بعض جلسات مجلس الوزراء
واللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكي

غارات اسرائيلية تمهد لمشاريع التسوية الاميركية ـ جهاز لامن المعلومات ـ الاثراء غير المشروع ـ خطتان عسكريتان للتحرير الكامل ولبدء حرب الاستنزاف ـ مفلسفو السياسة الاميركية في مصر ـ نشاط متزايد للمخابرات الاميركية ـ لا حوار مع اميركا من موقف ضعف ـ الاعتراف بألمانيا الشرقية ـ رفض المشروع الاميركي من ١٣ نقطة ـ رفض مشروع سيسكو ـ موقف السادات آنذاك ! ـ مجالات العمل العسكرية والداخلية والعربية والاسلامية .

عبد الناصر :

- لن تتركنا اميركا الا مقابل سياسة يمينية كاملة .
- التنازل لاميركا مقابل القمح كلام غير مقبول .
- اسرائيل تستهدف تيئيسنا وسنعمل على تيئيسها .
- لنتخلص من التصرفات البورجوازية ونحاسب الجميع .

كان العام ١٩٦٩ بالنسبة لعبد الناصر هو عام الشدائد والمهام الجسام . فبعد النكسة مباشرة ، كان في تقدير عبد الناصر أنه قادر على ضرب العدو وزحزحته بعيدا خلال عام واحد ، ولكن بحلول عام ١٩٦٩ تأكد عبد الناصر ان تقديره هذا كان ضربا من الاحلام . كانت الاسباب التي منعت تحقيق الحلم كثيرة ومتنوعة .

عملية اعادة بناء القوات المسلحة استغرقت زمنا اطول مما كان مقدرا لها رغم النية الصادقة والعمل الجاد المتواصل . والسبب انه عندما بدأ الفريق محمد فوزي مهمة اعادة البناء العسكري ، كان يبدأ في الواقع من الصفر . لم يكن الجيش قد فقد معداته فقط ، ولكنه فقد ايضا معنوياته . وكان قد فقد قبل ذلك ضبطه وربطه ، واحتاج الامر في البداية الى الدخول في معارك صغيرة ضد العدو لاثبات ان اسطورة تفوقه ليست الا خرافة ، واحتاج الأمر ايضا الى عمليات عبور متفرقة والتصدي لدوريات العدو في صحراء سيناء ، وأسر بعض افراده . ورغم انها عمليات ضئيلة الاثر في جيش العدو الا ان مردودها النفسي كان كبيرا في جيش مصر . ولقد حدث في احدى المرات ان اسرت دورية مصرية من خمسة افراد ضابطا اسرائيليا برتبة عقيد بعدما قتلت افراد العدو الذين كانوا معه . وعندما وصل العقيد الاسرائيلي الى الضفة الغربية بالقرب من الاسماعيلية كان مصابا بطلقة في صدره من الناحية اليسرى ، ولكن رعبه كان اقوى من جرحه ، وظل الرجل ينتفض وهو في طريقه الى المستشفى وهو يردد عبارة واحدة ظل يكررها طول الوقت : « لم ارتكب جرائم ضد العرب .. لم ارتكب جرائم ضد العرب » . وفي النهاية لفظ الأسير انفاسه في المستشفى العسكري رغم العناية الفائقة التي احيط بها . فقد كانت القيادة المصرية حريصة على ان يبقى على قيد الحياة ، ولقد اجمع كل الاطباء على ان العقيد الاسرائيلي لم يمت بسبب الطلقة التي اصابت كتفه من الناحية اليسرى ، ولكنه مات رعبا ، اذ لم يكن يخطر بباله انه سيقع اسيرا في ايدي جنود مصر . لقد كانت كل المعلومات تؤكد له ان جيش مصر قد سحق ، وانه قد اصبح مجرد ذكرى في متحف التاريخ .

ولقد ظلت قصة الاسير الاسرائيلي العقيد حديث جنود مصر زمنا طويلا على ضفة القناة ، وكانت سببا في رفع معنويات الجنود واقبالهم على التطوع للعبور نحو الشرق .

وكان على عبد الناصر بعد هزيمة حزيران (يونيو) ان ينام بعين مفتوحة وعين نصف مغلقة . فقد نشطت مؤامرات اميركا في الداخل لاطاحته ، ونشط عملاؤها في كل مكان لجذب السمكة الكبيرة من البحر بعدما تأكد للجميع ان السنارة قد علقت بها . لذلك قبل عبد الناصر ان يتولى بنفسه منصب رئاسة الوزراء ، ولكي لا تكون هناك ثغرة تنفذ منها أي من القوى التي تتربص به .

واذا كان عام ١٩٦٩ هو عام حرب الاستنزاف التي كانت في واقع الامر الحرب الرابعة بين العرب والصهاينة ، فهو ايضا كان عام المؤامرة الاميركية المكشوفة والمشهورة بمشروع سيسكو . وهو المشروع الذي كان يحمل حلا لمشاكل مصر منفردة .

ولقد كان مشروع سيسكو تتويجا لسلسلة من الاشارات والايماءات سبقته ومهدت له الطريق ، وكانت هذه الاشارات عبارة عن عدد من الغارات التي استهدفت اصابة هيبة النظام في الصميم . غارة قناطر « نجع حمادي » ، غارة محطة الرادار جنوب السويس ، والغارات المكثفة في الجبهة على طول القناة ، والفتك بمئات العمال المصريين الذين استماتوا في عملية بناء حائط الصواريخ تحت الغارات الوحشية وعلى مدى الاربع والعشرين ساعة .

ولكن ، ولأن القاعدة تقول ان لكل فعل رد فعل مساويا له في الحركة مضادا له في الاتجاه ، فقد جاءت ردود الفعل وبأسرع مما تصور البعض ، وجاءت ردود الفعل خارج مصر ومن داخل مصر ومن داخل عبد الناصر نفسه . جاءت من السودان مع ثورة مايو ، وجاءت من ليبيا مع ثورة الفاتح ، وجاءت من مصر بعد ذلك عندما انفتحت فجأة مواسير عشرة آلاف مدفع من مختلف العيارات لتصبّ جحيمها الملتهب على جيش العدو اعلانا لحرب الاستنزاف ، ثم جاءت من قلب عبد الناصر نفسه عندما سقط الرجل ذات مساء مصابا بالذبحة الصدرية وأرقده الاطباء على سريره ما يقرب من سبعة اسابيع لا يتحرك ولا ينهض على قدميه المريضتين .

ولكن ، ما الذي كان يدور في رأس عبد الناصر قبل ان يسقط مريضا في نهاية العام ؟ كيف كان يفكر ؟ وكيف كان يعمل ؟ وما الذي كان يشغله ويؤرقه خلال عام الاضطرابات والمؤامرات والمهام الجسام ؟

عبد المجيد فريد

جلسة مجلس الوزراء يوم ٢٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٩

● عبد الناصر : أمامنا فترة عصيبة الى أن نتمكن من حل المشكلة في منطقتنا ، وذلك عن طريق التحرك السياسي وعن طريق العمل العسكري ، ونحن في حاجة شديدة لعمل متواصل في الجبهة الداخلية وخصوصا لحل مشاكل الناس ، لأني اخشى ان يزحف لنفوسهم الشعور بالضياع وفقدان الامل . اننا حقا في حاجة الى مساعدات البنك الدولي ، الا اننا لا نسمح لخبرائه او لاعضائه الذين يزورون مصر الآن بالعبث في اقتصادنا او تجاوز حد الامن بالنسبة للمعلومات التي يطلبونها ، لأني عرفت من حجازي (الدكتور عبد العزيز حجازي وزير الخزانة) ان مندوبي البنك يطلبون بيانات تفصيلية عديدة من الوزارات والمؤسسات . ان أغلب هؤلاء يعملون لحساب ادارة المخابرات الاميركية (CIA) ويجمعون المعلومات المطلوبة لها بكل دقة . ابتداء من اليوم ، علينا ان نكون حذرين في اعطاء المعلومات والبيانات . وارى من اجل تنظيم هذا الموضوع ان يقوم امين هويدي بتنظيم عملية مد الاجانب بالمعلومات والبيانات ، سواء كانوا من الخبراء او من ممثلي البنك الدولي ، وفي الحدود التي يسمح بها امن البلاد . كما ارى عدم السماح لهم بزيارة الشركات او المؤسسات الا بعد حصولهم على تصريح بذلك .

عموما ، لا اعتقد ان البنك الدولي في الوقت الحاضر سيقدم لنا اي مساعدات الا في حدود ضيقة ، كما ان محطة تكثيف المياه التي وعدنا بها لن يفي بوعده ويرسلها لنا .

* * * *

جلسة مجلس الوزراء ، فبراير (شباط) ١٩٦٩

● عبد الناصر : عن الجبهة الداخلية لا بد من بذل اقصى الجهود للقضاء على الفساد ومحاسبة كل مسؤول مهما كانت درجاته . في البلد اشاعات عن تصرفات لبعض

المسؤولين في قطاعي التجارة والاقتصاد (كان الحديث موجها لحسن عباس زكي وزير الاقتصاد) . الاشاعات تقول ان هناك عمولات ضخمة تدفع لبعض الموظفين الكبار في هذين القطاعين . وانا ارى عدم ترك القيادات في مثل هذه القطاعات لفترات طويلة ، ولا بد من تغييرها من آن لآخر . علينا ان نراجع الصفقات والعمليات مراجعة دقيقة ومستمرة ، لأنه لا ينبغي ان نفتح للناس سككا وطرقا تؤدي بهم الى الفساد والانحراف . المال السايب يعلم السرقة . غير معقول ونحن في مرحلة التحول الاشتراكي ان نترك البعض يجمعون ثروات كبيرة ، ٣٠٠ الف و ٤٠٠ الف جنيه ، ثم نتركهم ايضا يهربون من الضرائب . هذا معناه اننا ندفع بمجتمعنا الى الوراء ونقضي بأنفسنا على ما انجزناه .

انتقل الى السياسة الخارجية . لا بد ان ندرك ان كلا من اميركا والسوفيات يخشون المواجهة العسكرية . لذلك فكل منهما لا يريد تسخين الموقف السياسي والعسكري في منطقتنا . احنا نشوف مصلحتنا فين ونعمل من اجلها .

طبعا ، اسرائيل مطمئنة في الوقت الحاضر الى عدم قدرتنا على اثارة الحرب معها على اساس نقص الطيارين المقاتلين لدينا ، ونقص السيارات العسكرية وعربات النصف جنزير التي تمكننا من خفة الحركة ، كذلك عدم توفر المعدات الكافية لعبور قناة السويس . ولكن هذا النقص سيستكمل في الفترة المقبلة ابتداء من الشهر المقبل بوصول معدات واسلحة جديدة من الاتحاد السوفياتي وبوصول طائرات عسكرية جديدة . وفي رأيي ـ بغض النظر عن رغبة الاميركان والسوفيات ـ علينا أن نعمل على تأزيم الموقف مع اسرائيل وتصعيد العمليات الفدائية داخل سيناء، لان مثل هذه العمليات لها اهمية خاصة في استنزاف دائم لقوات العدو ومعنوياته ، وسيضطر ازاءها ان يحتفظ بأعداد كبيرة من قواته تحت السلاح ، وهذا يتعارض تماما مع مبادئه وقدراته . فلنستمر في تصعيد العمليات الفدائية طالما اصبحنا مرتكزين على خط دفاعي قوي غرب القناة . ولنستمر في هذه الخطة الى ان نتمكن عسكريا من عبور القناة والقيام بالعمليات الكبرى .

* * * *

جلسة مجلس الوزراء يوم ١٥ ابريل (نيسان) ١٩٦٩

ابلغ محمود رياض وزير الخارجية مجلس الوزراء انه تم في نيويورك اول اجتماع

رباعي لبحث الحلول المقترحة للقضية وذلك من ممثلي الدول الاربع الكبرى (اميركا والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا) وان الوفد الفرنسي اقترح في اول اجتماع اصدار اعلان يسمى « اعلان المبادئ والنوايا » بينما حاول الوفد الاميركي الابتعاد عن نص ألفاظ قرار مجلس الامن بغرض دفع العرب لتقديم مزيد من التنازلات . في نفس الوقت تحاول الحكومة الاسرائيلية اثارة ما يسمى بحدود مصر عام ١٩٠٦ التي تمتد من العريش الى رأس محمد .

● عبد الناصر : كل هذا الكلام كلام سياسي ، وعلينا ان نستمر في اعدادنا العسكري ، وقد بدأنا منذ ايام قليلة بالقيادة العامة للقوات المسلحة في اعداد الخطة الكاملة لازالة آثار العدوان . اما في الاسابيع المقبلة فقد وافقت على اتخاذ بعض الخطوات العسكرية العاجلة بالجبهة ، والفريق فوزي يلخصها لنا الآن .

● ● الفريق فوزي : وافق الرئيس على خطة عاجلة للجبهة تتلخص اسسها في ما يلي :

اولا ـ العمل على المزيد من الاحتكاك الدموي بين قواتنا وقوات العدو ، على ان نسعى دائما في كافة العمليات لقتل اكبر عدد من افراد العدو على ان تكون الاسبقية للفرد الاسرائيلي بدل السلاح او المعدات ، لان الخسائر في الفرد الاسرائيلي تسبب ازعاجا كبيرا لقيادة العدو .

ثانيا ـ تعميق الاستطلاع في ارض العدو برا وبحرا وجوا .

ثالثا ـ تطعيم جميع وحداتنا الميدانية بجو المعركة واسالة الدماء بين ضباطنا وجنودنا بحيث لا يسمح باشراك قوات لنا في العمليات المستقبلية الا وتكون قد مارست عمليا مواجهة العدو وقتاله .

رابعا ـ دفع دورياتنا للعمق في سيناء بقدر الامكان من اجل زعزعة ثقة القوات الاسرائيلية في قدرة تحصينات خط بارليف من ان تمنع وصول الدوريات المصرية خلفها ، على ان يصحب ذلك القيام بتنشيط وسائل الحرب النفسية عليهم (الناشر : كان لنا في بعض الاوقات خلال هذه الفترة اكثر من عشرين دورية خلف خطوط العدو) .

خامسا ـ بالنسبة للطيران ، فعلى طيارينا ان ينتهزوا دائما الفرص المناسبة للقتال الجوي مع طائرات العدو .

(وفي مجلس الوزراء ذاته عرض وزير التخطيط الدكتور سيد جاب الله الخطوط الاساسية لخطة التنمية القادمة فعلق عليها عبد الناصر قائلا) :

● عبد الناصر : يجب ان لا تهدف الخطة الى الانكماش بالنسبة لظروف الحرب ، ولكن في الوقت نفسه لا نندفع الى توسع غير محسوب ، مع اعتبار اساسي وهو ان الاميركان مستمرون في العمل ضدنا ولن يتركونا الا اذا اتبعنا سياسة يمينية كاملة . في ذلك الوقت سيجدون في مصر سياسيين ومثقفين يفلسفون لهم سياستهم التي يريدونها على الصعيد السياسي والصعيد الاقتصادي .

* * * *

جلسة مجلس الوزراء يوم ١٨ مايو (ايار) ١٩٦٩

● عبد الناصر : يحاول الاميركان في هذه الايام ايهامنا بأنهم توصلوا لاتفاق سري بينهم وبين الروس بشأن مشكلة الشرق الاوسط ، ولكن تبين لي من الحوار مع السفير السوفياتي اليوم ان هذا الامر غير صحيح وان ما يردده الاميركان هو دس منهم بغرض تعكير علاقاتنا مع الاتحاد السوفياتي . وقد كرر لي السفير وعدهم لنا منذ ١٩٦٧ بأنهم لن يوافقوا على اي حل للقضية ما لم نوافق عليه مسبقا . ان هناك معلومات جديدة وصلتني عن نشاط متزايد للمخابرات الاميركية داخل مصر مع محاولة جادة منهم للاتصال ببعض ضباط القوات المسلحة .

(وفي ختام ذلك الاجتماع كرر عبد الناصر توجيهاته للوزراء بقوله) :

● عبد الناصر : علينا ان نستمر ليلا ونهارا في اعداد الدولة للحرب ، ويجب ان لا تنسوا ان اسرائيل تهدف الى تيئيسنا ، وعلينا ان نعمل دائما على تيئيسها من قدرتها على تحقيق هدفها هذا .

جلسة مجلس الوزراء يوم ٨ يونيو (حزيران) ١٩٦٩

● عبد الناصر : تبين لنا من موقف اميركا ، سواء في الامم المتحدة او في اجتماعات اللجنة الدولية الرباعية ، انه يتدرج بالنسبة لنا من اسوأ الى اسوأ بحيث وصل آخر المطاف الى تحيز كامل مع اسرائيل وتطابق لآرائها مرددة دائما ضرورة تفاوضنا المباشر مع اسرائيل .

بعد باكر يصلنا غروميكو ، ومن رأيي ان نستمر في سياستنا التي تهدف الى

استمرار الحوار بين الاميركان والروس مباشرة الى ان يتبين للروس استحالة الوصول لحل سلمي . وبهذا يضطرون للاستمرار في امدادنا بالمعدات والاسلحة العسكرية وجميع طلباتنا الاخرى .

(وقد رد عبد الناصر في هذه الجلسة على سؤال طرحه الوزير الدكتور حلمي مراد عن مدى امكانية الاتصال المباشر بالاميركان ، من اجل تغيير خطهم السياسي ضدنا) :

● عبد الناصر : مثل هذا الاتصال لن يحقق لنا شيئا لان اسرائيل تعتبر Sattelite (الناشر : استعمل عبد الناصر هذه الكلمة بالانكليزية وهي تعني ان اسرائيل تدور في فلك اميركا) بالنسبة لاميركا ولن تتخلى عنها . ورغم ذلك فاننا ارسلنا في الفترة الاخيرة الدكتور محمود فوزي لاميركا لفتح حوار سياسي معهم ، كما ارسلت برقية تهنئة الى نيكسون . ولكن ان ندخل معهم في حوار بشأن تقديم تنازلات او مساومات فهذا لن اقوم به ابدا ، ولا سيما انه واضح ان اميركا ترى ان الفرصة مواتية في الوقت الحاضر لتحقيق اطماع اسرائيل في الارض العربية ، كما ترى ان الفرصة مواتية ايضا للتخلص من نظامنا السياسي وبالتالي يتحقق النصر لها ولاسرائيل.

يا دكتور حلمي ، ان الحوار مع الاميركان الآن لن يفيدنا بل سيضرنا ، وقد سبق ان قدموا لنا مشروعا من ١٣ فقرة ، ولكن للاسف يتضمن العديد من التنازلات في مقابل اغرائنا ببعض المواد الغذائية وبشحنات من القمح . كلام غير مقبول . واني لا ارى اي أمل في الاميركان الا عندما يتأكدون تماما من قدرتنا على الصمود والمواجهة . حاجة ثانية ، عندما يتأكدون انهم غير قاذرين على تغيير نظامنا ، في هذه الحالة فقط يكون الحوار معهم مفيدا .

اما بالنسبة لالمانيا الغربية فهي في تعاون متزايد مع اسرائيل وتحاول خداعنا بقرض مقداره خمسون مليونا من الجنيهات . ولهذا سأعترف بألمانيا الديموقراطية واعلن التمثيل الديبلوماسي معها بعد موافقتكم على المشروع المرفق ضمن اوراق جلسة اليوم (الناشر : تمت الموافقة فعلا في هذه الجلسة على ذلك القرار المقترح) .

مشروع سيسكو

جلسة مجلس الوزراء يوم ٢٦ يوليو (تموز) ١٩٦٩

● عبد الناصر : قدم سيسكو مساعد وزير خارجية اميركا هذا الاسبوع مشروعا جديدا لمشكلة الشرق الاوسط يتكون من ١٤ فقرة تشمل اساسا ما يلي :

اولا ــ تنسحب اسرائيل من الاراضي التي احتلتها ولكن ليس الى خط ٥ يونيو وانما الى مواقع يتفق عليها بينها وبين مصر ، على ان توضح الحدود الآمنة لاسرائيل على خرائط تعتمد من الطرفين .

ثانيا ــ ينزع السلاح من جميع المناطق التي تنسحب منها القوات الاسرائيلية .

ثالثا ــ تتواجد في منطقة شرم الشيخ قوات دولية مع مراعاة ان سيناء ستكون مجردة من السلاح ، وان مضيق تيرانا البحري سيكون مضيقا دوليا .

رابعا ــ يتم انهاء حالة الحرب بين مصر واسرائيل بمجرد ايداع وثائق الاتفاق في سكرتارية الامم المتحدة .

خامسا ــ تتفق الاطراف المعنية على جدولة تطهير القناة وجدولة انسحاب القوات الاسرائيلية .

سادسا ــ تجرد منطقة غزة من السلاح على ان تكون الادارة فيها مؤقتا تحت رعاية الامم المتحدة .

سابعا ــ يكفل لجميع السفن حق حرية الملاحة في الممرات البحرية في قناة السويس ومضيق تيرانا ، على ان يراعى عدم الاشارة بأي عبارة لاتفاقية القسطنطينية (الناشر : وذلك لان المادة (العاشرة) من هذه الاتفاقية تعطي مصر حق الدفاع وقفل القناة في حالة الحرب) .

ثامنا ــ يكون للفلسطينيين اللاجئين عام ١٩٤٨ حق العودة الى فلسطين او توطينهم حيثما يعيشون وذلك في اطار اتفاقية تحدد الاعداد المسموحة بعودتهم سنويا ، على ان تتخذ الاجراءات لتصل اول مجموعة لهم بعد ثلاثة شهور من توقيع الاتفاقية .

تاسعا ــ تتعهد مصر لمجرد توقيعها الاتفاقية الجديدة بتوفير السلام مع اسرائيل ووقف جميع الاشكال العدائية ضدها .

عاشرا ـ الاتفاقية التي يتم التوقيع عليها هي اتفاقية مصرية ـ اسرائيلية ، على ان تعقد اتفاقيات اخرى في نفس الوقت مع باقي الدول العربية المختصة ، بمعنى اتفاقية اردنية ـ اسرائيلية ، واتفاقية اخرى سورية ـ اسرائيلية .

* * * *

جلسة اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي ، ١٩٦٩/٧/٢٨

(عرض المشروع على اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي في جلستها التي عقدت يوم ٢٨ يوليو ـ تموز ـ وكان يرئسها في ذلك اليوم انور السادات نيابة عن جمال عبد الناصر . دارت مناقشات عديدة حول المشروع ، واجمع اعضاء اللجنة ـ في غياب الرئيس ـ على رفض المشروع ، كما علق الدكتور محمود فوزي عضو اللجنة ومساعد الرئيس للشؤون الخارجية على فقرات المشروع قائلا) :

● ● محمود فوزي : هذا المشروع لا يحتاج الى تعليق او تحليل لان كل ما ورد فيه سيئ ، واني ارى ان افضل رد منا عليه هو ان نصعد جهودنا بالداخل سواء من حيث الاعداد العسكري او من حيث صمود الجبهة الداخلية ، مصرين على المضي على طريق النضال . واني لا انسى حديث وزير الخارجية الاميركية عندما قابلته في زيارتي الاخيرة الى واشنطن وطلبت منه التقدم بمقترحات معقولة للعرب فقال : « لا تنسوا انكم خسرتم الحرب وعليكم ان تدفعوا الثمن » . ان صيغة « مشروع سيسكو » اعدت بمنتهى الخبث ، اذ ان المشروع ينص في اكثر من موضوع فرعي على ان يتم تحديده النهائي عن طريق التفاوض المباشر بين مصر واسرائيل ، مثل موضوع الحدود الآمنة وموضوع عدد اللاجئين الفلسطينيين الذين سيسمح بعودتهم سنويا .

(وفي ختام ذلك الاجتماع علق عضو اللجنة انور السادات ورئيسها بالنيابة قائلا) :

● ● انور السادات : انا موافق على كل كلمة ، وعلى كل تحليل قاله الدكتور فوزي عن هذا المشروع السيئ .

جلسة مجلس الوزراء ، ١٩٦٩/٨/١٠

(اما الرئيس جمال عبد الناصر فقد عبر عن رأيه في مشروع سيسكو في اجتماع مجلس الوزراء الذي عقد برئاسته يوم ١٠ اغسطس ـ آب ـ فقال) :

● عبد الناصر : مشروع سيسكو ذو الـ ١٤ فقرة لا يختلف كثيرا عن المشروع الاميركي الذي سبقه ، حيث ان جميعها تهدف الى ان نستسلم لهم ولاسرائيل . ولهذا لا اجد امامنا سوى ان نسعى ونناضل بكل جهد في المجالات الثلاثة الآتية :

المجال الاول ـ وهو المجال العسكري ، وذلك بأن نستمر في خطتنا لاعادة بناء قواتنا العسكرية ورفع كفاءتها للقتال على ان نتجنب اثناء مرحلة الاعداد تصعيد العمل العسكري مع العدو الا بعد حساب دقيق لنتائج واحتمالات كل تصعيد ، آخذين في الاعتبار ان طائرات الفانتوم الاميركية تصل اسرائيل خلال شهر سبتمبر المقبل ، ولكن في نفس الشهر يصلنا ايضا من الاتحاد السوفياتي الصواريخ الجديدة لشبكة الدفاع الجوي ، وخاصة تلك الصواريخ التي تتعامل مع الطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة وتسبب لقواتنا ومواقعنا خسائر جسيمة .

المجال الثاني ـ وهو المجال الداخلي ، واعتبره اهم المجالات لانه سيثبت جبهتنا الداخلية ويقوي صمودها . ويعتمد ذلك اساسا على العمل السياسي بين الجماهير ، وعلى حسن الأداء لاجهزة الحكومة من اجل ان نكسب ثقة الناس . وهذا يحتاج منا ان نعمل على التخلص من كل التصرفات والمظاهر البورجوازية الموجودة في البلد ، وان نحاسب الجميع عن حالات التسيب والانحراف بمنتهى الحزم ، وان نخضع الجميع ايضا لعمليات التفتيش والجمارك عند الدخول والخروج في المطارات والموانئ ، وان نمنع الهدايا لكبار الرسميين ، بما في ذلك هدايا المانغو والعنب التي توزعها وزارة الاصلاح الزراعي ... الخ .

المجال الثالث ـ وهو المجال العربي ، وذلك بأن نسعى لتحرك عربي شامل يتحمل فيه كل طرف مسؤولية محددة في المعركة ، وخاصة دول المواجهة بما في ذلك العراق ايضا .

ان التحدي الذي يواجهنا كبير جدا ولا مكان لحل سلمي ، كما ان كسب معركة عسكرية مع اسرائيل يحتاج لجهد وتنسيق كبير .

اما بالنسبة الى اميركا فانه رغم ادراكنا انها تقف ٩٩ ./. في احضان اسرائيل ، الا انه يجب ابقاء شعرة معاوية في التعامل معها ، ولو في حدود النسبة الباقية وهي الـ ١ ./. ، وذلك على نمط الاتصال الضعيف الموجود في الوقت الحاضر بين اسرائيل والاتحاد السوفياتي .

جلسة مجلس الوزراء، ١٩٦٩/٨/٣١

(وفي مجلس الوزراء يوم ٣١ اغسطس ـآب ـ ١٩٦٩ قال عبد الناصر) :

● عبد الناصر : تذكرون حديثي في الجلسة السابقة عن ضرورة تحركنا في جميع المجالات ، ولهذا فاننا سنشترك في المؤتمر الاسلامي الذي سيعقد الشهر المقبل في الرباط . واعتقد انه طالما سيبحث في هذا المؤتمر العدوان الاسرائيلي وحريق المسجد الاقصى ، فان اميركا ستقف ضدهم . اما بالنسبة لنا فاننا نؤيد هذا التحرك الاسلامي منذ اوائل الثورة كما هو واضح في كتاب « فلسفة الثورة » ، ولكن اعتراضنا كان على الحلف الاسلامي الذي كانت تسعى لتشكيله اميركا مع حركتها في تكوين احلاف تدور في فلكها . اما عن التحرك العربي فقد فشل وزراء الخارجية العرب في اجتماعهم الاخير ولم توافق السعودية على عقد مؤتمر قمة عربي . ولكن لن نقف ساكتين ، وسيتم اجتماع قمة مصغر غدا عندنا في مصر تشترك فيه سورية والاردن والعراق . وهناك كلام ايضا بأن يحضره السودان بعد نجاح ثورتهم الاخيرة التي قامت منذ ثلاثة شهور .

(ولكن ، وبالرغم من المشاكل الكبيرة والهموم الضخمة ، فان عبد الناصر كان يجد احيانا في خضم الاحداث ما يسر قلبه . لقد كان اول لقاء له مع قادة الثورة السودانية بمثابة عيد حقيقي وانتصار له شخصيا على هؤلاء الذين حاولوا تطويقه وكسره نهائيا . في هذا اللقاء الاول قال عبد الناصر لبابكر عوض الله ممثل ثورة السودان : « عليكم ان تفتحوا اعينكم جيدا ، ولا بد ان تدركوا ان ميزانية السودان هي مئة مليون جنيه في العام ، بينما ميزانية المخابرات الاميركية هي ٢٠٠٠ مليون جنيه كل عام . ان المؤامرات ستبقى مستمرة على الثورات والحكومات الثورية . والمهم ان تبقى اعصابنا باردة » . ثم كانت سعادته لا حد لها بمؤتمر القمة الرباعي الذي عقد في القاهرة بعد ذلك . وفي هذا المؤتمر اعلن عبد الناصر ان جيش مصر سيبلغ المليون جندي عما قريب . ثم حذر من موقف الانعزاليين المصريين الذين يدعون الى تحرير سيناء فقط . كما كشف عبد الناصر في هذا المؤتمر عن خفايا هامة وحقائق مذهلة) .

الفصل السابع

على طريق الاعداد للمعركة ـ ١٩٦٩

١ ـ لقاءات تمهيدية لاقامة الجبهة الشرقية .
٢ ـ المؤتمر الرباعي للجبهة الشرقية ومقرراته .
٣ ـ مصالحة مع الملك فيصل .

● **ثلاثة لقاءات** : نائب رئيس مجلس الثورة السوداني ، الرئيس السوري السابق ، الملك حسين ـ معلومات سودانية عن مخطط اميركي لتصفية المقاومة الفلسطينية ـ اتفاقية مصرية سورية وقيادة مشتركة للمعركة ـ استعداد لمساندة العراق عسكريا ضد اطماع شاه ايران .

● **مؤتمر الجبهة الشرقية** : الهدف الاستراتيجي للخطة ـ دراسة تحليلية للوضع السياسي ـ قيادة سياسية للقوات المشتركة ـ تقرير وزراء الخارجية العرب ـ تقرير وزراء الدفاع العرب ـ اهمية القوة الجوية ـ مقررات المؤتمر ـ اول نوبة قلبية لعبد الناصر .

● **مصالحة مع الملك فيصل** : الوضع بعد انتهاء حرب اليمن ـ شكاوى الملك فيصل من العمل المصري في السعودية : اتصالات سامي شرف وكتابات حسنين هيكل ـ محاولة اميركية لاغراء مصر بحلّ منفرد ـ الخسائر المالية تفوق الدعم الاقتصادي ـ التضحية قدر مصر ـ حول مؤتمر الرباط القادم .

عبد الناصر :

- انعزاليو مصر ينادون بتحرير سيناء فقط .
- وهدفنا تحرير جميع الاراضي العربية المحتلة .
- لنوحد القيادة ونرغم اسرائيل على القتال في كل الجبهات .

كان مؤتمر الجبهة الشرقية الذي عقد يوم اول سبتمبر (ايلول) هو حجر الزاوية في التحرك العربي عام ١٩٦٩ . ولقد سبقت هذا المؤتمر عدة لقاءات تمهيدية بين عبد الناصر والملك حسين ، وعبد الناصر وصالح مهدي عماش ، وعبد الناصر والدكتور نور الدين الاتاسي . وجاء المؤتمر في النهاية كخطوة هامة على طريق قيام الجبهة الشرقية . ولكن سبق هذه اللقاءات لقاء آخر بين عبد الناصر وممثلي ثورة السودان ، وكان لقاء عاطفيا أثلج قلب عبد الناصر وملأه بالسرور . وكان لقاؤه بالسيد بابكر عوض الله نائب رئيس مجلس الثورة السوداني هو اول لقاء رسمي بين عبد الناصر وثورة السودان بعد شهرين فقط من قيام الثورة . وكان عبد الناصر قد استقبل قيام الثورة بتفاؤل شديد ، وبأمل اشد في ان تقف الثورة الى جانبه وان تخوض معه حرب العروبة ضد الامبريالية والاستعمار الجديد . لهذه الاسباب فتح عبد الناصر ذراعيه محتضنا اعضاء الوفد ، مرحبا بممثلي شعب السودان البطل . وكانت كلمات عبد الناصر التي استهل بها حديثه مع الوفد معبرة كل التعبير عما يجيش في صدره وفي نفسه من احاسيس ، ولقد بدأ حديثه قائلا :

عبد المجيد فريد

١ ـ ثلاثة لقاءات :

عبد الناصر ونائب رئيس مجلس الثورة السوداني

● عبد الناصر : باسمي وباسم شعب الجمهورية العربية المتحدة ارحب بكم باعتباركم ممثلين لثورة السودان ومعبرين عن مبادئها السامية التي اعلنتها منذ شهرين ، واني شخصيا لا أنسى شعب السودان يوم مؤتمر الخرطوم عندما اعطاني الامل وأنار لي طريق النضال بعد تلك النكسة الرهيبة .

● ● بابكر عوض الله : سيادة الرئيس .. يجب الا تنسينا الظروف العصيبة الحالية ثورة ٢٣ يوليو الخالدة واهدافها الوطنية والاشتراكية . وان ثورة ٢٥ مايو هي امتداد لثورة ٢٣ يوليو ، وهي مساهمة ايجابية لحصار الاستعمار واطماعه في العالم العربي .

لقد حضرنا اليكم لأننا ندرك ان وحدة الآلام والآمال تربط بين شقي الوادي ، وان وحدة المصير تلزمنا بأن نلتقي لقاء الاشقاء ، وان نضع امامكم موقفنا في كتاب مفتوح من اجل الوصول معا لاهدافنا على طريق الوحدة والاشتراكية . اننا لم نأت هنا لنرتبط معكم بوثائق واتفاقيات او بأساليب شكلية لأن ما بيننا اكثر من ذلك بكثير . اننا نعتقد انه حرام ان تستوردوا القمح ولدينا مئات الآلاف من الافدنة الصالحة للزراعة . كما انه حرام ان يكون لدينا الملايين من افراد الشعب العربي في السودان ولا نساهم بشكل ايجابي مع شعبكم في نضاله المسلح ضد الصهيونية والاستعمار .

● عبد الناصر : نحن دائما على استعداد لتلبية اي مطالب لكم ، ولا تنسوا ان اسهل خطوة في الثورة هي ليلة الثورة ، لان المشاكل الحقيقية تبدأ بعد تلك الليلة . كما ارجو ان تكونوا مدركين انه من المحال ان تقف كل الناس معكم ، لأنكم عندما ترفعون شعار الاشتراكية ، معناه انكم ستمنعون بعض الناس من استغلال البعض الآخر . بمعنى آخر انكم ستحددون مباشرة اصدقاءكم واعداءكم .

كل ثورة هي عمل ضد مصالح الامبريالية والاستعمار ، وعلينا ان ندرك ان الاستعمار الذي يواجهنا ويواجهكم يتمتع بقوة هائلة وادوات جبارة . وكمثال بسيط ، فان ميزانيتكم في السودان تبلغ حوالى مائة مليون جنيه ، بينما ميزانية المخابرات الاميركية تبلغ حوالى ألفي مليون جنيه . اي عشرون ضعفا من ميزانيتكم . علينا ان ندرك ايضا ان المؤامرات على الثورات والحكومات الثورية ستبقى بصفة مستمرة ، ونحن تعرضنا منذ عام ١٩٥٢ للعديد منها . المهم ان تكون اعصابكم هادئة . وبالنسبة للوحدة بين مصر والسودان ، فهناك حقيقة لا يمكن طمسها ، وهي ان الوحدة الفعلية قائمة بيننا . وهي قائمة على عدد من الركائز المتينة ، ولا تعتبر اعمالنا واعمالكم الا تثبيتا وتدعيما لها . وطالما ان كلا منا مؤمن بنفس القضايا والاهداف ، فاننا سنسير معا في طريق واحد .

● ● بابكر عوض الله : صحيح ان الوحدة ليست مواثيق ونصوصا ، ولكنها ايضا واقع ، ولا بد من ترجمة ملموسة لهذا الواقع . ويجب اتخاذ خطوات ايجابية بدلا من المواقف السلبية السابقة ، نحن نريد ان نعمل الخير للسودان ونعمل الخير لمصر ، وذلك عن طريق ارتباطهما معا .

● عبد الناصر : ارى البدء فورا في دراسة الخطوات العملية عن طريق لقاءات مشتركة بين الجانبين ، ومن الممكن ان يقوم عبد المجيد فريد بتنظيم هذه العملية .

● ● بابكر عوض الله : موضوع آخر اود عرضه عليكم ، وهو أن لدينا معلومات منذ شهر عن وجود مخطط امبريالي لتصفية حركة تحرير الشعب الفلسطيني .

● عبد الناصر : فعلا ، انا اشعر بقلق شديد من هذا الموضوع واميركا تقف خلف هذا المخطط ، وقد اسفرت عن وجهها الحقيقي في لبنان ، كما ان هناك تعيينات جديدة مشبوهة جرت في الاردن ، خاصة في وزارة الدفاع ورئاسة الاركان وبعض القيادات . ومن جانبي ، أنا انصح دائما القيادات الفلسطينية بتأجيل صدامهم مع السلطة الاردنية ، وان يحاولوا تطمين الملك حسين بقدر الامكان لان تأجيل مثل هذا الصدام هو استمرار لكيانهم ، بل هو تدعيم لموقفهم وقدراتهم .

* * * *

عبد الناصر والرئيس السوري السابق

(وبعد لقاء الاشقاء في السودان ، جاء لقاء رفاق السلاح في سورية . وكان لقاء عبد الناصر ونور الدين الاتاسي واحدا من اللقاءات التمهيدية التي عقدها عبد الناصر قبل عقد المؤتمر الرباعي في القاهرة . وقد اسفر هذا الاجتماع التمهيدي مع الاتاسي عن توقيع اتفاقية سياسية بين مصر وسورية التي انبثق عنها تشكيل « القيادة السياسية للمعركة » . وقد اتفق على ان تبقى الاتفاقية سرية ، وكان من أهم بنودها) :

اولا ـ ان يتم فورا تشكيل القيادة من رئيس مصر ورئيس سورية ووزيري الدفاع ووزيري الخارجية .

ثانيا ـ تقوم هذه القيادة بتعيين قائد عسكري يكون مسؤولا عن التخطيط العسكري للمعركة ، مع اعطاء أولوية للقوات الجوية والدفاع الجوي في التخطيط او الاعداد .

ثالثا ـ لا تتعارض هذه الاتفاقية مع اي اتفاقيات اخرى يمكن التوصل اليها على مستوى الجبهة الشرقية او على المستوى العربي .

(وبعد الانتهاء من التوقيع على بنود الاتفاقية ، دار حديث قصير بين عبد الناصر والاتاسي هذا نصه) :

● عبد الناصر : قد يقوم البعض بمهاجمة هذه الاتفاقية ، ولكن الموقف السياسي اكبر من ذلك ، خاصة ان اسرائيل لن تنسحب من الاراضي المحتلة في خلال شهور او سنة . ولهذا يحتاج الامر لتخطيط مشترك . العملية بالنسبة لنا ؛ عملية حياة او موت .

موضوع آخر ، وهو اهمية حشد كافة التيارات السياسية داخل سورية . هذا الموضوع يحتاج منكم لعمل سريع ، وارجو الا تعتبروا ذلك تدخلا منا في اموركم الداخلية .

● الاتاسي : لا حساسية اطلاقا في هذا الموضوع ، لاننا نعتبر اتمام هذا الموضوع هو تأمين لنا جميعا ، وسنبذل كل الجهود بقدر ما نستطيع مع كافة القوى الداخلية من اجل ان نصل الى ما هو مطلوب .

● عبد الناصر : مناقشات الامم المتحدة الاخيرة ، وضرب لبنان يكشف لنا بوضوح موقف اميركا المعادي للعرب جميعا . وغولدا مائير تسافر اليهم يوم ٢٣ سبتمبر ، كما ان هناك انتخابات العام القادم في اميركا لتجديد نصف مجلس الشيوخ . والرئيس نيكسون في حاجة لاصوات اليهود . ولو تمكنا من تنفيذ اتفاقية اليوم ستصبح اسرائيل بعد سنة او سنتين في مأزق كبير ، لانها ستضطر الى ان تحارب على جبهتين في وقت واحد . وعلينا ايضا ان نضغط على الروس لتقديم المزيد من المساعدات واشتراك عدد اكبر من خبرائهم في الدفاع الجوي . وختاما ، فانه من المهم جدا لنجاح قضيتنا الا ينفر العراق من هذه الاتفاقية ، او ان نجعل منها مصدرا لانزعاجه ، خصوصا وان العراق سيشترك معنا في مؤتمر رباعي حول الجبهة الشرقية ، ويجب تشجيعه وتطمينه بكل الوسائل .

* * * *

عبد الناصر والملك حسين

(وكان اجتماع عبد الناصر والملك حسين الذي عقد في قصر القبة يوم ٣١ اغسطس –آب– هو آخر لقاءات عبد الناصر الجانبية قبل المؤتمر الرباعي الكبير

الذي عقد في اليوم التالي ، الاول من سبتمبر ـ ايلول ـ . وقد اضطر الرئيس عبد الناصر الى قطع حديثه مع الملك حسين وتأجيل الاجتماع ، والذهاب الى مطار القاهرة ليكون في استقبال نور الدين الاتاسي رئيس سورية . وكان عبد الناصر متحمسا لعقد المؤتمر الرباعي . كان يرى ان هزيمة اسرائيل ستتحقق لو اضطرت الى الحرب على عدة جبهات في وقت واحد . وكان يرى ان الفرصة مواتية لقيام جبهة شرقية قوية تضم العراق وسورية والاردن . وقد طرحت كل هذه الموضوعات على المؤتمر الرباعي . ولكن قبل بدء المؤتمر ، دار الحديث التالي بين عبد الناصر والملك حسين في اللقاء الجانبي الذي عقد قبل المؤتمر بيوم واحد) :

● عبد الناصر : نحن لا نريد الحرب من اجل الحرب بل نحن نريد حلا سلميا ولكن بشروط . وهي عودة الفلسطينيين لديارهم ، وعودة اراضينا المحتلة لنا . ولكن عندما لا يكون هناك سبيل لتحقيق اهدافنا عن هذا الطريق ، تصبح الحرب هي السبيل الوحيد . ونحن في مصر نضع ايدينا في يد الملك حسين بدون تحفظ ودون شروط ، الى ان نحرر الارض المحتلة والقدس .

● ● الملك حسين : بالنسبة للحل السياسي فأنا معكم ، وبشرط جوهري ، وهو اعادة الارض التي احتلها العدو ، وعودة الفلسطينيين الى ديارهم . ولذلك يجب تنسيق مواقفنا بشكل كامل . والمهم ان نضبط اعصابنا بقدر الامكان ، ولا نجعل اسرائيل تجرنا الى معركة خططت لها زمانا ومكانا ، ولا بد ان تكون المعركة القادمة معركتنا . نحن نختار زمانها ومكانها .

● عبد الناصر : موقفنا العسكري يختلف الآن كثيرا عما كان عليه بعد المعركة . تذكر اجتماعنا في ذلك الوقت ، كان الشعب مصمما على استمرار الصمود والنضال ولكن كان موقف قواتنا سيئا للغاية . ان البنادق لم تكن متوفرة لكل الجنود . اما الآن فقد اعدنا بناء القوات المسلحة واعدنا تسليحها ، واصبح لدينا نصف مليون محارب ، ونعمل الآن لرفع العدد الى مليون محارب . وهناك عاملان ضروريان للحل السلمي ولا بد من توفرهما :

اولا ـ الوحدة العربية والتضامن العربي . واميركا تعمل حسابا كبيرا للتضامن العربي وتخشى من نتائجه في المستقبل .

ثانيا ـ قواتنا العسكرية . واسرائيل ستعيد حساباتها اذا تأكدت من اننا اصبحنا قادرين على وقفها وردعها ايضا .

اما اذا لم نتمكن من الوصول الى اهدافنا بالحل السلمي ، فلا بد من الحل العسكري لازالة آثار العدوان . ولا بد ان يكون واضحا للجميع ان ازالة آثار العدوان تعني تحرير كل الاراضي العربية المحتلة . فهناك في مصر بعض الاصوات الانعزالية تنادي بتحرير سيناء فقط . ولا بد ان ندخل المعركة القادمة بقيادة موحدة ونرغم اسرائيل على الحرب في كل الجبهات . واحب ان اطمئنك الى اننا قد اصبح لدينا دفاع مضاد للطائرات . ثلاثون ضعفا عما كان عليه قبل حرب ١٩٦٧ . وفي رأينا انه ليس من المصلحة الآن اثارة مشكلة ايران في المؤتمر ، علما بأني ابديت استعدادي للعراق لارسال بعض القطع البحرية الى مياه البصرة ، وكذلك بعض القاذفات الجوية لتدعيم قدرتهم الجوية .

● ● الملك حسين : عن مشكلة ايران ، فقد بذلنا جهودا كبيرة لتهدئة الموقف في منطقة شط العرب . وسأكلف عبد المنعم الرفاعي وزير الخارجية بوضع صورة كاملة عن الموقف تحت تصرف وزير خارجيتكم الاخ محمود رياض .

● عبد الناصر : موضوع اخير . لقد اتفقنا مع سورية على توحيد قواتنا الجوية والبحرية . ويهمني الآن ان ابدي لك ملاحظة حول المؤتمر الاسلامي الذي سيعقد بعد ايام بالرباط ، فمن المفروض ان تقدم لنا مجموعة هذه الدول مشاركة فعلية بقواتها العسكرية ، او ان تقدم لنا دعما ماليا ، ولكن ان تعلن الجهاد بالكلام فقط .. فهذا الامر غير مقبول .

* * * *

٢ ـ المؤتمر الرباعي للجبهة الشرقية

(وعند هذا الحد انتهى لقاء عبد الناصر والملك حسين ليبدأ المؤتمر الرباعي من مصر وسورية والعراق والاردن في محاولة على الطريق لاقامة الجبهة الشرقية ، حلم عبد الناصر والعرب جميعا والذي لم يتحقق بشكل ايجابي قط ـ للأسف الشديد .

عقد المؤتمر الرباعي في اول سبتمبر ـ ايلول ـ ١٩٦٩ في قصر القبة واشترك في

وفد الملك حسين ، عبد المنعم الرفاعي وزير الخارجية واللواء علي الحياري وزير الدفاع . واشترك في وفد سورية الدكتور ابراهيم ماخوس وزير الخارجية واللواء حافظ الاسد وزير الحربية . وعن العراق حضر الفريق صالح مهدي عماش نائبا عن الرئيس احمد حسن البكر لمرضه ، والفريق حردان التكريتي . وكان وفد مصر برئاسة عبد الناصر وعضوية انور السادات وحسين الشافعي والدكتور محمود فوزي ومحمود رياض وزير الخارجية والفريق محمد فوزي وزير الحربية والدكتوز حسن صبري الخولي .

الاجتماع الاول ، ١٩٦٩/٩/١

بعدما رحب الرئيس عبد الناصر بأعضاء الوفود الذين جلسوا حول المائدة المربعة في قاعة الاجتماعات الكبرى في قصر القبة ، قال) :

● عبد الناصر : اقترح بعد اتصالاتي التمهيدية بالسادة رؤساء الوفود ، ان يكون جدول اعمال المؤتمر على النحو التالي :

اولا ـ تحديد الهدف الاستراتيجي لخطتنا القادمة .

ثانيا ـ دراسة تحليلية للوضع السياسي في الوقت الحاضر .

ثالثا ـ تكوين قيادة سياسية للقوات العسكرية المشتركة في الجبهات المختلفة .

واذا لم يكن هناك اعتراض على الموضوعات المقترحة لاعمال المؤتمر (لم يعترض احد) فاسمحوا لي ان ابدأ الحديث . الواضح لنا جميعا ان الحل السياسي لم يحقق لنا اهدافنا ، ولهذا فنحن في حاجة الى وقت لاستكمال استعدادنا العسكري . وهذا يتطلب منا توحيد القيادة العسكرية لكل الجبهات من اجل ان نضمن التنسيق الكامل وارغام اسرائيل على الحرب في كل الجبهات . وقد اجرينا اتصالات بالدول العربية للمشاركة في القيادة العسكرية الموحدة ، ولكن بعضها لم يوافق لاسباب مختلفة ، مثل ليبيا والمغرب والسعودية والكويت . وعن مؤتمر وزراء الخارجية الذي انعقد اخيرا ، فللأسف لم يصل الى قرارات ايجابية . وعلينا ان نقوم الآن بخطوة عاجلة ، كقيادات سياسية للدول المشاركة في المعركة ، من اجل وضع خطتنا الاستراتيجية بكل وضوح مع استعراض كامل لجميع الايجابيات والسلبيات . والآن اقترح ان ننتقل الى بحث الموقف العسكري (بعد الموافقة على الاقتراح قام الفريق فوزي بتلاوة التقرير العسكري على المؤتمر) .

● ● صالح مهدي عماش : واضح من التقرير ان من اهم السلبيات هو وجود تقصير في اعداد القوات الجوية اللازمة للجبهة الشرقية .

● عبد الناصر : اود اولا ان احيي ثورة العراق وجدية قيادتها للاشتراك في الجبهة الشرقية بالرغم من عدم وجود حدود للعراق مع اسرائيل ، وبالرغم من عدم وجود اي اراض عراقية يحتلها العدو . وكان من الممكن ان يقف العراق ساكنا ، وعلى رأي المثل : « ودن من طين وودن من عجين » ! ولكنهم جاؤوا ليساهموا بشكل ايجابي في التخطيط والاعداد للمعركة . وفي اعتقادي ان المعركة القادمة ستكون معركة حياة او موت بالنسبة لاسرائيل ، لأنها تدرك جيدا اننا نستعد لهذه المعركة بشكل جاد . ومن الناحية العملية فمن الممكن ان نحشد مليونين من الجنود . وفي مصر الآن نصف مليون مقاتل تحت السلاح . وبالنسبة للدبابات ، يوجد في الجبهة الشرقية ٢٥٠٠ دبابة ، وفي مصر ١٥٠٠ دبابة ، فيصبح المجموع ٤٠٠٠ دبابة وهو عدد يفوق ما لدى العدو من دبابات .

موضوع آخر اود ان اتعرض اليه ، وهو انه لا داع في الوقت الحاضر للمزايدة او محاولة اصطياد اخطاء للغير لاننا نمر في مرحلة حاسمة بالنسبة لمستقبل الامة كلها .

هناك ايضا اسئلة تحتاج اجوبة محددة . هل من الممكن تصعيد العمليات الجوية في الوقت الحاضر ؟ ما معنى تزويد اميركا لاسرائيل بقاذفات بعيدة المدى ؟ لماذا لا يتوفر دفاع جوي عن بغداد وعن بعض اهدافنا الحيوية ؟ لقد صمدنا عامين وربع عام بعد الهزيمة ، وفي استطاعتنا الصمود عامين آخرين ، ولكن بشرط ان يكون هدفنا واضحا تماما ، وان نخطط لنتحول من موقف الدفاع الى موقف الهجوم ، وفي جميع الجبهات . كما يجب ان نقرر شيئا بالنسبة لسياسة الردع ، لانها عملية سياسية وليست عسكرية ، وعلينا ان نحددها الآن .

● ● صالح مهدي عماش : اكرر اعتذار الرئيس احمد حسن البكر لعدم حضور هذا المؤتمر الهام بسبب مرضه ، واننا في العراق ندرك اهمية وخطورة هذه المرحلة ونشارككم في ضرورة وضوح الرؤية ، وتحديد الخطة الكاملة ، لان المعركة مع اسرائيل معركة طويلة ذات ابعاد قوية . واقترح تقسيم الخطة الى مرحلتين : مرحلة الصمود ، ثم مرحلة التحرير وازالة مصدر العدوان الدائم علينا . ويجب علينا ان

نتخلص من الاحساس القطري عند بحث موضوع القيادة الموحدة . فمثلا ، لو اخترقت الجبهة الشرقية ووصل العدو ـ لا قدر الله ـ الى دمشق او عمان ، فينبغي الا يكون ذلك سببا لانسحاب سورية او الاردن من الحرب ، انما تستمر المعركة الى النهاية .

● عبد الناصر (مداعبا) : اعتقد ان الوقت قد تأخر بنا لبحث موضوع دخول العدو دمشق وعمان ، ولهذا اقترح تأجيل الجلسة الى الغد في الساعة السادسة مساء . على ان يسبق اجتماعنا اجتماع لوزراء الخارجية لوضع تقدير موقف سياسي شامل للعرض علينا في جلسة الغد .

الاجتماع الثاني ، ١٩٦٩/٩/٢

(بدأت الجلسة الثانية مساء ٢ سبتمبر ـ ايلول ـ في نفس المكان ، وعرض محمود رياض التقرير السياسي الذي اعده وزراء الخارجية . وقد اقترح وزراء الخارجية في التقرير توجيه نداء من المؤتمر لجميع الرؤساء العرب يدعوهم للاشتراك الفعلي في المعركة القادمة) .

● عبد الناصر : بالنسبة لما ورد في التقرير عن عامل الوقت والحلول المتاحة امام العدو ، اعتقد ان العدو لن يتحرك الآن لاحتلال دمشق او عمان ، لانه الآن في انسب وضع بالنسبة له . وهو حريص على بقاء الوضع كما هو مع اتفاقية محددة لايقاف النار ، تصاحبها عمليات للردع العنيف عند اللزوم .

● ● حردان التكريتي : اعتقد ان سياسة اسرائيل الحالية تهدف الى تدمير القوات المسلحة العربية اينما كانت !! ولهذا فان اسرائيل لن تسمح بنمو قواتنا المسلحة . وهذا يلزمنا ان نحدد الوقت الذي نقف عنده في عملية السباق العسكري بيننا وبينهم . كما يجب الا نغفل قدرة اسرائيل الفائقة على التسلح اكثر من قدرتنا كعرب .

● عبد الناصر (وقد اثاره كلام حردان وشكوكه) : اذن .. وما العمل ؟ وطالما نحن نشكك في قدراتنا العربية ، ما الاقتراح ؟

● ● الاتاسي : لا اعتقد ان سباق التسلح هو العامل الحاسم الوحيد بيننا وبين اسرائيل ، لان هناك عاملا اهم وهو العامل البشري .

• • صالح مهدي عماش (محاولا تطويق اثر كلمات حردان التكريتي) : لا اعتقد ان حردان يغفل اثر العامل البشري ، وانما كان يقصد من حديثه ان امريكا ستقف دائما بجوار اسرائيل وتحول دون تفوق العرب عليهم .

• جمال عبد الناصر : عامل آخر وهو الوقت . هل هو في صالحنا ام في صالح اسرائيل ؟ من وجهة نظري فاني ارى ان الوقت في صالحنا ، لاننا سنصل في وقت ما الى التعادل مع العدو في التسليح . وهنا نستطيع القيام بالهجوم . كذلك يجب وضع القوات المحاربة كلها تحت قيادة واحدة تكون قادرة ومسيطرة . الموضوع ببساطة ان لدينا قوات معينة ، وعلينا استخدامها افضل استخدام .

• • الفريق محمد فوزي (بعدما تلا نص التقرير العسكري الذي اعده وزراء الدفاع ، وكان يتلخص في ثلاث نقاط هامة وهي) :

اولا ـ مرحلة الصمود مع توفير الامن للجبهات الداخلية .

ثانيا ـ استنزاف قوات العدو والقيام بعمليات ردع .

ثالثا ـ الهجوم على جميع الجبهات لتحرير الارض .

• • صالح مهدي عماش : التقرير جيد نظريا ، ولكن المهم كيفية تطبيقه عمليا . كما يجب ضمان المتابعة للتنفيذ ، ولهذا اقترح تشكيل هيئة للمتابعة تلحق بمكتب القائد العام .

• عبد الناصر : ان تقرير وزراء الدفاع يؤكد ان العامل المؤثر في المعركة هو القوة الجوية والدفاع الجوي . وبالرغم من ان مجموع الطائرات في الدول الاربع يزيد على ما لدى اسرائيل من طائرات ، الا ان هناك صعوبات تحول دون الوصول الى التحدي الجوي المطلوب ، ولذلك اقترح فورا توحيد القوات الجوية تمهيدا لتوحيد القوات المسلحة المحاربة .

• • الملك حسين : ارحب بهذه الخطوة ، واقترح ان تكون القيادة من حق الدولة التي تملك القوات الجوية الاكبر .

(وقد وافق على اقتراح الملك حسين كل من الرئيس الاتاسي والفريق صالح مهدي عماش ، ولكن الفريق محمد فوزي ابدى تحفظا على الاقتراح ، واكد انه سيبقى نظريا ولا يمكن وضعه موضع التنفيذ حتى ابريل ـ نيسان ـ ١٩٧٠ ،

وهو التاريخ المحدد لاتمام انشاء القواعد الجوية في الجبهة الشرقية وعندئذ تأجل الاجتماع لليوم التالي) .

الاجتماع الثالث ، ١٩٦٩/٩/٣

(عقدت الجلسة الختامية في الموعد نفسه السادسة مساء يوم ٣ سبتمبر ـ ايلول ـ وتم قبلها العديد من الاجتماعات الجانبية . ولم تستغرق الجلسة طويلا ، واشترك فيها وفد جديد ، هو وفد السودان برئاسة اللواء جعفر النميري رئيس مجلس قيادة الثورة . وقد لخص الفريق فوزي النتائج التي توصل اليها وزراء الدفاع ، واكد ان النقطة الوحيدة التي لم يتم الاتفاق عليها هي ضرورة تدعيم الاحتياط المحلي في الجبهة الاردنية) .

●● الفريق حافظ الاسد : نحن مستعدون لتقديم اللواء السادس المدرع السوري والموجود حاليا في منطقة المفرق لهذا الغرض .

●● صالح مهدي عماش : انا غير موافق على تحريك اللواء السادس المدرع السوري في منطقة المفرق ، لانها منطقة حيوية وضياعها يفصل الجبهة السورية عن الجبهة الاردنية .

●● الملك حسين : اقترح ان نترك للقائد العام مهمة توزيع الاحتياط على كل الجبهات .

● عبد الناصر (موجها حديثه للفريق عماش) : انا وانت وكل الحاضرين هنا نعتبر سياسيين بغض النظر عن ان لبعضنا خلفيات عسكرية ويجب ان نترك للقادة العسكريين البت في الامور العسكرية . وختاما اود ان اعرض عليكم ما تم الاتفاق عليه من قرارات في هذا المؤتمر ، على ان تتولى لجنة الصياغة صياغتها في ما بعد :

اولا ـ يوافق المؤتمر على تقدير الموقف السياسي الذي قدمه وزراء الخارجية .

ثانيا ـ يوافق المؤتمر على تقدير الموقف الاستراتيجي الذي قدمه وزراء الدفاع للمؤتمر .

ثالثا ـ يعتمد المؤتمر الهدف الاستراتيجي الذي اتفق عليه ، وهو القيام بالعمليات التعرضية بغرض تدمير قوات العدو والوصول الى خطوط ٥ يونيو ١٩٦٧ .

رابعا ـ يوافق المؤتمر على « المهمة الحالية » للقوات المشتركة وهي تأمين الدفاع

على الخط الحالي في الجبهة الشرقية والجبهة الغربية مع صد وتدمير اي قوات للعدو تعتدي على هذا الخط الدفاعي .

خامسا ـ يوافق المؤتمر على حجم القوات المسلحة من الدول العربية المشتركة في المؤتمر حسب ما ورد في تقدير وزراء الدفاع .

سادسا ـ يعين الفريق محمد فوزي قائدا عاما مع منحه الصلاحيات الكاملة لتحقيق الاهداف الواردة في القرارات .

سابعا ـ يبدأ فورا في وضع الخطة التعرضية لتحقيق الهدف الاستراتيجي مع تحديد برنامج زمني للتنفيذ .

ثامنا ـ تتعهد الدول الاعضاء بدفع العجلة التنفيذية لاعداد وتدريب القوات المسلحة المطلوبة منها لتنفيذ الخطة ، مع توصيات خاصة لاستكمال مطالب الدفاع الجوي والقوات الجوية .

تاسعا ـ يعمل على استكمال القواعد الجوية في الجبهة الشرقية في الميعاد الذي حدد لها .

عاشرا ـ يعقد لقاء للرؤساء المشتركين مرة كل اربعة شهور ، ولقاء لوزراء الدفاع او رؤساء الاركان مرة كل شهرين .

(وافق الرؤساء على القرارات ، واعطيت للجنة الصياغة لوضعها في الشكل النهائي) .

● ● مهدي عماش : الا يمكن ان يشارك السودان في تدعيم اضافي للقوات المخصصة لهذه الخطة ؟

● ● النميري : نحن فعلا نشعر بأهمية مشاركتنا في هذه الخطة . ولكن بعد نجاح الثورة منذ اربعة اشهر ، وجدنا عجزا كبيرا في اعداد وتسليح القوات المسلحة . ولذلك بدأنا فورا في اعادة تنظيمها وتسليحها بمعاونة الاتحاد السوفياتي والجمهورية العربية المتحدة ، ونرجو في خلال عامين ان تصل قواتنا الى الحجم والمستوى الذي يمكننا من ارسال قوات كبيرة للمشاركة الفعلية في المعركة .

● عبد الناصر : ختاما لاعمالنا ، اعتقد ان اجتماعاتنا كانت ايجابية ، واسفرت عن حشد كل طاقاتنا من اجل المعركة . كما انني باسمكم احيي الخطوة التي

اتخذتها ثورة السودان بحضور هذا المؤتمر رغم ان السودان بعيد عن ارض المعركة . وانا نأمل في المستقبل القريب ان تعمل جميع الدول العربية الاخرى على تجديد كل طاقاتها من اجل هذه المعركة القومية ، كما نأمل في الاجتماع المقبل ان يزداد عدد الدول المشاركة معنا .

اشكركم جميعا على تشريفكم بلدكم واتمنى باسم شعب الجمهورية العربية المتحدة كل التوفيق والنصر باذن الله .

(وقد رد عليه كل من الملك حسين والرئيس النميري بكلمات مناسبة متمنين للرئيس عبد الناصر ولشعب الجمهورية العربية المتحدة النصر والرخاء) .

اول نوبة قلبية

(وهكذا انتهى المؤتمر الرباعي . وبعدما انتهى عبد الناصر من توديع الرؤساء شعر باجهاد شديد . لقد راح الرجل يخرج من مشكلة ليدخل في مشكلة جديدة ، منذ يوم الهزيمة وحتى تمكن من اعادة الجيش الى الوقوف على قدميه من جديد ، وحتى تمكن من الدخول به في حرب استنزاف ضارية اصابت العدو بخسائر جسيمة فاقت كل خسائره في المعارك السابقة .

ثم جاء المؤتمر الرباعي الذي انعقد لحشد كل الجهود ، ولتنسيق كل المواقف . وكان عبد الناصر الذي ظل واقفا على اعصابه عشية الهزيمة والى يوم انتهاء المؤتمر الرباعي ، قد شعر فجأة وهو جالس خلف مكتبه وكأن خنجرا حادا يغوص في صدره نافذا من ظهره متوسطا مكانا بين الرئتين ، وعندما استدعى الاطباء قرر الجميع ان عبد الناصر يعاني من نوبة قلبية حادة ، وان عليه ان يستريح تماما وان يبتعد كليا عن العمل ، بل ويبقى في فراشه سبعة اسابيع كاملة .

ولربما تحسنت حالته الجسدية نوعا ما ، ولكن حالته النفسية ساءت اكثر . فقد كان يريد ان يقف على كل صغيرة وكبيرة في القوات المسلحة ، وكان يتمنى الا يموت قبل ان يحقق النصر على الاعداء . وكان يرى ان الثمار قد نضجت وان يوم القطاف قد اقترب . وكان مصرا على الا تتأخر المعركة يوما واحدا عن موعدها .

واذا كانت جماهير الشعب العريضة قد انطلت عليها حكاية ان عبد الناصر مريض بالانفلونزا ، فان الامر كان معروفا لدى كل المحيطين به وعلى مستوى

السلطة كلها . ومضت اسابيع طويلة متوترة ترك فيها عبد الناصر المسائل الداخلية تشرف عليها لجنة من بعض معاونيه ، ولكنه لم يكف لحظة واحدة عن الاتصال بالقادة العسكريين والاطلاع على آخر التقارير الواردة من الجبهة .

شيء آخر غريب ، وهو علاقة مرض عبد الناصر بالاحداث العربية الهامة التي تتعلق بالمصير . لعل السبب ان عبد الناصر لم يكن من نوع المسؤولين الذين يفصلون اشخاصهم عما يدور حولهم من احداث ، ومن يرون الاحداث بروح الحكم الذي يشرف على مباراة تجري بين فريقين ، ولكن عبد الناصر كان طرازا آخر يختلف . كان يتحول هو نفسه الى جزء من هذه الاحداث ، يتأثر بها ويؤثر فيها . ولم يتوقف الا عندما تسللت الى داخله واصابت قلبه اصابة مباشرة .

وكأن التاريخ قد اعاد نفسه مرة اخرى في العام ١٩٧٠ حين سقط عبد الناصر في نهاية شهر سبتمبر (ايلول) ايضا بعد الانتهاء من مؤتمر عربي آخر عقد من اجل الفلسطينيين . غير ان قلبه الكبير الذي كان قد عانى كثيرا ، لم يتحمل الصدمة في هذه المرة ، فكف عن الخفقان .

ومات الرجل الكبير تاركا دنيانا الى رحاب الله . يرحمه الله . ولكن قبل ذلك كان له لقاء مفتوح وصريح مع الملك فيصل ، كشف كل منهما خلاله اوراقه على المائدة ، وتحدثا بصراحة كاملة . ماذا قال عبد الناصر ؟ وماذا قال الملك فيصل ؟) .

سمح الأطباء لجمال عبد الناصر ان يستأنف عمله ابتداء من اول نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩ ، وكانت جلسة مجلس الوزراء يوم ١٢ نوفمبر (تشرين الثاني) اول مشاركة سياسية له بعد شفائه ، وقد منعه الأطباء من التدخين نهائيا بعدما كان يدخن يوميا اكثر من ستين سيجارة . وقبل دخوله قاعة الاجتماعات في ذلك اليوم اتفق الوزراء في ما بينهم على عدم التدخين اثناء الجلسة حرصا منهم على صحته . ولكن بعد فترة من الاجتماع اكتشف عبد الناصر هذا الاتفاق ، فأصر على ان يدخنوا كالمعتاد .

وفي اول اجتماع لخص عبد الناصر ـ بعد غياب دام شهرين ـ الموقف السياسي على ضوء آخر المعلومات التي اطلع عليها فقال : موقف الاميركان بالنسبة لتحيزهم لاسرائيل لم يتغير . واليوم قدموا اقتراحا جديدا لاشرف غربال (ممثل وزارة الخارجية المؤقت في واشنطن) يتضمن الاسس والمقترحات ذاتها التي سبق ان

عرضوها ، مضافا اليها انهم يعترفون بالنسبة لمصر فقط بحدودها الدولية . الواضح من جميع المصادر ان اميركا ما زالت مصرة على ان تضع منطقتنا تحت سيطرتها ونفوذها ، ولهذا فهي تخطط لتغيير النظام الحالي في مصر ، وكذلك في سورية ، آملين في امكان التفاهم بعد ذلك بسهولة مع الانظمة الجديدة .

اما عن السوفيات فقد توصلوا اخيرا الى قناعة انه لا فائدة من الاميركان للوصول الى حل سلمي ، ولهذا سيبدأون في اعداد وتسليح قواتنا لتكون قوة هجومية ، كما ان خبراءهم الموجودين حاليا في مصر يقومون بمجهود كبير في تدريب القوات المسلحة ، وخاصة بالنسبة للطيارين الذين زاد عددهم وارتفعت كفاءتهم القتالية .

اما عن حرب الاستنزاف فاستمرارها من جانبنا اثر كثيرا على معنويات القوات الاسرائيلية ، واضطرت ان تغير من سياستها في عمليات الردع بحيث كلفت بها القوات الجوية بدلا من القوات البرية . هناك ميزة اخرى كسبناها من حرب الاستنزاف ، وهي ان قواتنا تطبعت على العدو واصبح امرا عاديا لجنودنا ان يواجهوا جنود الاعداء ويشتبكوا معهم ، ويعيشوا وسط ضجيج المعركة واصوات القنابل والطائرات المغيرة في حياة يومية عادية . لقد اصبحنا الآن قادرين على تحريك فرقة مشاة بكامل معداتها واسلحتها لعبور قناة السويس ثم الاشتباك مع العدو في عمليات تحت ظروف الحرب القاسية .

اما عن عقود التسليح مع السوفيات فهي تسير بشكل جيد . ولقد بلغ ما تم منها عام ١٩٦٩ مقدار ما تعاقدنا عليه من عام ١٩٥٥ الى عام ١٩٦٨ . اليوم وصلت قواتنا الى ٣٠ الف ضابط ونصف مليون مقاتل .

وتحدث في هذه الجلسة المهندس سيد مرعي مهنئا الرئيس بشفائه ، مبلغا المجلس بزيادة الانتاج الزراعي في هذا العام رغم ظروف الحرب . اذ زاد محصول القطن بمقدار مليون ونصف مليون قنطار ، وكذلك زاد محصول الذرة بمقدار اربعين الف اردب .

وفي ختام الجلسة تحدث عبد الناصر عن خطته في التحرك في المجال العربي من اجل الاستفادة من كافة الامكانيات لاجل المعركة ، فقال انه اجرى اتصالات

مع ثورة ليبيا ومع ثورة السودان ، وكلتاهما راغبتان في اتخاذ خطوات وحدوية مع مصر . كذلك طلبت سورية الانضمام لهذه الخطوة الوحدوية .

* * * *

وابلغ عبد الناصر مجلس الوزراء بأنه جرت اتصالات اخيرة مع الملك فيصل ، وان العلاقات المصرية ـ السعودية في سبيلها الى التحسن . وبالفعل نجحت خطة عبد الناصر في هذا المجال ، واعلن الملك فيصل قبوله للدعوة التي وجهت اليه لزيارة القاهرة . وكانت الدعوة قد حملها الى الملك فيصل الوزير حسن عباس زكي فقبلها على الفور ، وحدد موعدا لها يومي ١٨ و ١٩ ديسمبر (كانون الاول) ، على ان تبدأ المحادثات السياسية فور وصوله .

وكان لهذه الزيارة مغزى خاص ، اذ جاءت بعد فترة فتور سبقتها فترة عداء سافر بين البلدين كانت ذروتها حرب اليمن التي اشتركت فيها قوات سعودية حاربت مع الملكيين ضد الجمهورية الجديدة ، كما ان الزيارة كانت تأتي مباشرة قبل انعقاد مؤتمر القمة العربي في الرباط والذي تكهنت الدوائر السياسية بانفجار الموقف العربي خلاله ، بوجود العديد من المشاكل السياسية ، خصوصا بين السعودية ومصر .

وبالرغم من كل ذلك ، فقد كان عبد الناصر يؤمن بضرورة وحدة الصف العربي لمواجهة العدو المشترك ، وكان حريصا على نجاح زيارة الملك فيصل لقطع الطريق على كل المؤامرات التي تهدف الى توسيع شقة الخلاف وبعثرة الصف العربي . ولذلك كانت اوامره المحددة لي ، بصفتي امينا عاما للاتحاد الاشتراكي في العاصمة ، على ضرورة استقبال الملك فيصل استقبالا شعبيا حافلا . وقد تمكنا من ذلك بعد حوار طويل ساخن مع كوادرنا السياسية . واسترعت انتباه الكثيرين صورة الملك فيصل وهو واقف في السيارة المكشوفة الى جوار عبد الناصر يحيي جماهير القاهرة التي خرجت عن بكرة ابيها تحيي ضيف مصر الكبير . وقد اثلج قلب الملك الاستقبال الحار الحافل وشرح صدره ، وفتح الطريق الى محادثات صريحة ومفتوحة من الجانبين .

وقد استغرقت مباحثات الزعيمين طوال يومي ١٨ و ١٩ ديسمبر (كانون

الاول) ، وصدر في نهايتها بيان مشترك يعتبر بحق نقطة تحول في العلاقات العربية .

ولقد كانت الدقائق الاولى في اول لقاء بين الوفدين حرجة وحاسمة . جلس اعضاء الوفدين في مواجهة بعضهم البعض ، ومرت فترة صمت قصيرة ، ولكنها مرت كأنها سنين طويلة . كان الحوار مقطوعا بين الجانبين منذ سبع سنوات ، وكانت بينهما حرب ساخنة اريقت فيها دماء وازهقت ارواح ، ودبرت فيها مؤامرات من كل جانب على الجانب الآخر . ولعل الصمت كان مرجعه ان احدا من الجانبين لا يعرف بالضبط من اين يبدأ ، وما هي الجسور التي يجب تجاوزها ، والجسور التي يجب التوقف عندها ، والجسور التي يجب عبورها للوصول الى الجانب الآخر . وخيل الي وانا جالس مكاني خلف عبد الناصر ان الصمت سيستمر الى الابد . ولكن عبد الناصر قطع الصمت فجأة وقال :

عبد المجيد فريد

٣ ـ مصالحة مع الملك فيصل :

الجلسة الاولى ، ١٩٦٩/١٢/١٨

● عبد الناصر : ارحب مرة اخرى بجلالة الملك وبالوفد المرافق لكم ، معبرين لكم عن رغبتنا الصادقة لنجاح هذا اللقاء والوصول الى تفاهم مشترك حول الموضوعات التي تهمنا وتهمكم . اننا نحاول من جانبنا تحسين العلاقات معكم منذ عام ١٩٦٧ ، وقد رحب شعبنا بذلك ، كما عبر لكم اليوم عندما استقبلكم هذا الاستقبال الحافل ، لانه شعر ان هناك علاقات غير طبيعية معكم ، وان المصلحة العربية تنادي بضرورة عودتها الى الطريق الطبيعي ، خصوصا ان العلاقات المصرية ـ السعودية كانت دائما وعلى مر السنين علاقات متينة تسودها الاخوة الخالصة .

ولا شك ان هذا اللقاء وزيارتكم سيقطعان الطريق على كل المستفيدين من الخلاف ، كما اننا نعتقد ان الزيارة ستكون لها آثار بعيدة المدى ليس في بلدينا فقط ولكن في العالم العربي كله . واذا كانت حرب اليمن قد اساءت للعلاقات بيننا فقد انتهت الحرب الآن ، ولم يعد هناك مبرر لعدم تحسن ونمو العلاقات بيننا .

مرة اخرى ارحب بالاخ الملك فيصل والاخوة المرافقين له ، وادعو الى الله ان يكون لقاؤنا مفيدا لبلدينا وعاملا من عوامل نجاح مؤتمر القمة الذي سيعقد في الرباط بعد ايام .

• • الملك فيصل : اشكركم على ترحيبكم ، كما اشكر شعبكم الكريم . واود ان اقول ان جميع ما تفضلتم به بشأن العلاقات بيننا هو الصواب ، وان الخلاف بيننا كان امرا شاذا ، ومنذ ايام الملك عبد العزيز والعلاقات بيننا كانت طبيعية وقوية ، اما ما حدث بعد ذلك فهو امر غير طبيعي . وانا اقول دائما ان اي خلاف يحدث بين طرفين فلا بد وان هناك طرفا ثالثا وراء هذا الخلاف .

املنا ان تعود العلاقات لما كانت عليه سابقا ، ونحن نعتبر ان هذا امر واجب وحتمي على كل منا ان يسعى لتحقيقه لان مصلحة البلدين وطنيا واسلاميا تلزمنا بأن نكون يدا واحدة ، وان نكون جسما واحدا . وعلى المسؤولين قبل الافراد في البلدين ان يعملوا لخلق الظروف المناسبة لتحقيق هذا الهدف ، ونطلب من الله ان يعيننا في مسعانا . والله لا يقبل سوى العمل الصالح المشترك .

• عبد الناصر : الحقيقة ان الظروف التي مرت بنا في الفترة الاخيرة ، واهمها حرب اليمن منذ عام ١٩٦٢ ، قد اثرت كثيرا على العلاقات بيننا ، وجعلتها تتحول الى طريق لم نكن مخططين له ولم تكونوا مدبرين له ايضا . ونحن من جانبنا نعتبر لقاء الخرطوم عام ١٩٦٧ على انه تاريخ فاصل في العلاقات بيننا ، وتعليماتي منذ ذلك الحين واضحة وصريحة لجميع اجهزة الحكم عندنا بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لاي بلد عربي ، وان نركز جهودنا كلها لمحاربة اسرائيل في كل الميادين . وقد سبق ان ارسلت لكم الوزير حسن عباس زكي ليوضح لكم سياستنا في جميع المجالات ، ولكن الاخ حسن عباس زكي ابلغني بعد عودته عن المخاوف والشكوك التي ما زالت تساوركم عن نشاط بعض اجهزتنا ، ولقد قلت له ان يبلغكم ان اي فرد سيخرج عن تعليماتي بهذا الخصوص سأحاكمه قبل ان تحاكموه . وارجو عدم اغفال حقيقة هامة وهي ان هناك دائما افرادا يحاولون وسيحاولون تعكير الجو بيننا .

• • الملك فيصل : فعلا ، لقد بقيت لدينا بعض الرواسب ، كما ان هناك البعض الذين يسعون لتوسيع شقة الخلاف بيننا ، ولكن يجب وقف هذه المحاولات لمصلحة

البلدين معا . فمثلا ، هناك بعض الافراد الذين تم القبض عليهم في المملكة اخيرا ، وهؤلاء ادعوا في التحقيق انهم على صلة بأفراد واجهزة في مصر ، ولقد اعترفوا كتابة بذلك .

ولقد احترت مع زملائي في المملكة ماذا نفعل بهم ؟ هل نحاكمهم وحينئذ سيقــرون اثناء المحاكمة انهم على صلة بأفراد واجهزة مصرية . وقد يتسبب هذا في الاساءة للعلاقات بيننا وبينكم . هل نحكم عليهم سرا دون محاكمة ؟ هل نعفو عنهم ونتركهم يفلتون ؟

في الحقيقة ، ظللنا حائرين لا نعرف ماذا نعمل بهم ؟ وفي النهاية فضلنا عدم البت في امرهم وابقاءهم محجوزين ! ثم هناك مجموعة اخرى قليلة العدد من الشيوعيين ، وهؤلاء ايضا يرددون ان لهم علاقات واتصالات مع مصر ودول اخرى . هؤلاء ايضا اجلت البت في امرهم . وكنت اود الا افتح هذه الموضوعات معكم ، ولكن قد يكون في اثارتها مصلحة عامة للطرفين .

● عبد الناصر : احب ان اوضح لكم حقيقة لا نخفيها ، وهي عدم وجود فروع حزبية لنظامنا خارج مصر . ولم نوافق على انشاء قيادات قطرية لنا في البلاد العربية ، كما الحال بالنسبة لبعض الاحزاب العربية مثل حزب البعث .

● ● الملك فيصل (مقاطعا وبانفعال شديد) : حزب البعث الله يخرب بيت حزب البعث ! (الناشر : من المعروف ان فيصل كان يخشى الحركات الشعبية ويعتبرها خطرا عليه) .

● عبد الناصر : وحتى بالنسبة للمنظمات الفدائية رفضنا ان يكون لنا تشكيلات تتبعنا كما الحال بالنسبة لبعض المنظمات .

اما وضعنا بالنسبة للشيوعية فيعرفه العالم بأكمله شرقا وغربا ، ونحن لسنا شيوعيين او فرعا لحزب شيوعي .

● ● الملك فيصل : طالما نحن نتحدث بصراحة ، فانه توجد لدينا وثائق تدين شخصا يعمل معكم وله اتصالات مشبوهة بأفراد في المملكة . وهذا الشخص اسمه سامي شرف ، ويقال انه يعمل بأوامر منكم شخصيا .

● عبد الناصر : انا مستعد لاجراء تحقيق في هذا الموضوع . ولكن اود ان اطمئنكم

انه لا يوجد لنا الآن اي نشاط معاد عندكم او في اي دولة عربية . وعلينا الآن ان نخطو في علاقاتنا الثنائية خطوة الى الامام ، والا فستبقى الشكوك والمخاوف تسيطر دائما علينا .

(تعرض عبد الناصر لهذا الموضوع في حديث له في احد اجتماعات اللجنة التنفيذية العليا التي عقدت بعد هذه الزيارة ، وكان الاجتماع يوم ١٢ يناير ـ كانون الثاني ـ ١٩٧٠ ، وكان يتحدث عن نتائج مؤتمر الرباط ، وعن عدم المشاركة الجدية من بعض الدول العربية في الحشد العربي المطلوب للمعركة فقال : اعتقد ، بالنسبة للسعودية ، ان زيارة الملك فيصل لنا الشهر الماضي كانت ذرا للرماد لانهم ما زالوا يتآمرون ضدنا . وقد وقعت في حوزتنا اخيرا بعض الوثائق التي تثبت استمرار تآمر الحكم الملكي في السعودية علينا . اما عما قاله الملك فيصل اثناء مباحثاته معي من اننا تآمرنا عليه مدللا على ذلك بأنه تم اخيرا اعتقال مجموعة من الافراد في السعودية اعترفت انها كانت على اتصال سري مع احد الذين يعملون في مكتبي وهو سامي شرف ، فهذا امر صحيح ، ولكن حدث خلال عام ١٩٦٣ وعام ١٩٦٤ عندما كنا نحارب في اليمن ، وكان كل منا يقوم بأعمال عدائية ضد الآخر وكان مثل هذا الاتصال امرا طبيعيا . والاتصالات التي اشار اليها الملك تمت فعلا في كوبنهاغن عاصمة الدانمارك بين سامي شرف وبعض الضباط السعوديين الذين كانوا غير راضين عن الحكم الملكي في السعودية . عامة ، في عام ١٩٦٥ اوقفت اتصال مكتبي بهذا الموضوع وامرت بتسليم كل ما يختص بالسعودية الى ادارة المخابرات العامة في اطار نشاطها العادي) .

● ● الملك فيصل : موضوع آخر اود ان اصارحكم به ، وهو ما تنشره احيانا بعض اجهزة الاعلام عندكم ، وخاصة جريدة « الاهرام » ورئيس تحريرها هيكل ، ويقال عنه انه الناطق الرسمي باسمكم . وهذا ليس تقديري الشخصي ، ولكن هذا ما تردده الاذاعات والصحف العالمية ، وايضا ما يردده بعض رؤساء الدول والوزراء .

● عبد الناصر : « الاهرام » احدى صحف مصر ولا تمثل رأيي شخصيا ، بل كثيرا ما يكتب فيها في صفحة القسم العربي آراء المسؤول عن هذا القسم زكريا نيل . وهي تختلف كثيرا عن رأيي شخصيا .

• • • الامير نواف بن عبد العزيز : فليسمح لي السيد الرئيس ان اكرر ما قاله جلالة الملك ان « الاهرام » لها وضع خاص عندكم ، وعلى سبيل المثال فهي الجريدة الوحيدة في العالم التي سبقت كل اجهزة الاعلام بخبر زيارتنا لكم .

• عبد الناصر : الحقيقة ان الجريدة التي تمثل الحكومة عندنا هي « الجمهورية » . ولكن « الاهرام » جريدة واحدة ورئيس تحريرها (هيكل) انشط صحفي في مصر ويبذل جهدا كبيرا في عمله ، ويبقى يوميا في مكتبه ١٢ ساعة . اما عن خبر الزيارة فان وزارة الخارجية عندنا هي المسؤولة عن هذا الخطأ ، لانه كان من واجبها ان تصدر بيانا صحفيا وتقوم بتوزيعه على اجهزة الاعلام العالمية . وعموما ، فليس كل ما ينشر في الصحف يعبر عن حقائق ثابتة . فمثلا يتردد في هذه الايام في الصحف عن تقارب بيننا وبين اليمن الجنوبية ، بينما توجد حاليا خلافات بيننا وبينهم .

• • الملك فيصل : اعتقد ان العلاقات بيننا ستتحسن بعد اليوم ، وسنكون عند حسن ظن الجماهير التي استقبلتنا ونحن نتوجه معا من المطار الى قصر القبة .

• عبد الناصر : كلانا مسؤول يا صاحب الجلالة عن ازالة كل فتور يطرأ على العلاقات بيننا . وانا واثق ان تبادل الزيارات سيساعد كثيرا في تحسين العلاقات ، واذا لم يمانع جلالة الملك فاننا نؤجل الاجتماع للغد .

(وتأجلت الجلسة الى اليوم التالي . الناشر : وقبل انعقاد الجلسة الثانية استدعاني الملك فيصل في جناحه في الدور الاعلى في قصر القبة ، وكان موجودا عند الملك لحظة وصولي الى جناحه الخاص عدد من الاخوة السعوديين اذكر منهم الشيخ احمد عبد الوهاب مدير المراسم الملكية والوزير حسن عباس زكي الوزير المرافق . وبعد فترة اشار الملك فيصل بأدبه الجم الى رغبته في التحدث معي على انفراد . وعندما غادر الحاضرون ، بعدما استأذنوا في الانصراف ، قال لي الملك فيصل ان هناك موضوعين على جانب كبير من الاهمية يود ان اعرضهما بشكل خاص على الرئيس عبد الناصر بعدما صفت القلوب وصدقت النوايا : « انني اود ان احذر الرئيس من الحكم الموجود في سورية ... » وعندما اردت مناقشة الملك فيما قاله اضاف « عندما تأتي لزيارتنا في السعودية سأطلعك على ما يثبت قولي » . واضاف الملك : « اما الموضوع الثاني فهو علاقة عبد الناصر بالروس . ان هؤلاء الناس

ملحدون ، واستمرار علاقة عبد الناصر بهم ستضره ضررا بالغا ، وهم لا يتمنون الخير والفلاح له او لمصر » . ثم ذكرني بقصة السفير السوفياتي في مصر الذي اصر على مقابلة عبد الناصر ليلة العدوان ، واكد له ان اسرائيل لا تنوي القيام بعمل عسكري . وقلت بعدما استمعت لجلالته ، ان اميركا ايضا ساهمت في عملية خداع عبد الناصر حتى آخر لحظة . وتوقف الحديث بيني وبين الملك عند هذا الحد ، فقد حان موعد انعقاد الجلسة الثانية) .

الجلسة الثانية ، ١٩/١٢/١٩٦٩

(بدأت الجلسة في العاشرة صباحا ، وكانت الاعصاب قد هدأت بعد جلسة المكاشفة والمصارحة بين الجانبين . وتجاوز الحوار موضوع العلاقات بين البلدين ودخل مباشرة الى بحث الموضوعات السياسية والعسكرية والى القضايا التي ينتظر طرحها في مؤتمر الرباط) .

● عبد الناصر : تحدثنا امس عن العلاقات الثنائية بكل وضوح وصراحة ، واعتقد اننا وصلنا الى درجة من التفاهم الكامل . ولهذا ننتقل الى موضوع المشكلة الاساسية ، وقد كلفت محمود رياض مناقشة الموضوع مبدئيا مع الاخ عمر السقاف .

●● عمر السقاف : واضح من استعراض الموضوعات المقترح طرحها في مؤتمر الرباط ، هو استبعادكم للحل السلمي ، وان العمل العسكري وكيفية الاعداد له هو الموضوع المطروح .

● عبد الناصر : عندما وافقنا في العام ١٩٦٧ على قرار مجلس الامن كنا في حاجة ماسة لبعض الوقت كي نتمكن من اعادة بناء القوات المسلحة . وللحقيقة وللتاريخ ، فان مصر والاردن هما الدولتان الوحيدتان اللتان وافقتا على الحل السلمي وعلى قرار مجلس الامن . واليوم نحن الدولة الوحيدة التي تقاتل كل يوم في حرب استنزاف دامية ليس لها مثيل .

لقد عرضت علينا اميركا حلا لتجزئة القضية وحصرها بالنسبة لنا في سيناء فقط ، ولكننا رفضنا لان الموضوع اذا كان مصريا فقط يصبح تحرير سيناء بسيطا . ولكن طالما ان الموضوع على المستوى القومي في الدرجة الاولى فعلينا ان

نقبل العمل العربي الشامل بكافة التزاماته . اننا هنا في مصر دفعنا الكثير بسبب الحرب . دمرت لنا منشآت واهداف كثيرة . لدينا مهاجرون اكثر من ٤٠٠ الف مواطن ، واستشهد الآلاف والآلاف من ابنائنا .

وللحقيقة وللتاريخ مرة اخرى ، اقول لجلالة الملك : اذا تخاذلت مصر في هذه القضية فستصبح القضية كلها منتهية .

اننا نعلم اننا اكثر الناس الذين عليهم ان يدفعوا ، واكثر الذين عليهم ان يضحوا . ولكن لا يوجد للاسف ما يسمى بالحل السلمي . وعندما نذهب الى مؤتمر الرباط ونعلن حشد كل القوى العربية في المعركة ، فليس معنى ذلك اننا سنحارب غدا او بعد غد ، لسبب بسيط وهو ان هناك امورا عسكرية تحتاج لبعض الوقت ، مثل اعداد الطيارين المقاتلين . عندنا الآن في مصر ٤٠٠ طيارة ، ولكن لا يوجد لدينا ٤٠٠ طيار مقاتل ، بينما اسرائيل لا تواجه مثل هذه المشكلة .

يجب ايضا الاتفاق على الخطة الاستراتيجية المطلوب تحقيقها . نحن نريد من مؤتمر القمة في الرباط الحد الادنى للتضامن العربي . نحن لا نذهب لهذا المؤتمر لنثير المتاعب للآخرين ، ولا للدخول في معارك ضد احد . ولكن سورية اعلنت امس انها ترفض اي حل سلمي وتعلن الكفاح المسلح . هذا في الوقت الذي نخوض نحن فيه حرب الاستنزاف .

لقد نجحنا كعرب في مؤتمر الخرطوم لاننا واجهنا الواقع وتحركنا على اساسه ، ولولا الدعم المالي الذي تقرر في المؤتمر لما تمكنا من الصمود حتى اليوم بالرغم من اننا نتكبد خسائر تفوق كثيرا الدعم الذي تقرر لنا . فعلاوة على فقدان دخل القناة ، فقدنا ١٧٠ مليون جنيه في قطاع الصناعة ، عدا نفقات المهاجرين لتوفير الحد الادنى لمعيشتهم ، ولكننا لم نطلب زيادة الدعم لنا . ولن نطلب ذلك منكم او من غيركم ! ان عملية الحرب ليست سهلة ، ولا يمكن تحديد ميعاد المعركة الآن ، لان هذا التحديد يتوقف على نمو القوة الجوية لدينا ، كما ان الحشد العسكري العربي الذي سيتقرر في الرباط هو الذي يحدد قدرتنا على خوض الحرب وهو الذي سيحدد موعد المعركة .

● ● الملك فيصل : لا اعتقد انه سيثار في المؤتمر موضوع الحل السلمي او تحديد

ميعاد المعركة ، ولكن ما يمكن بحثه هناك هو كيفية الحشد العربي العسكري ومسؤولية كل دولة في هذا الحشد !

● عبد الناصر : علمت ان هناك مشروعا ليبيا وآخر سودانيا عن الحشد العربي . اما بالنسبة لنا فلا يوجد لدينا مشروع محدد ، وانما توجد افكار فقط . كما علمت ايضا ان هناك مشروعا تونسيا يقصر الحشد العسكري على الفلسطينيين فقط .

● ● الملك فيصل : كان هذا معقولا عام ١٩٤٨ ، ولكن ليس الآن ، ولو ان الملك سعود كان من اصحاب هذا الرأي سابقا .

الاقدار بالمرصاد

(وعند هذا الحد ، دارت مناقشات كثيرة حول موضوع القيادة العربية الموحدة ، وسلطة القائد العام في تحريك واستخدام قوات الدول المختلفة . وفي النهاية اكد الملك فيصل وعبد الناصر على ضرورة الاتصال الدائم وتبادل الزيارات على جميع المستويات ، ثم تلا عمر السقاف البيان المشترك الذي اعده وزراء خارجية البلدين . وقد تم الاتفاق عليه كما اتفق على اذاعته في وقت واحد من اذاعة القاهرة واذاعة الرياض .

وهكذا انطوت صفحة من الخلاف بين مصر والسعودية وصل في بعض مراحله الى اراقة الدماء ، وبدا للجميع ان عبد الناصر يقترب بالفعل من تحقيق حلمه الكبير في الحشد وتحرير الارض . ولكن الاقدار كانت تدبر شيئا آخر ، وكانت ايام عبد الناصر على هذه الارض قد اقتربت من نهايتها . فبعد اقل من تسعة شهور من هذا اللقاء رحل عبد الناصر الى الابد . ولكن قبل رحيله استطاع ان يملأ الدنيا ويشغل الناس وكانت ايامه العشرة الاخيرة اياما حرجة وحافلة . كان العرب عند مفترق طريق وعلى حافة هاوية ، ولكنه استطاع السيطرة على الموقف وتوجيه الامور الى ما فيه خير الامة .

وكم من الاسرار والخفايا حفلت بها تلك الايام الاخيرة . سقط عبد الناصر بعدها وانتهى . وكانت لحظة قصيرة تلك التي غاب فيها عنا ومضى ، ولكننا اكتشفنا بعدها انها كانت لحظة رهيبة لاننا فقدنا فيها اعظم من عرفنا في الحياة . فماذا جرى في ايام عبد الناصر الاخيرة ؟)

الفصل الثامن

احداث كبرى عام ١٩٧٠

١ ـ آمال وحدوية

اجتماعات عبد الناصر مع معمر القذافي وجعفر النميري

٢ ـ مشروع روجز وملابساته

١ ـ آمال وحدوية

● **اجتماع ثلاثي : عبد الناصر ، معمر القذافي ، جعفر النميري** : تقييم عبد الناصر لكل من القذافي والنميري ـ مباحثات حول شكل الارتباط السياسي بين الدول الثلاث ـ مقترحات وزراء الخارجية ـ لجنة عسكرية عليا ـ الاعلام ـ آراء الرؤساء الثلاثة حول قضايا اسلوب التعبئة الجماهيرية والتنظيم السياسي ومفهوم الوحدة وشكلها ومراحلها ـ عبد الناصر والقذافي يخالفان النميري في الرأي ـ لجان تحضيرية .

● **اجتماع ثنائي بين عبد الناصر ومعمر القذافي** : حول تجربة ثورة ٢٣ يوليو ـ التيارات السياسية في ليبيا ـ القذافي : خطوات وحدوية الآن ـ مشورة عبد الناصر للقذافي حول قضايا : البناء الداخلي والاشتراكية والوحدة والعلاقات الخارجية مع اميركا والاتحاد السوفياتي والصين ـ موعد المعركة مع اسرائيل ـ اسباب استعجال تسليم طائرات الميراج ـ عبد الناصر : مستعدون لكل عون بما فيه العون العسكري ـ اسرعوا بتوضيح سياستكم للناس .

● **اجتماع عبد الناصر والقذافي تمهيدا لمؤتمر قمة الصمود العربي** : تقدير جهود القذافي لقومية المعركة ـ ملاحظات القذافي حول جولته العربية ـ الجبهة الشرقية : اهميتها ومفهومها ووضعها وموقف اسرائيل منها ـ القيادات المهزومة عام ١٩٦٧ ـ درس من الحرب العالمية الثانية ـ العراق وايران والجبهة الشرقية .

عبد الناصر :

- الوحدة بلا اقتناع جماهيري وحدة هزيلة .
- اميركا ستحاول احتواءكم والسوفيات سيقفون معكم .
- ايدتنا الصين بالكلام فقط !
- سنعبر القناة قريبا ولن ننتظر حتى عام ١٩٧٣ .
- هدف اسرائيل تفتيت الجبهة الشرقية .

تابعنا في المحاضر السابقة الاحداث في مصر والوطن العربي بعد الهزيمة . ووجدنا عبد الناصر ومعه شعب مصر والشعب العربي كله يواجه النكسة باصرار على النضال ، وبتصميم على اعادة البناء وخاصة الاعداد العسكري . رفع شعار « المعركة مستمرة » ، بل وسعى اليها فأعلن الحرب الرابعة على اسرائيل في العام ١٩٦٩ وكانت حرب استنزاف مريرة ألحقت باليهود من الخسائر ما لم تلحقه بهم الحروب الثلاث السابقة .

ثم جاء العام ١٩٧٠ وكان يخفي بين طياته العديد من الاحداث والمفاجآت ، اولها ان الشعب العربي هنا وهناك تصور بعد نجاح ثورتي السودان وليبيا في آواخر ١٩٦٩ ان آماله في الوحدة العربية ستتحقق خلال ١٩٧٠ ، ولكن اللقاء الذي تم في فبراير (شباط) من ذلك العام بين عبد الناصر ومعمر القذافي والنميري اوضح ان قيام الوحدة المنشودة هدف عظيم ، ولكن ليس من السهل الوصول اليه ، وان قيام الوحدة دون تمهيد واقتناع جماهيري واسع يجعلها ــ كما قال عبد الناصر ــ وحدة هزيلة خلقت لتحارب من اساسها . كما تبين ايضا ضرورة توفر خطوة اساسية قبل قيام الوحدة ، وهي قيام الحركة السياسية العربية الواحدة . ولكن عدم توفر هذه الخطوة التمهيدية لم يمنع كلا من معمر القذافي وعبد الناصر من ان يقررا التنسيق الكامل بين بلديهما في جميع المجالات .

واخفى هذا العام ايضا بين طياته « مشروع روجز » ، وهو المشروع الذي تضاربت حوله آراء الشعب المصري والشعب العربي بين مؤيد ومعارض . وافق عليه عبد الناصر كخطوة تكتيكية دون ان يتنازل عن هدفه الاستراتيجي ، بل واعتبره مفتاح الموقف من اجل تحقيق هدفه الاستراتيجي ، وهو العبور وازالة آثار العدوان . بينما نظر اليه البعض نظرة خاطئة ، فاعتبروا الخطوة التكتيكية هي الخطوة الاستراتيجية لتحقيق الامن والسلام . وهكذا ضاع الهدف الاستراتيجي ونحن نلهث خلف خطوات تكتيكية .

وعندما اقتربت نهاية ذلك العام هبت على الامة العربية رياح سوداء تنذر

بالشر والعدوان . رياح ايلول الاسود التي جاء قبلها لقاء عبد الناصر المشهور مع الملك حسين في قصر رأس التين في الاسكندرية يوم ٢١ اغسطس (آب) . ذلك المؤتمر الذي اظهر فيه الملك غضبه العارم على المنظمات الفلسطينية متوعدا ومنذرا . ولكن عبد الناصر فطن لما كان يهدف اليه الملك فحذره من التمادي في انفعاله ضد المنظمات الفلسطينية نتيجة لبعض التصرفات الخاطئة من افرادها . ولكن للاسف جاءت الرياح الاردنية بعد اقل من شهر من هذا اللقاء بغير ما يشتهي عبد الناصر ، وبغير ما وعد الملك .

اما ختام احداث ذلك العام فكان الحدث الاكبر ـ وفاة الزعيم عبد الناصر بعدما حاول جاهدا وعلى حساب اعصابه ونبضات قلبه ، ان يوقف النزيف الفلسطيني الذي بدأ يسيل على ضفاف نهر الاردن .

مات عبد الناصر يوم ٢٨ سبتمبر (ايلول) بعدما ودع امير الكويت ، آخر ضيف له في ذلك المؤتمر العربي ، مؤتمر ايلول الاسود الذي عقد في فندق الهيلتون في القاهرة لمدة سبعة ايام . فاجأته الازمة القلبية الساعة الثالثة والنصف وهو واقف امام سلم الطائرة الكويتية الخاصة التي جاءت تقل امير الكويت . كاد ان يسقط على الارض ولكنه حاول بكل ما بقي لديه من ارادة وتصميم ان يقف على رجليه ، الى ان اقفل باب طائرة الامير الضيف ، وبعدها لم يتمكن من السير على قدميه فطلب من سكرتيره المرافق احمد فؤاد عبد الحي ان يحضر سيارته حيث يقف ليصعد اليها متمالكا اعصابه معتزا بنفسه كعادته دائما . وبعد عشر دقائق وصل الى منزله في منشية البكري ، ودخل غرفته الخاصة فخلع ملابسه بصعوبة ونام على سريره بهدوء كامل ، ثم رحل بعيدا في غيبوبة الموت . لقد كان زعيما في حياته ، وكان الله كريما معه في مماته .

وقد تضاربت اشاعات كثيرة حول وفاة عبد الناصر : هل كانت وفاة طبيعية ، ام مات مسموما ، ام بشيء آخر ؟ ما اعرفه بحكم موقعي في تلك الايام ان عبد الناصر مات بأزمة قلبية ولم تكن للبشر يد في قضاء الله .

ولكن هناك اشاعة اخرى اكدها اكثر من مصدر ، مفادها ان عبد الناصر خلال غيبوبته من الثالثة والنصف الى السادسة والربع مساء صحا صحوة الموت لمدة ثوان وسأل عن خبر هام كان يريد سماعه من محطة القاهرة في الساعة

الخامسة بعد الظهر . اكد بعض الرواة ان مفاد هذا الخبر هو ان عبد الناصر كان قد اوصى ـ عندما ادركه الموت ـ بمن يخلفه رئيسا للجمهورية ، كما فعل من قبل عندما اعلن تنحيه عن الرئاسة يوم ٩ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ !

كل ذلك اصبح الآن قصصا وسوالف . والاهم منها ان الزعيم قد مات فضاعت الآمال معه ، وتفتتت القوى من بعده ، واهتزت الهيبة العربية لغيابه . ولا شك ان عجلة التاريخ ستدور مرات ومرات الى ان يقوم بيننا مرة اخرى زعيم وطني يجسد آمال شعبه ويضحي بأعز ما يملك من اجل تحقيق تلك الآمال على الطريق الذي اخترناه ، طريق الحرية والنضال ، طريق الاشتراكية والوحدة .

عبد المجيد فريد

١ ـ الاجتماع الثلاثي : عبد الناصر ، معمر القذافي ، جعفر النميري ، ١٢/٢/١٩٧٠

كان لقاء عبد الناصر مع معمر القذافي وجعفر النميري في قاعة الاجتماعات في قصر القبة الساعة ١٢ ظهرا يوم الخميس ١٢ فبراير (شباط) ١٩٧٠ . وكان مع كل منهم وفد كبير من الوزراء والاخصائيين يتناسب مع حجم المواضيع التي ستطرح على هذا اللقاء الذي يضم ثورة يوليو وثورة الفاتح وثورة ٢٥ مايو .

كان السرور واضحا على وجه عبد الناصر وهو يعانق زعيمي الثورتين في الصالون قبل ان يدخل الى قاعة الاجتماعات . كان يرى في القذافي ـ كما قال في اجتماع مصري خاص ـ انه القيادة المخلصة التي لا يحوم الشك حولها ، نقي طاهر لم تلوثه بعد ألاعيب السياسة الداخلية او الخارجية ، طموح في آماله العربية ومستعد للتضحية من اجلها ، ولكن تنقصه التجربة . كان من رأيه ايضا ان نصائحه لمعمر لن تجدي كثيرا . اذ ان الممارسة العملية فقط ، بما فيها من صواب وخطأ ، هي الاسلوب الوحيد الذي سيصقله ويجعل منه زعيما عربيا . رغم ذلك لم يبخل عليه في الرد بالتفصيل على اي سؤال يطرحه عليه ، شارحا له باخلاص كافة جوانبه . في الوقت نفسه كان معمر القذافي ينظر الى عبد الناصر آنذاك نظرة الطالب الى استاذه ، نظرة البدوي لزعيم قبيلته . كان مستعدا لان ينفذ فورا كل ما يشير به عبد الناصر . لم يتردد في التجاوب معه الا مرة واحدة عندما اشار اليه بأهمية تحسين علاقته مع الاتحاد السوفياتي ومقابلة احد قادته على اساس انه الدولة العظمى التي

تقف بجوار العرب وتمدهم بالسلاح والطائرات . فرد معمر معترضا على عبد الناصر لاول مرة : « اطلب مني يا ريس اي حاجة اخرى الا هذا الطلب ، لانني ارى في عقيدتهم ما يتنافى مع الاسلام وكتاب الله . يا ريس دول ناس ملحدين » !

اما رأي عبد الناصر في النميري فيتلخص في انه كان يرى فيه في ذلك الوقت القيادة القادرة على التعامل مع الطوائف السودانية المختلفة ، ولكن في الوقت نفسه كان لديه شعور بأن هناك عقدا ورواسب تدور حول شخصية النميري من بقايا الاحداث والازمات التي جرت في السنوات الماضية بين مصر والسودان . ولهذا لا بد من مضي بعض الوقت حتى تحل هذه العقد نفسها دون افتعال او اكراه . حينئذ سيسهل التفاهم مع النميري او غيره من قيادات السودان .

اعود لسرد ما دار في قاعة الاجتماعات .

(بدأ الحديث محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة الذي التقى مع وزيري خارجية السودان وليبيا في لقاء تمهيدي قبل لقاء الرؤساء ، واقترحوا فيه تشكيل لجان مشتركة من السياسيين والاخصائيين من الدول الثلاث في المجالات المختلفة مثل الزراعة والتربية والتعليم والصناعة . اعترض الرئيس النميري على هذا الاقتراح موضحا ان اسلوب اللجان بطيء ولا يصلح لبعض المجالات ، مثل المجال العسكري ، ولهذا اقترح ان تعرض جميع الموضوعات التي تخص المعركة على لجنة عسكرية عليا تتكون من وزراء الدفاع ورؤساء الاركان ، ثم دار الحوار كما يلي :)

● القذافي : انا موافق على هذا الاقتراح بشرط ان تعتبر قرارات هذه اللجنة العسكرية العليا نافذة في خلال اسبوعين من صدورها ما لم تعترض اي دولة قبل هذا الوقت .

● النميري : موضوع آخر احب ان اتعرض اليه ، وهو تلاحم الهيئات والتنظيمات الشعبية وضرورة تعبئتها لتخوض المعركة مع القوى العسكرية ، كذلك موضوع التنسيق المشترك في مجال الاعلام .

(الناشر : وافق كل من عبد الناصر ومعمر القذافي على اقتراح النميري ، واضاف القذافي انه يمكن البدء بشيء عملي في مجال الاعلام بأن تحدد ساعات

معينة يتم فيها البث المشترك من الاذاعات الثلاث من القاهرة وطرابلس والخرطوم) .

• • القذافي : اما عن موضوع التعبئة الجماهيرية فأعتقد انه اصبح من الضروري اقامة تنظيم سياسي واحد في مصر وليبيا والسودان لكي يتصدى للاتجاهات الفكرية المختلفة هنا وهناك . وبذلك نبدأ فعلا طريق الوحدة . واني اقترح ان يكون الاتحاد الاشتراكي هو التنظيم السياسي الواحد المطلوب .

• • النميري : انا شخصيا اوافق من حيث المبدأ على اقامة التنظيم السياسي الواحد ، ولكن قد نختلف في تسميته من قطر لآخر .

• عبد الناصر : اعتقد ، قبل ان نقرر مثل هذا التنظيم الواحد ، علينا ان نحدد هدفنا من اقامته ، لانه في حالة ما يكون هدفنا هو الوحدة ستكون معالجتنا لهذا الموضوع لها شكل معين . اما اذا كان هدفنا هو اقامة نوع من التحالف او التعاون او شكل من اشكال الكومنولث فسيختلف شكل المعالجة حينئذ حسب نوع العلاقة المطلوبة . وفي رأيي ان ازمة الوحدة العربية ستبقى دائما حول النزاع والصراع على السلطة ، كما في رأيي ايضا الا تقام وحدة عربية الا بعد وحدة التنظيمات السياسية ، اي بعد اقامة الحركة العربية الواحدة . وقد سبقنا على هذا الطريق العديد من الامثلة ، فنرى الاتحاد السوفياتي يتكون من عدة جمهوريات وحكومات ، ولكن له حركة سياسية واحدة هي الحزب الشيوعي .

ثم هناك سؤال آخر حول تشكيل التنظيم السياسي : هل يبدأ تكوينه من القاعدة ام من القمة ؟ من الوجهة العملية ، فان جميع التنظيمات السياسية يكاد يكون تكوينها قد بدأ من القمة . بدأ الحزب الشيوعي بآلاف قليلة في القمة ثم تدرج الى القاعدة العريضة بأعداد كبيرة . وفي تكويننا التنظيم السياسي يجب ان نفرق ايضا بين اسلوب التنظيم النبيه واسلوب التنظيم الغبي . التنظيم النبيه هو الذي لا يسمح للانتهازيين بالانضمام لعضويته ، اما التنظيم الغبي فهو الذي يسمح بانضمام الجميع لعضويته . ورغم ذلك فقد تضطر الظروف في بعض الاحيان لاتباع اسلوب التنظيم الغبي . فمثلا في مصر اضطررنا في وقت ما ان نسلك هذا الطريق ونقبل في تنظيمنا حتى الافراد الذين كانوا منضمين الى تنظيمات اخرى .

• • النميري : اعتقد اننا في الوقت الحالي ما زلنا نتحرك في مرحلة تكوين القناعة

لدى الشعب العربي في كل من مصر وليبيا والسودان بأهمية المصالح المشتركة في ما بينهم ، ولم نتعد بعد هذه المرحلة .

● ● القذافي : انا مع الرئيس عبد الناصر بأنه يجب ان نقرر الآن ما هو هدفنا . هل المطلوب وحدة ، ام اتحاد ، ام كتلة ، ام شيء آخر ؟ واذا كان هدفنا فعلا هو الوحدة ، يصبح لزاما علينا ان نبدأ مباشرة بخطوة تشكيل التنظيم السياسي الواحد في الاقطار الثلاثة . وهنا اسأل الرئيس النميري : هل توافق السودان في هذه المرحلة على اقامة نظام الحزب الواحد ؟

● ● النميري : التنظيم السياسي الذي يصلح للسودان في الوقت الحاضر هو « الجبهة الواحدة » التي ستضم جميع القوميات ، بما في ذلك جنوب السودان ، وفي هذه الحالة ستكون الجبهة قوية وموحدة .

● ● الرائد عوض حمزة (من وفد ليبيا) : لا اوافق الرئيس النميري في ان شكل التنظيم على اساس « الجبهة » سيكون تنظيما سياسيا قويا .

● عبد الناصر : كذلك ارى ايضا ان الجبهة لا تذيب القوميات ، بالاضافة الى ان اي قومية داخل الجبهة تشعر في اي وقت ان الجبهة خطر عليها ستخرج منها وتنشق عليها مباشرة .

● ● الوزير فاروق ابو عيسى (من وفد السودان) : اعتقد انه من الانسب ان يتم التنظيم المقترح على مراحل ، خاصة ان هناك اختلافات اساسية بيننا في العديد من المجالات ، مثل المجال الاقتصادي او المجال الثقافي وغيرهما . المهم الآن هو ان تقوم كل ثورة في الاقطار الثلاثة بتدعيم ثورتها في تشكيل التنظيم السياسي الذي يلائم ظروفها المحلية ، على ان يتحول تدريجيا الى التنظيم السياسي الواحد .

● عبد الناصر : احب ان اكرر امام الزملاء مبدأ اساسيا عن الوحدة ، وهو ان الوحدة العربية ما لم تكن مقامة عن اقتناع جماهيري واسع فستصبح وحدة هزيلة خلقت لتحارب من اساسها . وعلى سبيل المثال ، فان بيننا وبين السودان منذ عهد محمد علي وعهد الملك فاروق حتى الآن العديد من المشاكل والعقد التي تحتاج لمعالجة وتصفية قبل ان نتحدث عن وحدة مصر والسودان . لهذا ارى ان لا نحاول ان نفتعل علاقة غير طبيعية ما لم نهيئ لها الطريق ، والا فاننا نساهم في تعقيد

الامور اكثر واكثر . وعلى هذا الاساس اقترح ان نتحرك الآن وفقا لما قرره وزراء الخارجية بتشكيل اللجان التحضيرية المطلوبة . ومن جانبي سأعين حسن صبري الخولي امينا سياسيا لمتابعة قرارات هذه اللجان .

(الناشر : وافق كل من معمر القذافي والنميري على هذه الخطوة ، على ان تدرس الخطوة التالية لها بعد اربعة شهور في الاجتماع الثلاثي المقبل الذي اقترح ان يكون في الخرطوم يوم ٢٥ مايو ـ ايار ـ يوم الاحتفال بثورة السودان) .

* * * *

٢ ـ الاجتماع الثنائي بين عبد الناصر والقذافي ، ١٩٧٠/٢/١٤

(كان واضحا للمشتركين في اللقاء الثلاثي ان الرئيس النميري غير مستعد لقبول اي نوع من اشكال الوحدة او الاتحاد بين الدول الثلاث ، ولذلك طلب معمر القذافي من عبد الناصر ان يلتقي معه بعد سفر الرئيس النميري مباشرة ليبحثا في قيام القيادة السياسية العليا للجمهورية العربية المتحدة وليبيا فورا ، على ان ينضم اليها النميري عندما يكون مستعدا لذلك .

عقد اللقاء الثنائي المطلوب يوم السبت ١٤ فبراير ـ شباط ـ في نفس القاعة في قصر القبة . وانتهز عبد الناصر فرصة هذا اللقاء ليعرض على معمر ورفاقه بأمانة واخلاص تجربة ثورة ٢٣ يوليو في ممارساتها العملية على مدى الثمانية عشر عاما التي عاشتها ، سواء في المجال الداخلي او الخارجي مع تصور شخصي لعبد الناصر عما يمكن تطبيقه من خطوات ثورية في اطار الظروف والمجتمع المحلي في ليبيا .

بدأ الحديث العقيد معمر مطمئنا عبد الناصر على الاستقرار الداخلي في ليبيا بعد نجاح الثورة ، موضحا ان الشعب في ليبيا بوجه عام اصبح متعلقا تماما بمجلس قيادة الثورة وان « القوميين العرب » الذين كانوا يعملون في ليبيا قبل الثورة يختلفون كثيرا عن امثالهم من القوميين العرب في البلاد العربية الاخرى ، لانهم كما قال ناس وحدويون وليسوا ذوي اتجاهات ماركسية او من الفئات التي كانت تعادي نظام عبد الناصر في ذلك الوقت . اما البعثيون الموجودون فهم تابعون للبعث السوري . ونظرا للتقارب المصري ـ السوري في الوقت الحاضر فليس هناك اي تخوف منهم ، وقد تكون العناصر الوحيدة الخطرة هي العناصر المتطرفة من الاخوان المسلمين) .

● ● القذافي : عامة ، اعلنا الوحدة الوطنية في ليبيا ، كما اعلنا « لا تحزب بعد اليوم » . ورغم ان هناك عناصر جيدة من الحزبيين السابقين ، الا انه اصبح لا مجال لتحركهم او نشاطهم الحزبي في بلادنا في الوقت الحاضر .

كذلك اود ان أؤكد لكم اننا لسنا « وسط » كما اشار الأخ النميري في حديثه معكم اول امس . كما اننا نعتبر ان اتخاذ خطوات وحدوية في الوقت الحاضر هو انسب الخطوات ، بل وفي انسب الاوقات .

● عبد الناصر : ابدأ اولا بموضوع حماية الثورة واستقرارها . علشان تفكروا بشكل عملي في حماية الثورة ، عليكم اولا ان تحددوا من هم اصدقاء الثورة ومن هم اعداء الثورة ؟ مع اعتبار اساسي ان الاعداء لا يمكن ان يصبحوا اصدقاء ، وان الاصدقاء احيانا ينحاز بعضهم للاعداء . عليكم ان تهتموا باصلاح الوضع الاقتصادي ، وتتجنبوا حدوث اي كساد اقتصادي في الاسواق مع اهمية توفر السيولة المالية بصفة دائمة . عن علاقتكم الخارجية ، ستحاول الدول الكبرى وخاصة التي لها مصالح سياسية او اقتصادية معكم ، ان تبذل جهدها للتقارب معكم وستحاول اميركا ان تعمل على احتوائكم لحماية مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية . اما عن الاتحاد السوفياتي فسيعمل على تأييدكم والوقوف معكم كما حدث بالنسبة لنا . وطبعا هذا الموقف منه ليس حبا لسواد عيوننا ، ولكن لاننا نعمل على تصفية الاستعمار الغربي في المنطقة .

سيسألكم الناس عن مفهوم الاشتراكية التي اعلنتموها ، ولهم حق في هذا التساؤل . من رأيي شخصيا ان الاشتراكية في ليبيا ، وفقا لوضعكم الاقتصادي والاجتماعي ، تعني تأميم البنوك وشركات التأمين فقط ، على ان تباشروا في تكوين قطاع عام جديد يتزايد حجمه سنة بعد اخرى ، وذلك لان اوضاعكم تختلف عن اوضاعنا . كما لا يوجد لديكم حجم وشكل الاقطاع الذي كان موجودا لدينا .

سيسألونكم ايضا عن الوحدة التي اعلنتموها . في رأيي ايضا ان توضحوا لهم ان الوحدة ستبنى اساسا لمصلحة الناس في ليبيا ولمصلحة الناس في مصر .

● ● القذافي : وما رأيكم بشأن التجارة الخارجية ، وسياسة الاستيراد والتصدير ؟

● عبد الناصر : في رأيي ضرورة التريث والتدرج البطيء في موضوع التجارة الخارجية .

● ● القذافي : وعن العلاقة مع الاتحاد السوفياتي ؟

● عبد الناصر : انا مش عارف انت متخوف منهم ليه ؟ في تجربتنا معهم لم يحاولوا ان يجندوا مصريين للحزب الشيوعي ، رغم انهم كانوا موجودين بأعداد كبيرة داخل القوات المسلحة وفي منطقة السد العالي بأسوان لسنوات عديدة . وقد سألني بريجنيف اثناء زيارتي الاخيرة لموسكو عن سبب الجفاء الذي تبدونه في علاقتكم معهم في الوقت الحاضر . شخصيا ، لم اتمكن من تفسير موقفكم . ولكني اعتقد ان الزمن والممارسة العملية سيوضحان لكم من هم الاصدقاء ومن هم الاعداء . وسيتوضح لكم من هم الذين يؤيدون العرب ومن هم الذين يمكن الاعتماد عليهم ؟

● ● القذافي : طيب ، وما رأيكم في العلاقة مع الصين ؟

● عبد الناصر : علاقتنا مع الصين جيدة ، كما ارسلوا لنا رسالة تأييد بعد المعركة . ولكن كلام فقط لم يتحول الى معونات او مواقف ايجابية ملموسة سواء اقتصاديا او عسكريا . كما ان الصين تصر ايضا على ان لا نصادق الاتحاد السوفياتي ! هل هذا معقول ؟ كلامي هذا ليس معناه ان تكون علاقتكم مع الصين سيئة ، بل يجب ان تحافظوا على ان تبقى العلاقة معها بوجه عام جيدة . نقطة اخرى في موضوع علاقاتكم الخارجية : عليكم ان تعلموا ان التعامل مع الدول الصغرى لا يعطينا دائما جميع احتياجاتنا ، ولهذا لا بد من التعامل من آن لآخر مع الدول الكبرى . وعلى سبيل المثال ، فان المعدات العسكرية الحديثة اما ان تستوردوها من اميركا او من الاتحاد السوفياتي ، او على الاقل بموافقة اي منهما .

● ● القذافي : انا في الحقيقة متخوف من التعامل مع الدول العظمى ، على اساس ان هذه الدول لها دائما مصلحة ما في تعاملها معنا .

● عبد الناصر : هذا امر طبيعي ، وعلاقاتكم مع الدول الكبرى امر لا بد منه ولكن حاولوا ان تكونوا مع اكثر من جانب ومع اكثر من دولة حتى تضمنوا التوازن الدولي ، وحتى يتسابق الجميع لاقامة علاقات جيدة معكم .

● ● القذافي : سؤال اخير عن المعركة . هل ستترك ميعادها دون تحديد ؟ والى متى ؟ وما تأثير ميعادها على عقد الميراج الذي وقعناه في ليبيا مع فرنسا ؟

● عبد الناصر : ميعاد المعركة متوقف تماما على توفر التعادل الجوي ، والا تصبح

المعركة بالنسبة لنا معركة انتحارية . اما عن عقد الميراج فلا بد من ان تحاولوا تعديل العقد ليكون توريد الطائرات العام ١٩٧١ بدلا من العام ١٩٧٣ لانه لا يمكننا تأجيل المعركة حتى ذلك العام . لا بد ان نبدأ المعركة ونعبر القناة العام ١٩٧٠ او على الاكثر خلال ١٩٧١/٧٠ .

●● القذافي : بمجرد عودتي سأجري اتصالات عاجلة مع فرنسا من اجل تعديل عقد الطائرات الميراج ليتم توريدها في المواعيد المطلوبة .

(الناشر : بعد ذلك وافق كل من عبد الناصر ومعمر القذافي على عقد اجتماع آخر في شهر مارس ـ آذار ـ في القاهرة او في العضم في ليبيا لبحث موضوعين اقتصاديين هما : اقتراح باصدار عملة موحدة بالاضافة الى العملة المحلية الموجودة في كل من مصر وليبيا ، والرسوم الجمركية للبلدين . وقد كلف الدكتور لبيب شقير عضو اللجنة التنفيذية العليا تقديم دراسة تفصيلية عن هذين الموضوعين) .

●● القذافي : موضوع آخر يا ريس : هل من الممكن اعارتنا كتيبة دبابات مصرية « ت ـ ٣٤ » بأطقمها من الكتائب المخصصة للتعاون مع المشاة دون ان يؤثر ذلك على الجبهة ؟

● عبد الناصر : اعتقد من الممكن ارسال الكتيبة المطلوبة لكم دون ان تتأثر الجبهة . وسأتفق على ذلك مع الفريق فوزي . نقطتان اخيرتان قبل ان ينتهي هذا الاجتماع : الاولى هي اني احب ان اؤكد لكم جميعا اننا في مصر مستعدون لتقديم اي عون لكم بما في ذلك المعونات العسكرية .. وعندكم فتحي الديب (الناشر : وزير دولة في رئاسة الجمهورية ارسله عبد الناصر الى العقيد معمر القذافي ليكون همزة الوصل في هذه المرحلة بين مصر وليبيا) . وتوجيهاتي له واضحة ومحددة بأن يلبي جميع الطلبات مهما كانت . ولكن لي ملاحظة واحدة في هذا الموضوع لاننا متعقدين شوية من واقع تجاربنا السابقة في تقديم المساعدات المصرية للدول الصديقة ، وهي اننا لن نرسل اي مساعدات او خبراء او افراد مصريين الا بناء على طلب منكم شخصيا . النقطة الثانية هي انه كلما اسرعتم في توضيح سياستكم للناس ، سواء في المجال السياسي او الاقتصادي ، فانكم بذلك تقللون اعداء

الثورة بل وتسحبون قطاعا كبيرا من الناس يحاول اعداء الثورة ان يضللوهم ويستغلوهم .

* * * *

وبعد هذه الكلمات المخلصة تعانق الرئيسان وانتهى الاجتماع على اساس لقاء قريب بين الثورتين .

ومنذ ذلك اللقاء الصريح في فبراير (شباط) ١٩٧٠ تتابعت اجتماعات معمر القذافي ومجلس الثورة مع عبد الناصر ، سواء على ارض مصر او على ارض ليبيا . كما عقدت عشرات الاجتماعات المشتركة بل المئات بين الوزراء وزملائهم في البلدين لتبادل الرأي في كافة المجالات . وقد حاول الوزراء والخبراء والعسكريون من الجمهورية العربية المتحدة تقديم كل ما اكتسبوه من خبرة وممارسة عملية في الثمانية عشر عاما الاخيرة لاخوانهم في ليبيا بكل امانة واخلاص . وخلال شهر يونيو (حزيران) قام معمر القذافي بجولة في بعض الدول العربية من اجل ان يدعو الى « قومية المعركة » ومن اجل تحديد المساهمة الايجابية المطلوبة للمعركة . وقد اتفق خلال جولته على عقد مؤتمر قمة عربي يوم ٢٠ يونيو (حزيران) في مدينة طرابلس يحضره رؤساء الاردن وسورية والعراق والسودان والجزائر بالاضافة الى رئيسي الجمهورية العربية المتحدة وليبيا .

وفعلا عقد المؤتمر من ٢٠ الى ٢٣ يونيو (حزيران) في طرابلس وحضره الملك حسين بن طلال ملك الاردن ، نور الدين الاتاسي رئيس الجمهورية السورية ، احمد حسن البكر رئيس الجمهورية العراقية ، الرئيس جمال عبد الناصر ، العقيد معمر القذافي ، قايد احمد مندوبا عن الرئيس بومدين رئيس مجلس الثورة الجزائرية والرائد مأمون عوض ابو زيد مندوبا عن الرئيس جعفر النميري رئيس مجلس قيادة الثورة السودانية .

اجتماع تمهيدي بين عبد الناصر والقذافي ، ١٩٧٠/٦/١٠

وقبل عقد ذلك المؤتمر بعشرة ايام ، وبمعنى اصح في نهاية جولة معمر القذافي في البلاد العربية ، حضر الى القاهرة يوم ١٠ يونيو (حزيران) ١٩٧٠ ومعه بشير هوادي وعمر المحيشي من اعضاء مجلس الثورة ، وصالح بويصير وزير الخارجية

ليجتمعوا مع عبد الناصر حول جدول اعمال المؤتمر المقبل وتوضيح وجهة نظرهم عن الموقف العربي بعد زياراتهم الاخيرة . تم اللقاء كالمعتاد في قاعة الاجتماعات في قصر القبة ودار الحوار التالي :

● عبد الناصر : ارحب بكم في ارضكم معبرا عن سرورنا للاجتماع معكم بعد الجولة الكبيرة في الوطن العربي ، ونحن هنا نؤيد الجهود التي يبذلها العقيد معمر من اجل التوصل للعمل العربي الموحد .

● ● القذافي : اشكركم على استقبالكم وسأحاول ان اعرض بعض الملاحظات عن زيارتي الاخيرة .

اولا ـ احسست من لقاءاتي التي تمت خلال المرحلة الاخيرة ان هناك بوجه عام ازمة ثقة بيننا ، ولو امكننا التغلب عليها واجتيازها فاننا سنصل الى ارض صلبة يمكننا فيها حل المشاكل التي تواجهنا والوقوف معكم في معركتكم المقبلة .

نقطة اخرى تخص المقاومة الفلسطينية ، وهي اني لاحظت ايضا عدم الرضى في كافة الدول العربية عن العمل الفدائي الفلسطيني ، ولكن في نفس الوقت لا ينكر احد نجاح بعض العمليات الفدائية ، وخاصة التي يتضح اثرها على اسرائيل من واقع ردود الفعل الاسرائيلية والعمليات الانتقامية بعدها . اما ان يقتصر اغلب العمل الفدائي على عمليات ضرب الهاون او الصواريخ من الحدود الاردنية او اللبنانية فأمر غير مقبول ، لان هذا الضرب يمكن القيام به بسهولة بواسطة مدافع وصواريخ الجيوش النظامية المتمركزة على الحدود . ورغم ملاحظاتنا فاننا نشعر بتفاؤل اكبر مما كنا قدرناه قبل جولتنا .

● عبد الناصر : المهم بالنسبة لنا وبالنسبة للمعركة هو قيام الجبهة الشرقية ، فهل تعتقد من خلال جولتك ان هناك فعلا جبهة شرقية ؟ وهل من الممكن ان تكون هذا الجبهة جبهة حقيقية في المعركة ؟ كان يتصور الفريق فوزي ، بصفته رجلا عسكريا ، ان قيام الجبهة الشرقية ممكن طالما وضعت الخطة المناسبة وحددت المراحل والتوقيتات . ولكني قلت له ان هذا الموضوع ليس موضوعا عسكريا فقط وانما هو في الاساس موضوع سياسي . ومن هنا اصطدمنا بمعارك كلامية اخرت قيام هذه الجبهة . فمثلا هل المعركة دفاعية ام هجومية ؟ وهل المعركة قومية ام

اقليمية ؟ انا شخصيا لا افهم الجدل حول معركة هجومية ومعركة دفاعية ولم نسترد بعد اراضينا التي احتلها العدو !

اما عن المعركة قومية ام اقليمية ، فلنسأل انفسنا جميعا في المؤتمر المقبل ماذا اعددنا للمعركة بعد عمليات ١٩٦٧ ؟ بالنسبة لنا ، جيشنا كان يتكون من ١٧٠ الف مقاتل فأصبح الآن يتكون من ٥٤٠ الف مقاتل ، اي اكثر من نصف مليون مقاتل مدربين تدريبا عاليا . وفي نفس الوقت هل تتصور ان احدا قد ساعدنا في تهيئة هذا العدد الكبير من القوات المسلحة ؟ الاجابة لا ! لهذا اضطررنا ان نرفع الضرائب في ميزانيتنا بمقدار ٤٠٠ مليون جنيه ، لان الدعم المالي الذي يصلنا بناء على قرارات مؤتمر الخرطوم ، سواء من عندكم او من السعودية او من الكويت ، يوجه اساسا لتعويض خسائرنا الاقتصادية نتيجة قفل قناة السويس واحتلال اليهود لمنابع البترول في سيناء . هدف اسرائيل الاساسي هو العمل على التفتيت السياسي للجبهة الشرقية حتى لا تصبح واقعا عسكريا يؤثر على المعركة المقبلة تأثيرا محددا . ومن هنا يصبح من اهم الموضوعات التي يجب ان يتعرض اليها المؤتمر المقبل في طرابلس هو العمل على عدم تحقيق هدف اسرائيل من حيث تفتيت الجبهة الشرقية .

ثم هناك كلام آخر نسمعه في هذه الايام عما يسمى « القيادات المهزومة عام ٦٧ » . ما معنى هذا الكلام ؟ وما معنى ترديده هنا وهناك ؟ الفريق فوزي قدم لي استقالته ، ولكني لم اقبلها وطلبت منه سحبها وتقديمها للرؤساء والملوك العرب في الاجتماع المقبل في طرابلس . واني اتصور ان المقصود بهذه الكلمات ليس الفريق فوزي ، وانما المقصود به انا شخصيا . اعتقد اننا لم ننس جميعا احد دروس الحرب العالمية الثانية . ان ستالين وزوكوف بقيا في موسكو رغم ان القوات الالمانية المهاجمة وصلت الى بضعة كيلومترات منها ، ثم ناضلا وقادا النصر الكبير ضد القوات الالمانية المعتدية . وكم من قيادات اخرى خلال معارك الحرب العالمية الثانية انسحبت في اول الحرب ، ثم هي نفسها التي قامت بقيادة معارك النصر الاخيرة . الفريق فوزي قائد عسكري ممتاز . اعرفه جيدا . خدم معي في فلسطين عام ٤٨ ، كما درست له في كلية الاركان حرب عندما كنت مدرسا فيها ، ورغم انه كان من القيادات العسكرية عام ٦٧ ، الا انه لم يسمح له بالممارسات الفعلية للقيادة

العسكرية في ذلك الوقت . وعند تكليفي له بالقيادة العامة بعد المشير قلت له منذ البداية انه سيتولى مسؤولية بناء واعداد القوات المسلحة للقتال ، ولكن قيادة العمليات العسكرية اثناء الحرب ستسند الى قائد عسكري آخر . (الناشر : كان في نية عبد الناصر بعد هزيمة ٦٧ مباشرة ان يتولى الفريق محمد فوزي عملية بناء واعداد القوات المسلحة واعادة كيانها وانضباطها ، وخاصة ان المعروف عنه قسوته العسكرية والتزامه التام بالنظم والتقاليد العسكرية ، وقدرته الفائقة على التنفيذ والمتابعة . اما قيادة العمليات الحربية فكان عبد الناصر سيسندها الى الفريق عبد المنعم رياض الذي كان معروفا ايضا بذكائه وكفاءته العسكرية في التخطيط وادارة العمليات الحربية . لهذا عين محمد فوزي قائدا عاما وعبد المنعم رياض رئيسا للاركان . ولم يكن هذا التخطيط من عبد الناصر سرا على كل منهما . اثير موضوع القائد العام للجيوش العربية في المؤتمر العربي الذي عقد في طرابلس يوم ٢٠ يونيو ـ حزيران ـ فكان نص القرار الرابع من قرارات المؤتمر كما يلي : « اتفق المؤتمر على تعيين الفريق اول محمد فوزي في منصب القائد العام وتعاونه هيئة اركان مشتركة تعين من الدول التي توقع على هذا الاتفاق ») .

العراق وايران

● ● القذافي : يا ريس .. انا ما زال عندي امل كبير في الدول العربية ولا بد ان نتجاوز موضوع ازمة الثقة الموجودة حاليا بأي طريقة كانت ، حتى ولو مارسنا بعض الضغوط هنا وهناك . كذلك لدي امل كبير في امكانية الحشد للمعركة من اجل النصر . هناك شروط وكلام آخر يقال حول هذا الموضوع ولكن اود ان اذكره لك في اجتماع آخر ضيق وليس في مثل الاجتماع الحالي المسجل . موضوع آخر احب ان اذكره وهو اني زرت الجبهة العراقية المواجهة للحدود الايرانية وقد شاهدت بنفسي القوات العراقية الكبيرة المحتشدة هناك لان ايران تحشد امامهم على هذه الحدود حوالى ثلاثة جيوش من خانقين حتى البصرة . ومن رأيي ان تبذل محاولات وضغوط على ايران لتخفيف حشدها على الحدود العراقية من اجل ان يتمكن العراق من المساهمة بقدر اكبر في المعركة العربية .

● ● محمود رياض : عن هذا الموضوع حاول الاتحاد السوفياتي بناء على طلبنا وبعد الاتصال مع اخواننا بالعراق ان يبذل جهدا بشأنه فأثاره بودغورني عند زيارته الاخيرة الى ايران . وقد ابدى الايرانيون استعدادهم للانسحاب من الحدود

بشرط ان تبدأ مفاوضاتهم مع العراق مباشرة ، ولكن العراقيين اشترطوا في نفس الوقت اعلان ايران عدم انهاء اتفاقية الحدود المشتركة بالخليج . كذلك اعلم ايضا ان الاردن يحاول ان يبذل جهدا في الوساطة بين ايران والعراق ، ولكن العراقيين رفضوا الوساطة على اساس ان مركزهم من الوجهة السياسية او العسكرية افضل من ايران بكثير .

● عبد الناصر : سبق ان دار حديث بين وزير خارجية ايران ووزير الخارجية بويصير في المؤتمر الاسلامي للسعي الى اعادة العلاقات بينهم وبيننا ، ولم يكن لدينا مانع من ذلك ، ولكني اشترطت موافقة اخواننا العراقيين فاعترضوا . لهذا اعترضت ولم اوافق على اعادة العلاقات بيننا وبين ايران . وعموما ، في رأيي انكم قادرون على القيام بدور هام بين ايران والعراق من اجل اخلاء اكبر قدر من القوات العراقية لتشترك في الجبهة الشرقية ، او على الاقل لتصبح الاحتياطي الاستراتيجي لهذه الجبهة . الاخ معمر ، ارجو ان لا تنظروا لما يدور في العالم العربي من تناقضات بأنه « خيانات » بقدر ما هي تناقضات قديمة ترسبت لعدة سنوات وتراكمت آثارها . واننا في الجمهورية العربية المتحدة نتمنى ان ينجح معمر القذافي في سعيه لصهر هذه التناقضات من اجل نجاحنا في المعركة الكبرى ان شاء الله .

وانتهى الاجتماع وقام عبد الناصر من مقعده وتوجه الى معمر القذافي ليمسك بيده ، ثم سارا معا الى خارج القاعة .

* * * *

جاء الحدث الثاني من احداث ١٩٧٠ في اعقاب شهر مايو (ايار) مبادأة امريكية سميت بمشروع روجز .

وقد انقسم العالم العربي بشأنها ما بين مؤيد ومعارض ، ولهذا سأخصص لها حلقة خاصة تنير الطريق على العديد من التساؤلات التي اثيرت بشأنها :

● لماذا وافق عبد الناصر على مبادأة امريكية ؟ وكيف قدمها للشعب المصري ...؟
● هل وافق السوفيات على المبادأة الامريكية ..؟ وهل استمروا في تدعيم عبد الناصر سياسيا وعسكريا كما كانوا من قبل ..؟
● هل رحبت اسرائيل بالمبادأة ام سحبت موافقتها الشكلية عليها ..؟

٢ ـ مشروع روجز وملابساته

● **السياق السياسي للمشروع** : الاسباب التكتيكية لقبول عبد الناصر مشروع روجز ـ بناء جدار الصواريخ على القناة وتوفير مظلة جوية فوق منطقة المعركة المقبلة ـ اثر جدار الصواريخ في نجاح العبور عام ١٩٧٣ ـ نصّ المشروع ـ تفسيرات اضافية للمشرف على رعاية المصالح الاميركية في مصر ـ طلبات سورية بشأن الانسحاب الكامل وحقوق شعب فلسطين ـ مشروع روجز والفلسطينيون ـ معارضة عربية وفلسطينية ـ موقف الملك حسين ـ حوار ساخن في المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي ـ تحريك الصواريخ الى ضفة القناة ـ موقف اسرائيل ـ رفض السماح لمراقبين دوليين بتفتيش جبهة القتال .

● **موقف الاتحاد السوفياتي** : زيارة عبد الناصر للاتحاد السوفياتي ـ محاولة ضمان الموافقة السوفيتية مع استمرار المساعدات العسكرية ـ اعتراض سوفيتي على المشروع في البداية ـ موافقة السوفييت على ٩٥ ٪ من الطلبيات العسكرية ـ المشاركة السوفيتية في الطلعات الجوية ودفاع الصواريخ ـ اجتماع عبد الناصر مع رئيس جمهورية المجر الشعبية : اتفاق على تحليل الموقف السياسي والعسكري .

عبد الناصر

● لنتجنب تأزم الموقف العربي لانه يضعفنا نحن بالذات .
● سنضاعف الجهد خلال وقف النار استعدادا للمستقبل .

كانت مبادأة روجز التي سلمت الى محمود رياض وزير خارجية ج . ع . م. يوم ٢٠ يونيو (حزيران) ١٩٧٠ بمثابة خطوة سياسية غريبة لم يواجهها عبد الناصر من قبل اذ كانت مثل هذه المقترحات السياسية منذ ١٩٦٧ حتى ذلك الوقت تقدم في الاجتماع الثنائي لممثلي امريكا والاتحاد السوفيتي بمقر الامم المتحدة ، ثم تعرض الاقترحات على عبد الناصر بواسطة الاتحاد السوفييتي ، اي ان تحرك مصر في الحلول السياسية لم يتم في يوم ما حتى ذلك الوقت من خلف ظهر السوفييت ، وبالتالي لم يكن هناك مجال للدس والوقيعة بينه وبينهم . وبالتالي

ايضا لم يكن هناك مجال لاثارة الشكوك لدى السوفييت ازاء حركة عبد الناصر . ولهذا لم يكن لديهم اي عذر لعدم التجاوب او حتى التأخير في تلبية طلباته الاقتصادية او العسكرية .

اما هذه المرة في يونيو (حزيران) ١٩٧٠ فقد اختلف الوضع فجأة ، وألقيت الكرة مباشرة الى عبد الناصر وعليه ان يتحرك ، وعليه ايضا ان يدقق في حساباته جيدا قبل ان يدفع بالكرة مرة اخرى ، وخاصة بالنسبة لحليفه الذي وقف معه لعدة سنوات حتى الآن ـ واقصد بذلك الاتحاد السوفييتي .

بدأ تحركه داخليا بتوزيع نص المبادأة الجديدة على زملائه اعضاء اللجنة التنفيذية العليا لدراستها تمهيدا لاجتماع رئيسي معهم ، ثم امر بتوزيعها على الوزراء لنفس الغرض ، كذلك حاول التعرف على رأي بعض القيادات السياسية العامة وبعض رجال الاعلام . وهنا برز لعبد الناصر تساؤل هام هو : ماذا سيكون رد فعل الاصدقاء السوفييت ازاء المبادأة الامريكية ؟! ولا سيما انها تعرض عليهم عن طريق جديد ، عن طريق عبد الناصر نفسه ! ! لهذا السبب بادر عبد الناصر بالسفر العاجل اليهم فغادر القاهرة يوم ٢٩ يونيو (حزيران) الى موسكو بعد اربعة ايام من استلامه نص المبادأة وتفسيراتها ، وذلك من اجل ان يتبادل مع حليفه وجهات النظر ، ومن اجل ان يتأكد بنفسه ايضا من قضية هامة تشغل باله كثيرا ، وهي مدى استعداد السوفييت لاستمرار دعمه وتسليحه في حال موافقته على المبادأة ؟ وفي نفس الوقت كان مقتنعا بأن امريكا هي حليفة مصير لاسرائيل ، وان اي خطوة تقدمت بها امريكا من قبل تجاه العرب ، وخاصة تجاه مصر ، كانت مشبوهة وليست حسنة النية .

بقي عبد الناصر في الاتحاد السوفييتي ثمانية عشر يوما من ٢٩ يونيو (حزيران) الى ١٧ يوليو (تموز) ، عاد بعدها الى القاهرة وقد تعرف بنفسه الى اهم العوامل التي قد تؤثر على اصدار قراره ، ملما بكافة جوانب الموضوع للرد على الاستفسارات التي ستنهال من اعضاء اللجنة التنفيذية العليا او الوزراء او اعضاء المؤتمر القومي الذين سيواجههم يوم ٢٣ يوليو (تموز) . وبمجرد وصوله عقد اجتماعين هامين قبل ان يعلن قراره : اولهما للجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي في اليوم التالي لوصوله ، اي يوم ١٨ يوليو (تموز) ، وثانيهما مع مجلس الوزراء يوم ١٩ يوليو (تموز) .

وقبل ان اتعرض بالتفصيل لاقوال عبد الناصر وحواره في هذه الاجتماعات وغيرها التي عقدت في هذه الفترة ، اود ان اوضح ان العامل الاساسي الذي كان مسيطرا على فكر عبد الناصر في هذه الفترة هو العامل العسكري ورغبته في تهيئة كافة الامكانيات والظروف المناسبة للقوات المسلحة التي جاهد طويلا من اجل اعادة بنائها واستكمال قدرتها القتالية لمدة ٣٦ شهرا ، منذ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ لكي تعبر القناة وتعيد ارض سيناء لمصر . لهذا نظر الى مشروع روجز على انه الفرصة التكتيكية السانحة لدفع حائط الصواريخ (ارض / جو) السوفييتية الجديدة الى شاطئ القناة الغربي تمهيدا لتنفيذ خطة العبور الى سيناء .

ولقد ادرك من خلال معارك حرب الاستنزاف التي كانت تتصاعد في ذلك الوقت يوما بعد يوم ، انه غير قادر على استكمال بناء قواعد الصواريخ (سام) تحت سيل الغارات الاسرائيلية العنيفة التي كانت تصب قنابلها ورشاشاتها نهارا وليلا على منطقة القناة بكثافة تعدت متوسط كثافة الغارات الجوية في الحرب الفيتنامية ، كما احدثت هذه الغارات الاسرائيلية خسائر بالغة في الافراد الفنيين والعمال والمهندسين القائمين على عمليات انشاء قواعد الصواريخ ، فبلغت اكثر من اربعة آلاف شهيد .

هذا بالاضافة الى ان الاطقم اللازمة للصواريخ كانت في حاجة الى ثلاثة شهور تقريبا لاستكمال تدريبها في مراكز التدريب الخاصة في مصر والاتحاد السوفييتي .

عامة ، اثارت هذه المبادأة الامريكية نقاشا ساخنا داخل مصر وخارجها ، وبدأ الحوار في كل مكان عن الحرب والسلام . وكان رأي عبد الناصر والقيادات السياسية التي كانت تؤيده انه لا حرج من التحرك السياسي لتشييد بناء السلام في المنطقة ، بشرط ان تتوفر لعملية البناء الدعامات الاساسية التي تتلخص في ما يلي :

اولا ــ دعامة التوازن الدولي بين الشرق والغرب .

ثانيا ــ دعامة المكانة العربية بمعنى استمرار ج . ع . م . في التأثير السياسي في العالم العربي والاعتراف بموقعها الطليعي في المنطقة .

ثالثا ــ دعامة القدرة العسكرية بحيث يدرك العدو انه في حال فشل اقامة

السلام العادل سيتعرض على الاقل لخسائر فادحة في معركة عسكرية ضارية ، وخاصة في الافراد ، وهذا ما لا تقبله العقيدة الاسرائيلية .

رابعا ـ دعامة الاحتفاظ بثمن الاعتراف باسرائيل كدولة في المنطقة لآخر لحظة ممكنة مقابل السلام العادل .

ورغم ان جميع هذه الدعامات كانت فعلا في حوزة عبد الناصر ، الا انه لم يكن متفائلا كثيرا من هذه الخطوة الامريكية لتجاربه السابقة مع الخطط الامريكية . ولذا لم يوافق على تلك المبادأة الا كخطوة تكتيكية لا كخطوة استراتيجية بهدف الحصول على التفوق الجوي فوق منطقة المعركة العسكرية المقبلة عن طريق نقل حائط الصواريخ المصرية ـ السوفييتية الى شاطئ القناة الغربي أثناء فترة ايقاف اطلاق النيران .

في نفس الوقت واجهت اسرائيل عاملا ضاغطا عليها عندما اعلنت غولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل يوم ٢٦ يوليو (تموز) : « اننا على استعداد لاحترام وقف اطلاق النار ، وندعو ج . ع . م . وباقي الدول العربية لايقاف نيرانها » . كان ذلك العامل الضاغط هو تساقط طائراتها الفانتوم المغيرة على منطقة القناة بعدد لم يسبق له مثيل بالصواريخ المصرية (حوالى ١٣ طائرة فانتوم وسكاي هوك) الى حد ان اطلقت الصحافة العالمية على ذلك الاسبوع : « اسبوع تساقط الفانتوم » ، كما خسرت القوة الجوية الاسرائيلية عددا من الطيارين والملاحين ذوي الدرجة العالية من التدريب والكفاءة الفنية ، وخاصة ان بعضهم سقطوا اسرى في ايدي القوات المصرية .

لقد سيطرت عملية بناء حائط الصواريخ ورفع كفاءته القتالية وتحريكه لمياه القناة على فكر وتصرفات عبد الناصر سيطرة كاملة ـ ذلك الحائط الذي بذل عبد الناصر من اجل اقامته كل ما يملك من جهد واصرار لتزويده بأحدث الصواريخ السوفييتية ، والذي بذل من اجله ايضا كل ما يملك من قدرات سياسية لاقناع السوفييت بارسال العدد المطلوب من الصواريخ وارسال اطقم سوفييتية تقاتل على ارض عربية لاول مرة في تاريخ الاتحاد السوفييتي .. ذلك

الحائط العنيد الذي مكن قواتنا المصرية الباسلة من عبور القناة وتدمير خط بارليف عام ١٩٧٣ تحت سيطرة جوية كانت سببا رئيسيا في النصر الكبير .

عبد المجيد فريد

* * * *

كيف وافق عبد الناصر على مبادأة امريكية ؟

قبل ان اجيب على هذا السؤال اود ان اوضع امام القارئ خمسة اقوال جاءت على لسان عبد الناصر في مجلس الوزراء في تلك الفترة ، وذلك من اجل ان نتعرف على الحقائق والعوامل التي احاطت بعبد الناصر قبل ان يعلن رسميا قرار ج . ع . م . من المشروع يوم ٢٣ يوليو (تموز) :

● الاول ، في مجلس الوزراء يوم ٢٥ يناير (كانون الثاني) عندما قال عبد الناصر : « علمت اخيرا عن حديث دار بين ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل واحد الصحفيين الغربيين المعتدلين القريبين منه ، يوضح لنا كثيرا موقف اسرائيل وموقف امريكا ونواياهما نحونا . سأله الصحفي عن سبب تركيز امريكا واسرائيل على شخصيا (عبد الناصر) فقال ابا ايبان « اننا نعمل بتركيز شديد لاسقاط عبد الناصر لاننا مقتنعون انه بعد سقوطه سيهدأ الموقف في مصر وسيتغير لصالحنا ، وذلك كما هدأت الامور من قبل في اندونيسيا بعد سقوط سوكارنو ، وكما هدأت الامور ايضا في غانا بعد سقوط نكروما . ان بعض الجهات الامريكية (الناشر : اعتقد في الغالب يقصد ادارة المخابرات المركزية) تعاتبنا على موقفنا السلبي في الوقت الحاضر وتقاعسنا عن العمل الايجابي في مصر . وقد طلبوا منا اخيرا ان نركز جهودنا في الفترة المقبلة على ما يؤدي الى اسقاط عبد الناصر شخصيا » .

● الثاني ، في مجلس الوزراء يوم ٨ مارس (آذار) عندما قال عبد الناصر : « عايزين نطور تعاملنا مع السوفييت بحيث يصبح ارتباطها معنا مثل ارتباط امريكا مع اسرائيل ، وهذا يتطلب منا التقدم بخطوة في هذا الموضوع . الواضح ان امريكا تحاول طرد روسيا من البحر الابيض بأي ثمن ، ولهذا السبب فإن الاتحاد السوفييتي مضطر لان يقف معنا وبجانبنا . ان ارتباط روسيا معنا سيمكننا من وضع استراتيجية جديدة لنا » .

● والثالث ، في مجلس الوزراء ايضا يوم ١١ ابريل (نيسان) عندما قال عبد الناصر : « اننا وافقنا اخيرا على مقابلة سيسكو (مساعد وزير خارجية امريكا) وتبادلنا الحوار حتى نثبت للجميع اننا نتحدث مع الشرق ونتحدث مع الغرب .

« طلب مني سيسكو ان يكون الحوار بشأن القضية معهم رأسا وليس عن طريق الاتحاد السوفييتي كما يتم حاليا ، فقلت له ان سبب اختيارنا هذا الاسلوب هو اننا لا نثق فيكم نتيجة مواقفكم المنحازة دائما مع اسرائيل ، كما انكم تطلبون منا تنازلات ، بينما يكفي اننا في مصر تنازلنا اصلا عندما وافقنا على قرار مجلس الامن ٢٤٢ » .

● الرابع ، في مجلس الوزراء يوم ١٩ يوليو (تموز) اي بعد عودة عبد الناصر من رحلته في موسكو ، والاتفاق مع القيادة السوفييتية على قبوله مشروع روجز .

قال عبد الناصر : « انا سبق قلت للامريكان اننا لا نريد الحوار المباشر معكم ، لانكم دولة كبيرة ولا نقدر عليكم ، وانما اللي يقدر عليكم هو الاتحاد السوفييتي . بالاضافة لذلك فانكم ستستخدمون كلمات الحديث المباشر معكم للوقيعة والدس بيننا وبين السوفييت ، بينما هم اللي واقفين معنا سياسيا واقتصاديا ، وهم اللي بيقدموا لنا جميع الاسلحة والطائرات التي نطلبها .

« ان استراتيجيتنا تعتمد اساسا على الاتحاد السوفييتي ، لذلك لا بد ان نستمر في التفاهم معهم ، واستمرار العلاقات معهم امر اساسي . اما اننا نقول نعتمد على انفسنا .. وعلى الاعتماد الذاتي فقط امام العلم الامريكي ، فهذا يبقى مجرد كلمات فقط تنفع كتب المحفوظات في وزارة التربية والتعليم » .

● الخامس ، في نفس الجلسة ، أي يوم ١٩ يوليو (تموز) ايضا ، قال عبد الناصر : « تحركنا الاخير وقبولنا لمشروع روجز له مزايا وعيوب . وهناك مصريون سيعارضون المشروع ، وآخرون سيؤيدونه مرددين ما قلنا من زمان ان الامريكان هم اللي يحلوا القضية » ! ! » .

نص المشروع

والآن انتقل لنص المشروع الذي قدمه ويليام روجز وزير خارجية امريكا ، والذي سلم الى محمود رياض وزير الخارجية على هيئة رسالة شفوية قدمها « دونالد

برجس » المشرف على رعاية المصالح الامريكية في القاهرة الى صلاح جوهر وكيل وزارة الخارجية في الساعة التاسعة والنصف من صباح يوم ٢٠ يونيو (حزيران) ١٩٧٠ .

« رسالة شفوية الى سعادة وزير الخارجية محمود رياض — ١٩ يونيو ١٩٧٠ .

عزيزي السيد وزير الخارجية :

لقد اطلعت بعناية على تصريح الرئيس عبد الناصر بتاريخ اول مايو وما ادليتم به من ملاحظات بعد ذلك للمستر برجس ، كما قدم لي المستر سيسكو تقريرا كاملا عن الاحاديث التي اجراها مع الرئيس عبد الناصر ومعكم ، وقد قمنا بالتفكير جديا في ما يمكن عمله بالنسبة للوضع في الشرق الاوسط .

انني اقر بأن الوضع قد بلغ نقطة خطيرة ، واعتقد ان من مصلحتنا المشتركة ان تحتفظ الولايات المتحدة وتنمي علاقات صداقة مع كل شعوب ودول المنطقة ، ونأمل في تبين ان ذلك يمكن تحقيقه ونحن على استعداد في القيام بدورنا . اننا ننظر للاطراف الاخرى المعنية ، وبصفة خاصة لحكومتكم التي يقع عليها دور بالغ الاهمية ، على امل ان تتحرك معنا لانتهاز هذه الفرصة ، فاذا ضاعت هذه الفرصة فاننا سنعاني جميعا من النتائج وسنشعر حقا بالاسف على ذلك . ومن خلال هذه الروح ، فانني اناشد حكومتكم ان تدرس بكل عناية الافكار التي سوف اعرضها في ما يلي :

اننا نهتم بالغ الاهتمام بالسلام الدائم ، ونود ان نساعد الاطراف المعنية للتوصل الى هذا السلام .

لقد قدمنا مقترحات جدية وعملية من اجل ذلك ، كما قدمنا النصح لكافة الاطراف بالحاجة الى قبول حل وسط ولضرورة خلق الجو الذي يصبح السلام فيه ممكنا ، ونقصد بهذه النقطة الاخيرة تقليل حدة التوتر من ناحية وتوضيح المواقف من ناحية اخرى حتى تتوفر للعرب وللاسرائيليين بعض الثقة من ان ما سيتم الانتهاء اليه سوف يحفظ لهم مصالحهم الاساسية .

وفي رأينا ان الوسيلة الاكثر فعالية للتوصل الى تسوية تكون بأن تبدأ الاطراف في العمل تحت اشراف السفير يارنغ للتوصل الى الخطوات التفصيلية اللازمة لتنفيذ قرار مجلس الامن ٢٤٢ .

قال وزير الخارجية الاسرائيلي ابا ايبان اخيرا ان اسرائيل على استعداد لتقديم تنازلات عندما تبدأ المحادثات ، وفي نفس الوقت فان المشاركة المصرية في مثل هذه المحادثات ستؤدي بدرجة كبيرة الى التغلب على التشكك الاسرائيلي في ان حكومتكم تسعى بالفعل للتوصل الى سلام معها .

انني ادرك المشاكل التي تواجهكم بالنسبة للمفاوضات المباشرة ، وقد اوضحنا منذ البداية اننا لا نقترح وضع مثل هذه الترتيبات موضع التنفيذ منذ البداية ، وان كنا نعتقد ــ ويتوقف ذلك على التقدم الذي يحرز في المناقشات ــ ان الاطراف سيجدون انه من الضروري ان يتقابلوا في مرحلة ما اذا كان السلام سيسود بينهم .

ومع مراعاة هذه الافكار ، فإن الولايات المتحدة تتقدم بالمقترحات التالية لتقوم الجمهورية العربية المتحدة بدراستها :

أ ــ ان توافق كل من اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة على العودة الى وقف اطلاق النار ولو لفترة محدودة .

ب ــ ان توافق اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة (واسرائيل والاردن ايضا) على التصريح التالي على اساس ان يصدره السفير يارنغ في شكل تقرير الى السكرتير العام يوثانت :

« ابلغتني الجمهورية العربية المتحدة (والاردن) واسرائيل انها توافق على :

أ ــ انه بعد ان قبلت وابدت رغبتها في تنفيذ (carry out) قرار ٢٤٢ بكل اجزائه فانها سوف تعين ممثلين لها في المناقشات التي تعقد تحت اشرافي طبقا للاجراءات والمكان والزمان الذي قد اوصى به ، مع الاخذ في الاعتبار ــ كلما كان ذلك مناسبا ــ ما يفضله الأطراف بالنسبة لاسلوب الاجراءات وبالنسبة للتجارب السابقة بينهم .

ب ــ ان الهدف من المناقشات المشار اليها اعلاه هو التوصل الى اتفاق حول اقامة السلام العادل والدائم بينهم مستندا الى :

١ ــ الاقرار المتبادل من الجمهورية العربية المتحدة (والاردن) واسرائيل للسيادة وسلامة اراضي والاستقلال السياسي للطرف الآخر .

٢ ـ الانسحاب الاسرائيلي من اراضي (From territories) احتلت خلال نزاع عام ١٩٦٧ وذلك طبقا لقرار ٢٤٢ .

ج ـ وانه لتسهيل مهمتي للعمل من اجل التوصل الى اتفاق كما تضمن قرار ٢٤٢ ، فان الاطراف ستحترم بكل دقة ابتداء من اول يوليو حتى اول اكتوبر على الاقل قرارات مجلس الامن الخاصة بوقف اطلاق النار » . (انتهى النص) .

اننا نأمل ان يلقى هذا الاقتراح قبولا من الجمهورية العربية المتحدة ، كما نأمل في الحصول على موافقة اسرائيل ، والى حين ذلك فانني واثق انكم تشاركونني الرأي لبذل كل الجهود من اجل الاحتفاظ بسرية هذه المقترحات حتى لا تؤثر على احتمالات قبولها .

وانني اوجه رسالة مماثلة الى الوزير الرفاعي ، وآمل ان اتلقى ردكم في اقرب فرصة .

مع اطيب التمنيات المخلص ويليام ب . روجرز » .

تفسيرات النصوص

واضاف برجس في لقائه مع صلاح جوهر وكيل وزارة الخارجية المصرية بعض التفسيرات الهامة لنصوص المشروع اهمها :

● اولا : ان ايقاف اطلاق النيران يشمل الارض والجو ، بحيث تمتنع كل من ج.ع.م. والاتحاد السوفييتي عن تغيير الوضع العسكري القائم في منطقة غرب قناة السويس ، بمعنى ان لا توضع فيها صواريخ من الارض للجو ، او اي منشآت عسكرية جديدة (يقصد بذلك عدم السماح للصواريخ المصرية بأن تتحرك شرقا حتى مياه قناة السويس ! !) ، على ان تلتزم اسرائيل التزاما مماثلا في منطقة مماثلة شرق القناة .

● ثانيا : ان تضع ج.ع.م. في اعتبارها ان امريكا تطلب بناء على هذا المشروع من اسرائيل تنازلات سياسية هامة وخاصة في ما يتعلق :

ـ بموافقتها على الدخول في مفاوضات غير مباشرة .

ـ وموافقتها على مبدأ الانسحاب قبل المفاوضات ، ادراكا من امريكا بأن لا انسحاب بدون سلام ولا سلام بدون انسحاب .

● ثالثا : بالنسبة لطلب اسرائيل على المزيد من الطائرات الامريكية فقد قررت الولايات المتحدة الامريكية ان لا تتخطى الحد الذي تعهدت به في العقود المبرمة اصلا مع اسرائيل فقط وذلك خلال الفترة التي تبحث فيها مبادأة السلام الامريكية (اي لا تتعدى تسليم الخمسين طائرة فانتوم المتعاقد عليها عام ٦٨ ، والمائة طائرة سكاي هوك المتعاقد عليها عام ١٩٦٩) .

ولكنه اضاف في حديثه عن هذه النقطة تحذيرا من امريكا في حال رفض مصر للمبادأة او عدم احترام وقف اطلاق النيران ، بأن حكومته قد اعدت في نفس الوقت ترتيبات احتياطية تسمح بتعويض اسرائيل مستقبلا عما تفقده من طائرات لـو تطلب الموقف ذلك ، ثم اضاف ايضا انه يرجو انه يرجو ان تبقى هذه النقطة غير معلنة لان مريكا لا ترغب في الوقت الحاضر مناقشة موضوع مساعداتها العسكرية لاسرائيل بشكل علني .

● رابعا : ان حكومته تتقدم بهذه المبادأة مباشرة الى ج.ع.م. رغبة منها في تلافي اي سوء فهم اذا ما تم نقلها عن طريق طرف آخر !! (يقصد بذلك الاتحاد السوفيتي على اساس ان المباحثات والمقترحات كانت تنقل عن طريقه قبل ذلك) .

موضوع الفلسطينيين

اما عن رأي الامريكان بشأن موضوع الفلسطينيين في اطار المبادأة المقترحة فقد اوضحه مستر برجس في حديث آخر مع وكيل وزارة خارجية ج.ع.م. يوم ٢٥ يونيو (حزيران) ، ولم يرفق لحديثه عن هذا الموضوع ترجمة عربية وذلك حفاظا على دقة الالفاظ المقدمة :

(U.S.A. recognizes that the Palestinians are an interested party whose concerns must be taken into account in any settlement. Resolution 242 provides for a just solution for the problem of Palestine refugees. And their legitimate interests are protected by the language in our proposals according to which these parties would undertake to carry out resolution 242 in all "its parts").

وختاما لاقوال عبد الناصر عن مبادأة روجز ، اذكر ما قاله في اجتماع اللجنة التنفيذية العليا يوم ١٨ يوليو (تموز) :

● عبد الناصر : « في رأيي ان المبادأة لو عرضت على المصريين يوم ٢٣ يوليو عرضا دقيقا ، انا متأكد ان المصريين نبهاء وحيفهموا بسرعة ان موافقتنا عليها بتزنق الامريكان اكثر وتضعهم في الركـــن (corner) (النـاشر : قالها عبد الناصر بالانجليزية) . هذا بالاضافة الى انه في خلال الشهور الثلاثة للمبادأة سيرد لنا من الاتحاد السوفييتي ضعف ما لدينا من صواريخ سام ٣ (ارض / جو) مع اطقم مصرية تم تدريبها عندهم ، بالاضافة للاطقم السوفييتية الموجودة التي ستوزع في العمق لتدعم دفاعنا الجوي . وهكذا بعد مضي الشهور الثلاثة ستكون صواريخنا وصلت لشاطئ القناة ، ويكون موقفنا العسكري قد تحسن كثيرا » .

اعلان المبادأة

في يوم ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٧٠ اعلن عبد الناصر المبادأة الامريكية امام المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي العربي ، ثم دار حوار ساخن بينه وبين اعضاء المؤتمر الذين عاشوا ثلاث سنوات مع اخوانهم وابنائهم في القرى والمدن يستعدون للمعركة ويستمعون ليل نهار لدقات طبولها !! لذلك لم يكن من اليسير سياسيا الحصول على موافقة اعضاء المؤتمر على هذه الخطوة .

وفي فجر يوم ٤ اغسطس (آب) اوقفت النيران وصمتت المدافع واختفت الطائرات ، ولكن لم تمض ايام قلائل الا وتعثر تنفيذ المبادأة ، اذ اكتشفت اسرائيل انها ارتكبت خطأ بالغا بالموافقة عليها وذلك لسببين :

● الاول ان المبادأة منعت عنها استلام دفعات جديدة من الطائرات الامريكية (الفانتوم والسكاي هوك) معرضة استراتيجيتها لموقف خطير وهو اهتزاز تفوقها العسكري على جيرانها العرب ، بينما استمر عبد الناصر في تدعيم قواته العسكرية ، وخاصة القوات الجوية ووحدات الدفاع الجوي .

● الثاني ان فترة ايقاف النيران التي نصت عليها المبادأة استغلها عبد الناصر لصالح جبهته العسكرية منذ الاسبوع الاول ، فقام سرا بتحريك حائط الصواريخ المصرية (ارض / جو) الى شاطئ القناة ، ولم تمنعه عشرات الاحتجاجات الامريكية او الاعتراضات الاسرائيلية من تنفيذ مراحل خطته التي بدأت تتجسم للقيادة العسكرية الاسرائيلية بأنها تهدف الى توفير السيطرة الجوية المحلية فوق الاراضي شرق وغرب القناة ، اي ارض المعركة المقبلة .

ولهذا قامت اسرائيل لمدة شهرين حتى يوم وفاته بحملة اعلامية مسعورة على المستوى الدولي من اجل تصوير عبد الناصر للعالم بأنه لم يوافق على المبادأة كرجل سلام ، وانما وافق عليها كرجل حرب وانتقام من اجل شن معركته المقبلة التي يستعد لها منذ فترة طويلة . وقد تكون كلمات عبد الناصر في مجلس الوزراء يوم ٧ سبتمبر (ايلول) ، اي بعد تنفيذ المبادأة بشهر ، افضل تعبير عن الموقف السياسي مع اسرائيل في تلك الفترة عندما قال :

● عبد الناصر : « توجه اسرائيل ضدنا حملة اعلامية عنيفة بعد موافقتها على المبادأة بأيام قليلة ، وهم يعلنون في كل مكان اننا لم نلتزم بما تم الاتفاق عليه بشأن عدم تغيير الاوضاع العسكرية اثناء فترة ايقاف النيران ، ويتهموننا من خلال حملتهم الاعلامية المسعورة بأننا نقلنا صواريخنا للامام ، وقمنا ببناء العديد من القواعد الصاروخية الجديدة . وقد رددنا عليهم وعلى الامريكان اننا اعدنا تنظيم قواتنا العسكرية في منطقة القناة في حدود الفترة التمهيدية التي سمحت بها المبادأة ، اما بناء القواعد فأخطرناهم انها تدخل تحت نفس التفسير (ترميم وصيانة المواقع) الذي سمحت به امريكا للقوات الاسرائيلية الموجودة شرق القناة . ولقد كلفت وزير الاعلام (محمد حسنين هيكل) المسؤول عن الاعلام الداخلي والخارجي ان يعد خطة كاملة للرد على حملتهم الاعلامية الموجهة ضدنا في الوقت الحاضر ، مع متابعة مستمرة لها .

واني اشك ان الهدف الحقيقي من الحملة الاعلامية الاسرائيلية المدعمة من امريكا هي تهيئة الجو الدولي للتجاوب مع طلب جديد لاسرائيل يتضمن السماح لمراقبين دوليين باجراء عمليات تفتيش لجبهة القتال للتأكد من تنفيذ شروط المبادأة . طبعا ، نحن لا نوافق تحت اي ظرف من الظروف على مثل هذا الاقتراح ، كما اني لا استبعد ايضا ضمن الاحتمالات المتوقعة ان اسرائيل تهدف الى ادانة ج.ع.م. بالقدر الذي يحق لها دوليا ان تقوم بعملية عسكرية جديدة ضدنا .

عامة ، لقد اصبحنا في وضع عسكري جيد ولا يمكن الآن لاسرائيل ان تهاجمنا او تعبر القناة ، كما اصبحنا مستعدين ايضا لعمليات الكوماندوس ضد مواقع الصواريخ . وقد وصلت الينا يوم ٧ اغسطس الصواريخ الجديدة (سام ٣) التي

كانت تتدرب عليها الاطقم المصرية في الاتحاد السوفييتي ، كما وصلت معهم ايضا المعدات الالكترونية الخاصة بالتشويش على رادارات الفانتوم . وفي نفس الوقت ، المعلومات التي تجمعت لدينا تؤكد ان اليهود تعبانين سياسيا وعسكريا ، وفي حديث اخير لابا ايبان داخل اسرائيل قال : « ان سلاح الطيران الاسرائيلي بدأ يتآكل ، ولهذا قبلنا وقف القتال » . »

* * * *

وهكذا ، اعتقد انني قد عرضت على القراء فيلما سريعا عن قصة مشروع روجز الذي نال من الشهرة في ذلك الوقت ما لم تنله مشروعات سياسية اخرى افضل منه بكثير . وانما لا شك ان سبب الشهرة التي نالها كـان نتيجة لرد فعل عبد الناصر غير المتوقع عربيا او عالميا ازاءه ، كذلك رد الفعل العربي المعاكس لخطوة عبد الناصر .

لقد خشيت اغلب الدول العربية التي هاجمت المبادأة وعارضت عبد الناصر في تلك الفترة ، ان تحول المبادأة دون استعادة الارض العربية المحتلة او ان تكون سببا مباشرا في عدم استرداد حقوق الشعب العربي في فلسطين ، ولا سيما انها مبادأة امريكية ، وعبد الناصر نفسه اقدر من غيره على معرفة سوء نوايا امريكا ضد العرب .

ولم تكن ردود الفعل العربية ضد المشروع بمفاجأة لعبد الناصر ، فقد كان مقدرا لها منذ ان وصلته المبادأة في شهر يونيو (حزيران) . ولكنه كان يضع في اعتباره ان هذه الشكوك العربية ستتبخر تماما عندما يتأكد العرب انه جاد فعلا في التحضير لمعركة التحرير العسكرية ، ولهذا قال عندما علت اصوات اسرائيل في حملتها الاعلامية المسعورة ضده بعد موافقتها على المبادأة بأيام :

- عبد الناصر : « وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم . صحيح ان حملة اليهود تزعجنا كثيرا على المستوى الدولي ، ولكني اعتبرها اكبر دليل لاخواننا العرب الذين ابدوا مخاوفهم وشكوكهم من قبولي المبادأة » .

اجتماع اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي ، ١٩٧٠/٧/١٨

وفي حوار له مع الدكتور لبيب شقير عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد

الاشتراكي العربي يوم ١٨ يوليو (تموز) عن ردود الفعل العربية المنتظرة ازاء المبادأة ، قال :

● عبد الناصر : « انا لا اعترض على المقاومة الفلسطينية ان تهاجم المبادأة لانه من حقها ، وانما اعتقد انه يوم تتولى المقاومة السلطة فعلا في الاردن او غيرها سيكون لها موقف آخر لانها النهـارده بتتكلم بدون مسؤولية وبدون حساب لاي عوامل اخرى . كما اعلم ان الامريكان ـ وربما ايضا الروس ـ يعتقدون انه من الافضل ان يتحمل الفلسطينيون المسؤولية حتى يجابهوا الامر الواقع ويتصرفوا على اساسه » .

(وفي نفس الاجتماع شرح عبد الناصر تقديراته عن حركة الملك حسين المتوقعة بشأن المبادأة فقال) :

● عبد الناصر : « ولن يوافق الملك حسين علنا على المبادأة ، ولكن سيبعث بموافقته الى الامريكان . وفي اليوم التالي تنشر وكالات الانباء العالمية نقلا عن مصادر امريكية موافقة الملك على المبادأة .

وعن ردود الفعل العربية المتوقعة ضد المبادأة ، فن رأيي انه يجب ان لا تدفع الامور بأي شكل باتجاه التأزم العربي ، لان التأزم العربي يضعفنا نحن بالذات ، ومن مصلحتنا امام العالم ان لا ندخل في معركة مع احد من العرب ، لانهم في هذه الحالة يتركون اسرائيل ويوجهون كل نشاطهم السياسي والاعلامي نحو قضية الاختلاف العربي وما يمكن ان يستفيدوا منه لمصالحهم » .

* * * *

موقف الاتحاد السوفييتي من المشروع

ماذا كان الموقف السوفييتي قبل مبادأة روجز الاميركية وبعدها ؟ ماذا قال السوفييت لعبد الناصر في موسكو عندما عرض مشروع روجز ؟ وما اثر المشروع على الصداقة المصرية ـ السوفييتية ؟

سبق ان اوضحت ان عبد الناصر ، بمجرد استلامه نصّ مشروع روجز رسميا والتفسيرات التي وردت بشأن بعض فقراته ، سافر فورا الى اصدقائه السوفييت يوم ٢٩ يونيو (حزيران) ١٩٧٠ ، وبقي هناك ثمانية عشر يوما لان استراتيجيته كانت مبنية اساسا على وقوف الاتحاد السوفييتي الى جانبه سياسيا وعسكريا .

كما انه كان غير مستعد في ذلك الوقت لاثارة الخلاف والشكوك بينه وبينهم ، خاصة ان اميركا ، عدوه التقليدي ، كان يقف له بالمرصاد .

عرض المشروع على القيادة السوفييتية ودار حوار بينهما في جلسات اربع امتد كل منها ساعات طويلة . واعترض السوفييت على مبدأ قبول مشروع اميركي وقالوا له كان الاجدى في هذه الحالة ان تقبلوا مشروع السلام السوفييتي الذي سبق ان قدمناه لكم .

وحرصا مني على التعبير الدقيق عن لحظات هذه الفترة التاريخية الحساسة ، ولا سيما بالنسبة لهذا الموضوع الاستراتيجي الهام وهو الصداقة المصرية ـ السوفيتية فسوف اعرض موقف عبد الناصر والسوفييت بعد تقديم مشروع روجز من خلال اجتماعين :

ـ الاول ، اجتماع عبد الناصر مع اعضاء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي بعد وصوله من موسكو يوم ١٨ يوليو (تموز) ١٩٧٠ ليوضحّ لهم موقف السوفييت من المشروع ، وكذلك موقفه منهم .

ـ الثاني ، اجتماع عبد الناصر مع احد زعماء حلف وارسو للكتلة الاشتراكية رئيس جمهورية المجر الشعبية ، بال لوزنسشي ، بعد قبول المشروع بأيام وذلك في ٢٩ اغسطس (آب) ١٩٧٠ في القاهرة .

عبد المجيد فريد

* * * *

اجتماع اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي ، ١٩٧٠/٧/١٨

(كان عبد الناصر حريصا جدا على الاجتماع مع زملائه اعضاء اللجنة التنفيذية العليا بعد هذه الغيبة الطويلة في موسكو من اجل ان يعرض عليهم نتائج زيارته ، وكذلك الموضوعات التي اثارها السوفيات معه في الحوار الطويل الذي جرى بينه وبينهم هناك .

وكان ميعاد الاجتماع السابعة والنصف مساء يوم ١٨ يوليو (تموز) ١٩٧٠ في قاعة الاجتماعات بقصر القبة ، وقد حرص جميع الاعضاء على الحضور قبل الجلسة بوقت طويل لتبادل الرأي في ما بينهم قبل الجلوس مع عبد الناصر في هذا

اللقاء الهام . حضر عبد الناصر بشوشا مرتاح النفس . وبعدما تبادل التحية معهم بدأ حديثه بالموضوع الاكثر حساسية لهم والمتلهفين لسماعه قلقا وشوقا ، وهو : موقف السوفييت من احتياجاتنا ، وخاصة من التسليح والمعدات العسكرية بعدما اعلموا بالمبادأة الامريكية ، فقال) :

● عبد الناصر : وافق السوفييت على ٩٥ ٪ من طلباتنا من الطائرات والصواريخ الجديدة وطائرات الهيليكوبتر وسيارات النقل ، على ان نسدد ثمن بعضها مثل سيارات النقل بالعملة الصعبة ، اما باقي الانواع فيسدد ثمنها كالمعتاد بالاسلوب المريح (الناشر : كان يطلب الروس تسديد الثمن بالعملة الصعبة للاصناف والمعدات التي كانت تنتج في مصانعهم للاستخدام المدني فقط مثل السيارات . اما الاسلحة والمعدات العسكرية مثل الدبابات والطائرات .. الخ فكان يسدد ثمنها وفقا للاتفاقية القديمة المريحة) . تمكنت ايضا من الحصول على موافقتهم الجزئية على ان يشترك الطيارون الروس مع طيارينا المصريين في الطلعات الجوية . كذلك بالنسبة للصواريخ ارض / جو وافقوا ايضا ـ قبل ما اسافر بيوم واحد فقط ـ على ان يتحرك بعضها مع مجموعات صواريخنا شرقا للقناة ، ولو انهم كانوا بالنسبة لهذا الموضوع غير مرتاحين كثيرا في الجلسة الاولى .

وافق الروس ايضا على ارسال معدات واجهزة الكترونية حديثة خاصة بالتشويش على رادارات اليهود الارضية او الموجودة في طائرات الفانتوم ، وستحضر في خلال ايام قليلة مجموعة من العلماء السوفييت لدراسة الجوانب العلمية الناتجة عن استخدام الاجهزة الجديدة على الطبيعة . هذا الكلام يعني انهم وافقوا تقريبا على ٩٥ ٪ من طلباتنا ، واكثرها سيصلنا هذا العام ١٩٧٠ .

هكذا التعامل مع الروس ! لاني عارفهم يحبون ان يتحركوا ببطء ويقدمون المطلوب قطعة قطعة حتى يؤكلوها (بتشديد الكاف) للامريكان تدريجيا دون ان يشعروا ، ودون ان يتفجر الموقف . هذا بالنسبة للناحية العسكرية . اما بالنسبة للناحية السياسية فأنا تحدثت معهم بكل صراحة ، وقلت لهم انه من الافضل سياسيا ان نوافق على المبادأة الامريكية الآن لانها في الحقيقة لا تتضمن شروطا جديدة ، كما اننا نتعرض في الوقت الحاضر وانتم معنا (الاتحاد السوفييتي) لضغط دولي كبير مبني على اننا ناس عايزين الحرب فقط واليهود عايزين الحل

السلمي . ولذلك عندما نوافق على المبادأة فكأننا نرد على كل هذه الحملة المخططة ، بالاضافة الى ان نص ايقاف القتال لمدة ثلاثة شهور فقط يعني الغاء قرار ايقاف القتال بتاع ١٩٦٧ الذي ينص على ايقاف النيران الى ما لا نهاية ، وبالتالي بعد ثلاثة شهور يصبح استئناف القتال عملية مشروعة .

كذلك فترة ايقاف اطلاق النار ستساعدنا على بناء المواقع الجديدة للصواريخ التي نحاول من شهر ديسمبر الماضي ١٩٦٩ ان نبنيها تحت وطأة الغارات الجوية المستمرة دون جدوى ، مما جعل صواريخنا في المنطقة الامامية موجودة حاليا في العراء وليست داخل دشم اسمنت تحميها من الغارات الجوية .

وللحقيقة ، اني عندما عرضت المشروع على الروس اعترضوا وقالوا : لماذا توافقون على مشروع امريكي ، بينما سبق ان قدمنا لكم مشروع سلام ولم توافقوا عليه ؟ ثم قالوا ان هذا معناه ان العالم كله سيقول ان امريكا هي التي تعمل من اجل السلام ، وبالتالي نعطي لامريكا بهذه الموافقة مكانة دولية كبيرة !

بعد هذا الكلام دار حوار طويل بيني وبينهم ، وانتهى بأني قلت لهم ان الامر الواقع في الوقت الحاضر هو اما ان نوافق او لا نوافق . ولا يوجد حل وسط . كما يجب ان لا يغفل عن بالنا انه اذا رفضنا المبادأة الآن نعطي الامريكان المبرر المناسب ليمدوا اسرائيل بأعداد جديدة من الطائرات والاسلحة الحديثة . واني اعتقد ان موضوع الموافقة او عدم الموافقة سيستوي في نهاية الامر من الناحية العملية ، وانما موافقتنا على المبادأة امام العالم ستضيق الخناق على امريكا وعلى اسرائيل ايضا . وبعد ساعات طويلة من المناقشة وافق الروس ، ولكن طلبوا مني ان لا اعلن موافقتي على مشروع امريكي وانما على مشروع للحل السلمي ! لم اوافق على هذا الرأي وشرحت لهم لماذا لا اوافق ؟ لأني سأقف يوم ٢٣ يوليو امام اعضاء المؤتمر القومي وامام الناس جميعا لاعلن الاسباب التي من اجلها نوافق على المبادأة الامريكية . هذا يستلزم مني شرحا وافيا للموضوع بالتفصيل حتى يمكن اقناعهم . كما تحدثت مع الروس عن الحملة الامريكية الموجهة ضدنا والتي تزداد يوما بعد يوم . نيكسون وبعده روجز وبعده كيسنجر وبعده سيسكو وبعده فولبرايت وبعده مانسفيلد وبعده كونغرسمان ثم التصريحات اليومية من اسرائيل بأنهم في خطر حقيقي من التسليح الروسي في مصر .. الخ ، كل ذلك يحتاج لتحرك سياسي عاجل من جانبنا لمواجهته .

طلب برجس ، المسؤول عن رعاية المصالح الامريكية في القاهرة ، مقابلتي ليلة سفري الى موسكو يوم ٢٨ لابلاغي رسالة وردت من واشنطن ، ولكنني لم اقابله فاجتمع مع محمود رياض وزير الخارجية وابلغه ان الوقت الآن مناسب جدا للبحث عن حل سلمي حقيقي ، وان امريكا هي الدولة الوحيدة التي يمكنها ان تمارس ضغطا على اسرائيل ، ويرجو منا ان نترك لهم حرية اختيار الاسلوب المناسب ، كما قال انه اذا ضاعت الفرصة هذه المرة فستكون هناك مضاعفات على علاقاتهم بالمنطقة كلها ، وكذلك على علاقاتهم مع الاتحاد السوفييتي . ثم اضاف ان خططهم لا تستبعد سورية ، اذ يكفي ان تعلن سورية قبولها لقرار مجلس الامن وعندئذ يمكن ادخالها في موضوع التسوية ، اما عن ما تثيره دائما بشأن حقوق الفلسطينيين فليس صعبا الوصول لمشروع ما يدخل الفلسطينيين في اجراءات الحل بأي شكل . واما عن موضوع الانسحاب من الاراضي المحتلة فان رأي الولايات المتحدة الامريكية في هذا الموضوع يستند اساسا الى مبدأ عدم اكتساب اراضٍ عن طريق الحرب ، كما نص بذلك قرار مجلس الامن ، ولهذا يبحثون مع اسرائيل عن صيغة مناسبة لتحقيق هذا المبدأ بشكل ما ، مع عدم استبعاد اسرائيل عن تسوية الاوضاع في غزة والقدس . وقد سبق ان اقترحوا بشأن القدس ان تظل غير مقسمة على ان يكون لكل من اسرائيل والاردن نصيب في ادارتها . اما بالنسبة للضفة الغربية فانهم يرون اجراء تعديلات طفيفة على حدودها .

وعلى ضوء كل هذه المعلومات ، انا شايف ان اقف امام الناس يوم ٢٣ يوليو احلل لهم وللعرب جميعا الموقف السياسي بالكامل ، موضحا لهم ان قرار مجلس الامن الذي وافقنا عليه العام ١٩٦٧ يطلب الامريكان النهارده تنفيذه . كما انهم يعلنون عدم موافقتهم على اغتصاب الاراضي عن طريق الحرب والعدوان . ان المبادأة لا تتضمن اقتراحات جديدة عن قرار مجلس الامن الذي ينص على اقامة سلام عادل ودائم ، ثم اشير في خطابي الى ان ميثاقنا ينص ايضا على اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط . ولهذا اقترح الموافقة على المبادأة مع عدم اغفال حقوق الشعب الفلسطيني بشرط ان يتضمن تطبيق المبادأة ما يلي :

اولا ـ انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها في الصراع الاخير .

ثانيا ـ انهاء كل دعاوى وحالات الحرب مع الاعتراف بسيادة كل دولة في المنطقة ووحدة اراضيها واستقلالها .

● ● الدكتور محمود فوزي : انا شايف ان المشروع مقدم في شكل دعاية وليس بشكل موضوعي . اما عن ايقاف اطلاق النار فلماذا نخاف من الموافقة عليه طالما سنستغله لصالحنا ؟

● عبد الناصر : موضوع ايقاف اطلاق النار عايز مراقبين ، وهذا يستدعي وجود مراقبين . ما فيش مانع ، ولكن بعد ان تكون صواريخنا تحركت للامام .

● ● محمود فوزي : في هذه الحالة سيكون دفاعنا الجوي وصل الى شاطئ القناة ، وبالتالي في اليوم الذي يتوفر لدينا العدد الكافي من الصواريخ والقدر الكافي من الافراد المدربين عليها ، يصبح عبور القناة امرا ممكنا .

● عبد الناصر : يصلنا خلال فترة المبادأة ، وبالذات خلال شهر اغسطس المقبل ، صواريخ « سام ٣ » الجديدة بمعداتها الكاملة ، ومعها ايضا الاطقم التي تم تدريبها في الاتحاد السوفييتي .

● ● محمود فوزي : اذن فمن الناحية العسكرية سنستفيد ونزيد من قدراتنا . نقطة اخرى اود ان ألفت النظر اليها وهي انه يجب ان لا يفهم من كلامنا الذي سنعلنه عن المبادأة اننا نوافق ونقول نعم ، وفي نفس الوقت نقول لا ! مثل هذا الاسلوب من الكلام يستغله هؤلاء الذين يرغبون في اننا نرفض المبادأة ، ولا سيما ان هناك شعورا دوليا ، وفي امريكا بوجه خاص ، ان عبد الناصر ضد المبادأة الامريكية .

● عبد الناصر : في الحقيقة انا شايف ان المشروع ألقي اصلا في المنطقة لكسب دعائي ، ولكننا سنفاجئهم ونوافق عليه ، وسأوضح للناس وخاصة للعرب لماذا نوافق عليه ؟ خاصة ان هناك دولا عربية حتقول عنه « حلول تصفوية وحلول استسلامية » . وفي رأيي ان كل هذا الكلام لن يوصلنا الى نتيجة ، وانما الذي سيرغمهم على حل ايجابي هو موضوع آخر ، وهو مدى اشتراك الروس مع قواتنا العسكرية في مصر . اي ان احتمال الوصول الى حل سلمي عادل يتناسب دائما مع قدرتنا على اقحام الروس بالجبهة المصرية . (الناشر : ثم قال بالانكليزية « على مدى «their Commitments») .

والآن اصبح الروس موجودين معنا ، واصبحت صواريخهم مع صواريخنا ، وطياروهم مع طيارينا . وطبعا الروس لا يقبلون عسكريا ان يهزموا . لهذا ارى ان

نجاحنا في اشراك الجنود السوفييت معنا يعتبر اكبر قدرا من اي عملية ردع عسكرية ، لان الامريكان يخشون جدا الوجود الروسي في المنطقة بهذا الشكل . ولهذا السبب فقط سيضطرون ان يفكروا جديا في ايجاد حل سلمي صحيح دون ان يقدموا لاسرائيل تنازلات او مكاسب رئيسية .

● ● عبد المحسن ابو النور : هناك فعلا مزايا دولية عديدة عند الموافقة على المبادأة ، ولكني اعتقد انه ستواجهنا صعوبات كثيرة على المستوى العربي وعلى المستوى الداخلي .

● عبد الناصر : يجب ان لا ننسَ ان فترة الثلاثة شهور التي سيتوقف خلالها القتال ستساعدنا كثيرا على السيطرة العسكرية على منطقة القناة ، وذلك بفضل الاعداد الكبيرة من كتائب الصواريخ الجديدة مع استمرار بقاء وحدات الدفاع الجوي الروسية في عمق البلاد . ورغم انه كان مقررا ان تعود الوحدات الروسية الى بلادها في آخر هذا الشهر بمجرد وصول الاطقم المصرية التي تم تدريبها هناك ، الا انى طلبت منهم ابقاء الوحدات الروسية في مواقعها ، على ان تستلم الاطقم المصرية صواريخ اخرى اضافية لتتحرك بها سرا الى ضفة القناة .

وقد وافق الروس على طلبي ، وسيكون عندنا ضعف عدد الكتائب الصاروخية الموجودة ، وستظل الوحدات الروسية معنا لمدة ستة اشهر اخرى ، وحيث انه ليس من المتوقع الوصول الى حل خلال هذه السنة فسيمكننا ايضا تبديل موتورات الطائرات « الميغ » بموتورات اخرى جديدة .

وفي الوقت نفسه سنوضح للعالم اننا نريد السلام ، وان اسرائيل تريد التوسع . وسنقدم الدليل العملي على موقفنا بأن نقبل مبادأة السلام كما سبق ان قبلنا قرار مجلس الامن .

● ● سعد زايد (الناشر : سعد زايد ليس عضوا في اللجنة التنفيذية العليا ، ولكن عبد الناصر طلب من الاعضاء الموافقة على حضور كل من الوزير شعراوي جمعة والوزير سعد زايد هذا الاجتماع نظرا لقيامهما في ذلك الوقت بالاشراف العام على تنظيم وحركة الاتحاد الاشتراكي) : ماذا سيكون الموقف يا سيادة الرئيس لو ان اسرائيل ترفض المبادأة الامريكية ؟

● عبد الناصر : في هذه الحالة سيكون من السهل الضغط سياسيا على امريكا ،

واعتقد انه يمكن حينئذ تحريك الدول العربية المنتجة للبترول لممارسة هذا الضغط . واذكر جيدا تصريحا اخيرا لموشي دايان عندما قال : « انا مستعد ان اقوم بأي عمل عسكري ضد الدول العربية الا في حالتين فقط ، الاولى وجود وحدات روسية في مصر ، والثانية في حال ضغط امريكي حقيقي علينا » .

● ● علي صبري : اخشى يا سيادة الرئيس ان يتسلل للناس في مصر بعد الموافقة على المبادأة شعور داخلي بالتقاعس عن المعركة ، وهنا يبرز دور الاعلام ، ولا بد من مراجعة دقيقة لاسلوب النشر الداخلي وخاصة عن المبادأة .

● عبد الناصر : اولا سأوضح للناس انه ليس هناك حل جديد ، وليس هناك مبادرة سلام وانما المقدم الينا هو مشروع اجراءات ، كما سأوضح لهم انه اذا رفضناه سنواجه بمساعدات عسكرية ضخمة لاسرائيل . عامة ، موافقتنا على المبادأة ستكون مفاجأة اعلامية كبرى ، وسيظهر في جريدة « الاهرام » تحليل تفصيلي عن تحركنا السياسي موضحا ان المشروع المقدم ليس فيه جديد .

ومن رأيي ايضا بشأن النشر في الصحف انه ليس من المناسب نشر تفاصيل ما حصلنا عليه من الاتحاد السوفييتي ، ويكفي ان نوضح بوجه عام ان كل ما طلبناه قد حصلنا عليه ، علما بأن هناك احدى عشرة سفينة سوفييتية ستصلنا الشهر المقبل محملة بالجنود المصريين المدربين على الصواريخ الجديدة ومعهم كافة الصواريخ ومعداتها . وقد طلب الروس انزالهم من السفن اثناء الليل ، ولكني اعتقد انه من الانسب لنا ان يتم انزالهم اثناء النهار بحيث تراهم الناس .

● ● لبيب شقير (عضو اللجنة التنفيذية العليا) : ماذا سيكون الموقف بالنسبة للفلسطينيين ؟

● عبد الناصر : قبولنا لهذا المشروع لا يعني اطلاقا اية تنازلات عن الارض المحتلة او اي مساس بحقوق شعب فلسطين بحيث لا يكون هناك اي تراجع عن موقفنا ومبادئنا السابقة ، وكل ما هناك انه طالما توجد محاولة للسلام فنحن مسالمون .

* * * *

اجتماع عبد الناصر ورئيس مجلس الرئاسة لجمهورية المجر الشعبية ، ١٩٧٠/٨/٢٩

(وانتهى بذلك عرض عبد الناصر لاعضاء اللجنة التنفيذية العليا عن موضوع

المبادأة وعن موقف السوفييت منها . اما الاجتماع الثاني الذي اود ان اتعرض اليه الآن لمزيد من التوضيح لنفس الموضوع ، فهو اجتماع عبد الناصر مع احد زعماء الكتلة الشرقية بعدما وافق على المبادأة الامريكية .

لا شك ان قبول عبد الناصر المبادأة الامريكية ترك بعض الضباب والهواجس في جو العلاقات المصرية السوفييتية ، ورغم التصريحات العلنية من الطرفين ، ورغم سفر عبد الناصر الى موسكو وبقائه هناك لفترة طويلة امتدت الى اكثر من اسبوعين قبل ان يعلن الموافقة الرسمية على المبادأة ، فان المراقبين السياسيين القوا بكثير من الشكوك والهمسات عن بدء تدهور العلاقات بين عبد الناصر والسوفييت ، بل بين عبد الناصر والكتلة الشرقية كلها . لهذا جاءت زيارة الرفيق بال لوزنسشي احد زعماء الكتلة الشرقية وأحد اقطاب حلف وارسو للقاهرة يوم ٢٩ اغسطس ـ آب ـ ١٩٧٠ صفة كبرى لهؤلاء الشامتين والخبثاء الذين روجوا تلك الهواجس والاشاعات من القوى الامبريالية او العناصر المتحالفة معها ، خاصة ان اللقاء جاء في نفس الشهر الذي بدأ فيه تنفيذ المبادأة ، كما ان الضيف حضر ومعه وفد كبير من اعضاء الحزب الشيوعي المجري واعضاء الحكومة .

تمت الاجتماعات في قصر القبة يوم ٢٩ اغسطس ـ آب ـ ١٩٧٠ وكان الحوار بين الرئيسين حوار الاصدقاء) :

● عبد الناصر : ارحب بكم في بلدنا . وباسم شعب الجمهورية العربية المتحدة اعبر لكم عن تقديرنا العميق لوقوف المجر شعبا وحكومة معنا بعد عدوان ١٩٦٧ ، مع تقديرنا الكامل للحزب الشيوعي المجري الذي اعلن تضامنه وتأييده لنضالنا ولكافة حقوقنا .

● ● لوزنسشي : ان صداقتنا لكم ترسو على مبادئ مشتركة راسخة بيننا وبينكم ، وقد تمت هذه الصداقة وتوثقت العلاقات بيننا منذ عدوان ١٩٥٦ عندما هاجمت القوى الامبريالية بلدينا . اني وزملائي لن ننسى الاستقبال الشعبي لنا من جماهير القاهرة وسنحاول ان ننقل حرارته الى جماهيرنا وقياداتنا السياسية في المجر (الناشر : استقبل رئيس جمهورية المجر الشعبية والوفد الحزبي والوفد الحكومي المرافقان له عند وصولهم الى مطار القاهرة استقبالا شعبيا حافلا بالاضافة الى الاستقبال الرسمي تمشيا مع العرف الذي كان قائما في تلك الفترة لاستقبال رؤساء ووفود الدول العربية الصديقة والدول الاشتراكية ، استقبالا شعبيا) .

● عبد الناصر : اعتقد اننا نبدأ في عرض الموضوعات السياسية باستعراض قضية الشرق الاوسط وما وصلت اليه حتى الآن ، على اساس ان هذه القضية تؤثر تأثيرا مباشرا على اغلب القضايا السياسية الاخرى . بعد ذلك نستعرض الموقف في افريقيا ، ثم نتحدث عن العلاقات الثنائية بين البلدين في كافة المجالات ، ولو انني اراها تسير في مجراها الطبيعي ولا يوجد بيننا اي نوع من المتاعب او المشاكل .

(وافق الرئيس الضيف على جدول اعمال الاجتماع الذي اقترحه عبد الناصر وطلب منه ان يبدأ بموضوع قضية الشرق الاوسط) .

● عبد الناصر : عن قضية الشرق الاوسط ، او بمعنى اصح مشكلة العدوان الاسرائيلي على العرب ، لا يمكننا استبعاد امريكا عن هذا العدوان اذ انها هي التي امدت اسرائيل بالاسلحة والطائرات والقنابل ، وقدمت لها احدث المعدات قبل العدوان . وقد وفرت للقوات الاسرائيلية آخر ما وصلت اليه الابحاث العلمية من معدات الكترونية ، مثل معدات الاستكشاف الالكتروني ومعدات التشويش الالكتروني . ومن الطبيعي ان تستمر امريكا في تزويد اسرائيل بأحدث المعدات بعد العدوان ، بما في ذلك دفعة جديدة من تلك المعدات الالكترونية وصلت الى اسرائيل في الاشهر الاخيرة .

وتنادي اسرائيل دائما بالتوسع ولا تخفي مطامعها للحصول على المزيد من الارض العربية ، وحينما صدر قرار مجلس الامن بعد عدوان ١٩٦٧ رفضت اسرائيل تنفيذ القرار والانسحاب من الاراضي التي احتلتها ، واستمر ممثل السكرتير العام للامم المتحدة في المنطقة المستر يارنغ يجوب المنطقة هنا وهناك لمدة سنة ونصف دون جدوى .

وللتاريخ ، فقد تمكنا بمعاونة الاتحاد السوفييتي من اعادة بناء قواتنا المسلحة بحيث تمكنا من الصمود وعدم الاستسلام .

والآن ترغب اسرائيل في التفاوض المباشر معنا ، وهي محتلة اراضينا ! ان هذا النوع من التفاوض وقوات العدو ما زالت على ارضنا ، يعتبر نوعا من الاستسلام . في نفس الوقت يصدر عن امريكا من آن لآخر ما يعبر عن وجهة نظر اسرائيل ، كما تعلن الولايات المتحدة الامريكية دائما انها تضمن التفوق العسكري لاسرائيل على جيرانها العرب لكي تبقى بصفة دائمة قادرة على احتلال الاراضي العربية .

وحتى في الاشهر الاخيرة ركزت امريكا مرة اخرى على ضرورة الاحتفاظ بالتفوق الاسرائيلي في المنطقة ، ولهذا زودتها بعد معركة ٦٧ بخمسين طائرة فانتوم ، ومائة طائرة سكاي هوك ، عدا الكثير من الدبابات والاسلحة الحديثة .

ان اسرائيل تطالب دائما بتنفيذ ايقاف اطلاق النار الذي صدر في قرار مجلس الامن العام ١٩٦٧ ، وتتجاهل الانسحاب الذي صدر في نفس القرار . وقد شعرنا ان الموقف الآن يزداد تعقيدا لان تجميد مهمة يارنغ وايقاف اطلاق النار ما هو الا تكريس للموقف الذي ترغبه اسرائيل ويخدم مصالحها الاستعمارية . ولقد استمر سباق التسلح بيننا وبين اسرائيل منذ١٩٦٧ ، كما استمرت معارك الحدود وكذا المعارك الجوية التي استخدمت فيها اسرائيل النواحي الالكترونية للتشويش على اجهزة الرادار والصواريخ مستفيدة بدروس المعارك الامريكية في حرب فيتنام . لهذا كانت الحرب الجوية بيننا في تلك الفترة غير متكافئة لان طيارينا كانوا يدخلون المعارك وهم امام عمليات التشويش مغمضي الاعين ، بعكس موقف الطيارين الاسرائيليين . ولكن اختلف الوضع الآن بعدما اصبحنا قادرين على عمليات التشويش ايضا بالمعدات الالكترونية السوفييتية . وحدث في اول معركة جوية استخدمنا فيها هذه المعدات ان هربت الطائرات الاسرائيلية بمجرد ظهور طائراتنا .

وقد كتبت الصحف الغربية اخيرا انه لولا ايقاف اطلاق النار بمشروع روجرز لكانت شاهدت هذه المنطقة حربا الكترونية لم تشهدها حروب اخرى من قبل ، كما وقع في ايدينا جهاز الكتروني امريكي حديث كان مركبا في احدى طائرات الفانتوم الاسرائيلية التي اسقطناها قبل ايقاف اطلاق النار بأربعة ايام .

الاخ الصديق ، سردت لك كل هذه التفاصيل لادلل على وقوف امريكا وانحيازها لجانب اسرائيل . ورغم ذلك ففي عيد العمال هذا العام يوم اول مايو ارسلت نداء للرئيس نيكسون فرد عليه بمشروع روجرز الاخير .

ولقد كانت اسرائيل ترفض دائما كلمة « الانسحاب » وتردد بدلا عنها عبارات « الحدود الآمنة والحدود المعترف بها » لاي شخصية سياسية تزورها ، فيجدها كلمات مناسبة وعبارات معقولة . ولكن اذا ما تعمق قليلا في ما هو

مقصود منها وتابع ما يصرح به الاسرائيليون الرسميون وطموحاتهم ، لوجد ان اسرائيل تقصد من هذه العبارات التوسع في الارض العربية .

وعندما قدم لنا مشروع روجرز كمحاولة جديدة لتطبيق قرار مجلس الامن وما تضمنه من الانسحاب من الاراضي العربية ، قبلناه على هذا الاساس . وكانت المعلومات المتوفرة لدينا تفيد ان اسرائيل لم تكن موافقة على المشروع ، بل ان امريكا نفسها قدمته للاستهلاك المحلي والدعاية ظنا منها اننا لن نوافق عليه ، ولذلك كانت موافقتنا مفاجأة كبرى .

ان قبولنا لهذا المشروع يؤكد حرصنا على السلام العادل في المنطقة ، ولكن اسرائيل ما زالت تعرقل مسيرة تنفيذ مراحله . عامة ، نحن ننتظر فترة التسعين يوما التي نص عليها المشروع (الناشر : كان ايقاف اطلاق النار حسب ما ورد في المشروع لمدة ثلاثة شهور من ٤ اغسطس ـ آب ـ الى ٣ نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ ١٩٧٠) دون الاخلال بشروطه وفقراته ، ولو انني على ثقة من ان اسرائيل في النهاية ستطلب التوسع في حدودها لتضم غزة والقدس والخليل وبيت لحم وغيرها من مدن الضفة الغربية . لهذا نحن غير متفائلين ، ونعمل بجد خلال فترة ايقاف اطلاق النار بدرجة اكثر من الفترة السابقة استعدادا للمستقبل واحتمالات الفترة المقبلة .

اما بالنسبة لردود الفعل العربية على هذا المشروع فقد رفضته اغلب الدول العربية ، كما سبق لها ان رفضت قرار مجلس الامن . كذلك عارضته المقاومة الفلسطينية لان تنفيذ المشروع يعني تصفية المقاومة ويضع علامات استفهام كبيرة حول مصيرها ومستقبلها . وهنا دخلت الصين الشعبية كعامل جديد في هذه القضية عندما اتصلت بالمقاومة ومدتهم بقدر محدود من الاسلحة والعتاد ، كما تحاول ان تقنعهم سياسيا بأن هناك اتفاقا سريا معقودا بين امريكا والاتحاد السوفييتي لتقسيم العالم بينهما بما في ذلك المنطقة العربية . وللاسف ، ان هذا الكلام يجد صدى لدى بعض القيادات الفلسطينية . بهذا يمكن للصين بثمن زهيد ان تحقق اهدافها في المنطقة عن طريق تلك العناصر من المقاومة الفلسطينية .

وفي المشرق العربي خلاف كبير بين الملك حسين والمقاومة الفلسطينية وصل الى حد النزاع على السلطة . لذلك فالمشاكل والازمات بينهما مستمرة ومتصاعدة ،

وللاسف حدث ايضا في الفترة الاخيرة قدر من الخلاف بيننا (ج . ع . م .) وبين المقاومة ، ولكننا في طريق حله وانهائه تماما .

هذا هو باختصار الموقف السياسي والعسكري لقضية الشرق الاوسط .

● ● رئيس جمهورية المجر الشعبية : اشكركم على هذا التوضيح السياسي ، واود ان اذكر لكم الآن رأينا في قضية الشرق الاوسط . اننا في المجر اعتبرنا عدوان اسرائيل عليكم عدوانا على الدول التقدمية كلها ، ولا شك ان اسرائيل بمفردها لا تتمكن من التفوق على الدول العربية المجاورة ، ولكن بسبب الدعم الاميركي المبني على مصالح رأس المال الاميركي تبدلت الامور . لهذا اتخذنا موقفا محددا من العدوان ، وقطعنا علاقاتنا مع اسرائيل بصفتها دولة معتدية ، واستنكرنا العدوان استنكارا تاما وايدنا كفاح الشعوب العربية تأييدا كاملا معلنين ذلك داخليا وخارجيا .

نحن ندرك ان اميركا كانت تأمل في سقوط النظم العربية التقدمية بعد المعركة ، ولكن اثبتت الايام بعدها انها لم ولن تسقط . وكنا في المجر واثقين من ذلك ، وخاصة بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة لمكانتها وتاريخها النضالي .

ونحن نرى ان المشكلة الآن ، بعد ثلاث سنوات من الصمود ، وصلت الى نقطة يستلزم معها ضرورة تغيير اسلوب التحرك ، ولكن بشرط اساسي وهو ضمان الانسحاب من الاراضي العربية دون استخدام عبارات « الحدود الآمنة » و « الحدود المعترف بها » ، اذ ان مثل هذه العبارات لها معان ملتوية ، وكذلك شرط اعادة اللاجئين وايجاد حل عادل للشعب الفلسطيني .

للاسف ، ان امريكا تفهم توازن القوى في الشرق الاوسط بمفهوم التوازن لصالح اسرائيل ، بينما يجب ان يكون هناك فعلا توازن حقيقي في المنطقة . ولقد ادركت المخابرات الاميركية ان ج . ع . م . اصبحت اقوى مما كانت عليه العام ١٩٦٧ . لهذا اضطرت اميركا الى ان تقدم مبادأة روجرز امام موقفكم من الصمود والنضال . كما اننا نرى ان قبول مشروع روجرز من جميع الاطراف معناه قبول رأي الجمهورية العربية المتحدة ، وهو العمل على تطبيق قرار مجلس الامن تطبيقا كاملا .

اما عن الموقف العربي العام فاننا نعلم ان الاردن والسودان وليبيا فقط هي الدول المؤيدة لكم في ما يختص بالمشروع ، ولكننا على ثقة ان عدد المؤيدين معكم

سيزداد يوما بعد يوم . اما عن المقاومة الفلسطينية فاننا على علم بأن هناك قوى خارجية على اتصال ببعض قياداتها ، كما نشك ايضا بأن المخابرات المركزية الامريكية تلعب دورا هاما بجوار الصين الشعبية داخل منظمات المقاومة . ان هذا الموقف العربي لا يساعد على وحدة الصفوف امام عدوكم ، كما انه الموقف الذي ترتاح اليه امريكا كثيرا .

بيان مشترك

● عبد الناصر : ماذا تقترح ان يصدر اعلاميا عن لقائنا ؟

●● رئيس جمهورية المجر الشعبية : اقترح ان يصدر بيان مشترك يوضح مواقفنا السياسية المشتركة ، بما في ذلك تأييد كفاح الشعوب العربية وشعوب الهند الصينية .

اعود الى توضيح باقي مواقفنا السياسية من القضايا الاخرى . في افريقيا نحن نؤيد كفاح الشعوب الافريقية المناضلة من اجل الحصول على حقوقها ، كما نحاول تأييدها ماديا في حدود امكانياتنا ، فيبلغ عدد خبرائنا في البلاد الافريقية حوالى خمسمائة خبير ، كما نخصص اعدادا كبيرة للطلاب الافارقة في جامعاتنا .

ومن حديثكم الخاص لي امس اثناء تناول العشاء عن سياستكم في افريقيا ، فاننا لا نجد اختلافا كبيرا عن وجهة نظرنا في اغلب الامور الافريقية ، ونرجو ان يستمر تبادل الرأي بيننا وبينكم بشأنها ، كما اننا على ثقة من ان جميع الدول الافريقية ستنتصر قريبا في نضالها وتعيش كدول تقدمية مستقلة .

● عبد الناصر (مبتسما) : اخشى اننا استغلينا كل وقتكم في قضايانا ومشاكلنا في الشرق الاوسط وافريقيا ، ولم نسمع شيئا عن احوال المجر ؟

●● رئيس جمهورية المجر الشعبية : اننا نعيش في استقرار كامل ، والمجريون يعملون بجد من اجل تنفيذ الخطة الخمسية التي تنتهي هذا العام ، وقد امكن زيادة الدخل القومي حوالى ٤٠ ٪ ، كما حققت الصناعة والزراعة اغلب اهدافها ، ونعمل الآن الاجراءات التحضيرية لبدء الخطة الخمسية الجديدة التي ستزيد الدخل القومي حوالى ٤٣ ٪ ، كما تهدف الى استيعاب جميع العاطلين ، كذلك تقدم تسهيلات عديدة للفلاحين ، وتزيد دخل الفرد حوالى ٢٨ ٪ .

ونحن الآن مشغولون بتنظيم المؤتمر العام لحزب العمال المجري الذي سيعقد بعد شهرين خلال نوفمبر حيث ستعرض عليه سياستنا في كافة المجالات .

سيادة الرئيس ، لم تزر المجر حتى الآن رغم انكم زرتم بلادا عديدة ، ولهذا ارجو قبول الدعوة لزيارة المجر باسمي وباسم الحزب وباسم الحكومة في اقرب فرصة ممكنة .

● عبد الناصر : يسعدني قبول هذه الدعوة ، ولكن ارجو ان تسمحوا لي بتأجيل موعدها الى ما بعد خروج الاسرائيليين من ارضنا حيث اننا مضطرون في الوقت الحاضر الى العمل المركزي المتواصل حرصا منا الا يحدث تقصير في الامور الداخلية او الخارجية خلال هذه الفترة الحاسمة من تاريخنا .

● ● رئيس جمهورية المجر الشعبية : لم يبق في مباحثاتنا الا موضوع واحد وهو العلاقات الثنائية بين البلدين . واننا في هذا المجال على استعداد للسير في توطيد العلاقات ونموها الى اقصى حد ممكن لاننا نعتبر ان الجمهورية العربية المتحدة صديقة للمجر الشعبية منذ فترة طويلة . لهذا نحن مصرون على تأييد كفاحكم ونضال شعبكم بكل ما نملك من امكانيات ، كما نسيت ان اخطركم في عرضي للموقف السياسي العام اننا في المجر سنؤيد مؤتمر عدم الانحياز المقبل تأييدا كاملا . وختاما ، اكرر شكري وشكر زملائي لكم ولشعب الجمهورية العربية المتحدة على الاستقبال الرسمي والشعبي الذي وجدناه في بلدكم .

وانتهى الاجتماع ، وبه ينتهي عرض المبادأة الامريكية (روجرز) تحليلا وتسجيلا لكافة ردود الفعل التي نشأت عنها ، وكذلك توضيحا للاثار التي ترتبت عليها .

* * * *

الفصل التاسع

الجولة الاخيرة

١ ـ لقاء هام بين عبد الناصر والملك حسين قبيل احداث ايلول .
٢ ـ ايلول الدامي .
٣ ـ الاسبوع الاخير لعبد الناصر يوما فيوم .
٤ ـ الرحيل .

• لقاء عبد الناصر والملك حسين قبيل احداث ايلول : نقاش مطول حول المقاومة الفلسطينية في الاردن ـ وجهتا نظر لعبد الناصر وحسين ـ نصائح عبد الناصر .

• ايلول الدامي : تدهور الموقف في الاردن ـ اجتماع مجلس الجامعة ـ الاحكام العرفية والحكومة العسكرية ـ بدء الهجوم ـ عبد الناصر يفكر بالانتقال للاردن .

• الاسبوع الاخير من حياة عبد الناصر : جهود خارقة لوقف المجزرة ـ مؤتمر القمة العربي ـ اتفاق وقف النار وتشكيل اللجنة العليا ـ النظرة الاخيرة على القاهرة ليلا ـ الحديث ـ الوداع بين عبد الناصر ونجله الاكبر ـ النوبة القلبية في المطار ـ الرحيل .

عبد الناصر :

• فلسطين ليست مسؤولية الفلسطينيين فقط .
• يجب اشعار اميركا انها غير مطلقة الحركة .
• من حق الفلسطينيين رفض مشروع روجرز .
• لا تحاربوا المقاومة الفلسطينية لان المستفيد هو اسرائيل .
• تعاملوا مع الموضوع بالعمل السياسي لا بالعمل البوليسي .
• طالبت قيادات المقاومة بتجنب الاستفزاز وتفهموا .

(عاد عبد الناصر الى القاهرة يوم ١٧ يوليو ـ تموز ـ ١٩٧٠ بعدما امضى ثمانية عشر يوما في الاتحاد السوفييتي . عاد ليواجه شعبه العربي بمبادأة اميركية عارضا عليهم خطا سياسيا جديدا يختلف عن الخط الاعلامي الذي كان يرسمه ويوجهه اليهم لمدة ثلاث سنوات متتالية ! ورغم انه قبل المبادأة كخطوة تكتيكية وليس كهدف استراتيجي ، الا انه كان من الصعب على رجل الشارع في مصر ان يفرق بين ما هو تكتيكي وما هو استراتيجي . لهذا رأيته بنفسي وهو يستعد قبل يوم ٢٣ يوليو ـ تموز ـ عندما واجه ١٦٠٠ عضو وشاب من قيادات الاتحاد الاشتراكي في قاعة المؤتمر القومي ، قلقا عبوسا ، يسأل كثيرا عن ردود الفعل المتوقعة لاعلان المبادأة . رأيته يوم خطابه الرئيسي يراجع كلماته اثناء الالقاء متوخيا الدقة في اختيار عباراته وألفاظه بشكل لم ألحظه من قبل في خطاباته الجماهيرية السابقة . لقد كانت تلك الايام صعبة على نفسية عبد الناصر . لقد عاش تلك الايام بين امواج صاخبة من القلق والانفعالات المتضاربة . وعاش القريبون من عبد الناصر نفس اللحظات القلقة مدركين خطورة مثل تلك الانفعالات على صحته . ولهذا سعدنا جميعا عندما علمنا انه وافق اخيرا على نصيحة الاطباء المصريين المشرفين على علاجه ، وكذلك على نصيحة الاطباء السوفيات الذين زاروه خلال رحلته الاخيرة لموسكو ، بأن يمنح نفسه بعد خطابه الثاني في الاسكندرية يوم ٢٦ يوليو ـ تموز ـ اجازة طويلة لمدة شهرين يسترد خلالها انفاسه ، ويعطي قلبه المجهد الفرصة لتنظيم دقاته من اجل ان يتمكن من استكمال طريق النضال والسير في درب الجهاد الشاق الذي ينتظره في السنة المقبلة ، سنة العبور .

ولكن القدر لم يرحمه ومسؤوليته العربية لم تتركه ، وكانت له بالمرصاد ، فتراكمت عليه ردود الفعل العربية الرافضة لقراره والمستنكرة لموافقته على مبادأة روجرز . ثم جاء اليه الملك حسين في اغسطس ـ آب ـ الى مدينة الاسكندرية ليقطع عليه اجازته الطبية ، عارضا عليه مشاكله ومتاعبه ، محملا اياه مسؤوليات جديدة .

وأطلّ شهر سبتمبر ـ ايلول ـ من ذلك العام . ولم يكن قد مضى على لقاء الملك حسين اكثر من اربعة اسابيع حتى جاءت الضربة القاضية التي اسقطت عبد الناصر ارضا فاقد النبض والحياة .. ضربة احداث الاردن التي اشتعلت يوم ١٦ سبتمبر ـ ايلول ـ وما تلاها من احداث جسام .

ولشهر سبتمبر بالذات قصة طويلة مع عبد الناصر ، اذ كان شهر المتاعب وشهر الازمات الساخنة التي اهتز لها كثيرا .

● ففي ٢٨ سبتمبر العام ١٩٦١ تمزقت الجمهورية العربية المتحدة بانفصال سورية وكانت الصدمة عليه كبيرة فتركت آثارها على نسبة السكر في دمه مدى الحياة .

● وفي ١٤ سبتمبر العام ١٩٦٧ فقد اعز زميل له بانتحار المشير عبد الحكيم عامر ، وكانت لوفاة صديق عمره آثار بالغة على نفسيته وعلى مدى ثقته في من حوله ! لم يكن يتصور ان عبد الحكيم عامر في يوم ما يتآمر عليه شخصيا . ورغم ذلك بعد وفاته فقد شهية الطعام لعدة ايام اذ كان يرى صورة عبد الحكيم الصديق ماثلة امامه يتناول معه الطعام .

● وفي ٩ سبتمبر ١٩٦٩ وهو في قمة ثقته بقدرة القوات المسلحة الجديدة على التصدي للاعداء ، نجحت القوات الاسرائيلية نجاحا فائقا في عملية فدائية على ساحل البحر الاحمر عند منطقة الزعفرانة ، واصابت القوات المسلحة المصرية بخسائر فادحة ، وقتلت محافظ البحر الاحمر ، كما تمكنت من نقل احد اجهزة الرادار الحديثة الى ارضها بالطائرات الهيليكوبتر .

● وفي ١٠ سبتمبر ١٩٦٩ اصيب بأزمة قلبية ألزمته الفراش عدة اسابيع واعتبرت تلك الازمة الانذار الاخير لقلبه المجهد .

● وفي ١٦ سبتمبر ١٩٧٠ كانت احداث ايلول الاسود ومذبحة الفلسطينيين في الاردن التي تلتها مذابح متتالية آخرها مذابح لبنان الحالية .

● وفي ٢٨ سبتمبر جاء قضاء الله فوقف قلبه وسكتت حركته .

ولاهمية ذلك اللقاء الاخير الذي تم بين الملك حسين وعبد الناصر فسأتعرض له بقدر من التفصيل ، اذ اجمع المعلقون السياسيون على ان اللقاء لا ينفصل عما تلاه من الاحداث الجسيمة التي جرت في الاردن والتي سميت بأحداث « ايلول الاسود » .

لقد تضاربت الآراء حول كلمات ذلك اللقاء والموضوعات التي اثيرت فيه ، فاعتبر البعض انها كانت اخطارا وانذارا من الملك حسين الى عبد الناصر ، بينما اعتبرها البعض الآخر تحذيرا وكشفا من عبد الناصر للملك حسين . ولكن ما سجلته الوقائع وصفحات التاريخ بعد ذلك يشهد بأن الملك حسين هو الذي نفذ انذاره ، وهو الذي اتم مخططه ، وهو الذي ترك شعورا لدى اغلب العرب ـ في نفس الوقت ـ بأنه قد عرض خطواته في « ايلول الاسود » على زعيم العروبة قبل القيام بها ، ولم يعترض عليها بالقدر الذي منعه من السير على دربها !

وبدلا من ان استرسل في السرد والتعليق ، فاني اترك كلمات حوار اللقاء لترد بأمانة على ذلك السؤال الحائر) .

لقاء عبد الناصر والملك حسين ، ١٩٧٠/٨/٢١

عقد اللقاء في قاعة الاجتماعات الكبرى في قصر رأس التين في الاسكندرية يوم ٢١ اغسطس (آب) ١٩٧٠ ، ودام الاجتماع حوالى ثلاث ساعات ونصف الساعة . بدأ الحديث عبد الناصر كعادته مع ضيوفه بالترحيب باسمه وباسم شعبه مقدرا للملك سعيه دائما للحضور الى مصر للتشاور وتبادل الرأي ، ثم قال :

● عبد الناصر : اننا في ج . ع . م . لا ننسى موقف الاردن في يونيو ٦٧ عندما دخلتم الحرب معنا . ولو اني لم اكن راغبا ، في نفس الوقت ، اقحام الجيش الاردني في الحرب ، ولو كانت سمحت لي الظروف في تلك الايام لكنت رفضت اشراك قواتكم في العمليات مثلما حدث خلال حرب عام ١٩٥٦ . عموما هذا التحرك منكم لا ننساه ونعيه في مصر وعيا تاما . لقد اشترك الاردن في الحرب من اجلنا ، مثلما اشتركنا في هذه الحرب من اجل سورية ، وبالتالي يصبح من الوجهة العملية ان الاردن دخل الحرب من اجل سورية . ولكن نؤكد ان شعبنا في مصر لا ينسى ما تحمله شعب الاردن من اجله .

● ● الملك حسين : نحن لم ندخل حرب ٦٧ الا تلبية لواجبنا ، وما تمليه المسؤولية العربية علينا ، وهي مسؤولية واحدة ، ونحن في الاردن نقدر زعامتك ومواقفك الوطنية التي تعبر عن شعور كل عربي اصيل تعبيرا صادقا . المهم الآن هو ان نبذل اقصى جهدنا ونزيد من تعاوننا ، ونزيد من ثقة كل منا في الآخر . وسأعرض عليكم مشاكلنا السياسية والعسكرية لنجد معا الحل المناسب لها .

• • عبد المنعم الرفاعي وزير خارجية الاردن (الناشر : كان واضحا من اشارة الملك برأسه الى عبد المنعم الرفاعي ليشترك في الحديث ويلقي بتساؤلاته المعدة من قبل ، ان هناك اتفاقا مسبقا بينهما لفتح هذا الشكل من الحوار) : نحن في الاردن نفتقر الى وضوح الرؤية بالنسبة للموقف السياسي في الوقت الحاضر . ورغم اننا تقدمنا خطوات على الطريق الا ان لدينا بعض التساؤلات نريد قدرا من الوضوح بشأنها وهي : هل حدث اتفاق سياسي اخيرا بين روسيا واميركا ؟ هل هناك تصور لدى الاتحاد السوفياتي عن كيفية حل المشكلة ؟ وعلى ضوء الاجابة على هذين السؤالين اعتقد انه يمكننا كعرب تحديد خطواتنا السياسية المقبلة ، اذ ان الواضح لنا من سياسة ومواقف اميركا او الاتحاد السوفياتي او حتى الدول الكبرى جميعها ، انها غير جادة في ايجاد الحل السياسي للقضية رغم مضي شهر من موافقتنا على مبادأة روجرز . لهذا نحن في الاردن اوقفنا اخيرا خطنا الاعلامي عن المبادأة . والواضح لنا ايضا ان المشكلة ليست رهن ارداتنا فقط ، وانما رهن قوى اخرى عديدة بحيث اصبحنا غير قادرين على تحديد سياستنا العربية .

• عبد الناصر : طبعا الموضوع معقد كثيرا وليس سهل الحل ، وانما اساس المشكلة هو ان هناك تفوقا عسكريا اسرائيليا ، وفي نفس الوقت هناك تفكك عربي . فمثلا ، اذا حسبنا حجم وقوة جيوش الدول العربية نجد انفسنا متفوقين على اسرائيل ، ولكن نحن عدة جيوش وعدة قيادات ، بينما هم جيش واحد وقيادة واحدة . بالاضافة الى ان هناك بيننا من يريد ان يتجاهل الاشتراك او المساهمة الايجابية في المعركة بحجة ان فلسطين من مسؤولية الفلسطينيين فقط ! عامة ، خطتنا الاستراتيجية في مصر الآن هي العمل على ازالة آثار العدوان وتحرير الارض العربية المحتلة مع عدم التنازل عن اي شبر منها ، بما في ذلك القدس ، كذلك تنفيذ قرارات مجلس الامن بشأن فلسطين . وبالنسبة للاعداد العسكري فاننا نعمل على بناء قواتنا المسلحة لتصل الى مليون مقاتل ، وفعلا ستصل قواتنا خلال شهر ديسمبر الى ثلاثة ارباع مليون مقاتل . من هنا كان عبور القناة وتحرير سيناء ليس هدفا وانما واجبا علينا .

اما عن العمل السياسي فقد هاجمني البعض في تحركي السياسي الاخير متسائلين : كيف لنا ان نقبل وجود اسرائيل ؟ علما بأن الجميع يدركون تماما اننا كعرب سبق ان وافقنا على وجود اسرائيل في اتفاقية عام ١٩٤٩ ، وقد سبق ان قلت

لكم (موجها حديثه للملك حسين) ان تذهب لاميركا وترجو جونسون ان يعيد الضفة الغربية ، ولكن اميركا تجاهلتكم لان لديها ما هو اهم من ذلك ، وهو رغبة حليفتها اسرائيل في ضم اراضي عربية جديدة اليها .

في رأيي ان نجاح الحل السلمي ما زال بعيدا ، والاميركان ناس كذابين ، ولكن رغم ذلك قبلنا المبادأة السياسية الاخيرة لسبب رئيسي وهو ان نستكمل اعدادنا العسكري ، وان ننتهي من التحضيرات اللازمة لخطتنا العسكرية ، لاننا في الآخر احنا سنحارب . وقد وافقت على هذه المبادأة اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي ، ثم اللجنة المركزية ، ثم المؤتمر القومي بعد حوار طويل وعن قناعة تامة . طبعا ، ثقتي في الولايات المتحدة الاميركية ضعيفة ، ولكن يحتمل ولو بنسبة نصف في المائة ان تكون هناك لعبة دولية قد تؤثر على حل المشكلة لصالحنا ! اما عن سؤال الاخ عبد المنعم الرفاعي عن احتمال وجود اتفاق بين روسيا واميركا بشأن قضيتنا ، فالاجابة لا . ليس هناك وجود لمثل هذا الاتفاق ، كما اننا نسجل بكل تقدير مساعدة الروس لنا ومشاركتهم العسكرية معنا بشكل ايجابي . ولهذا قررنا في مصر انه عندما نخرج من هذه الازمة سنقيم للشعب السوفياتي (نصبا تذكاريا) تخليدا لمساعداتهم ووقوفهم الصريح معنا .

وعن السؤال الثاني بتاع الاخ الرفاعي ، وهو هل لدى الروس تصور ما لحل القضية ؟ فالاجابة ان الروس يتحركون الآن بناء على الحوار معنا ، وبعد موافقتنا على كل خطوة . كما ان الروس يرفضون ما نرفضه ويوافقون على ما نوافق عليه .

اما عن السؤال الاخير ، هل هناك حل متفقون عليه مع الروس ؟ الاجابة ايضا لا . وقد نكون متفقين معهم على اهمية الحل السلمي ، ولكن كل واحد منا ينظر الى هذا الحل من زاويته الخاصة . اننا نرى ان الحل السلمي بعيد جدا ، ولا بد ان نصمد اكثر واكثر ، ولا بد ان يشعر الاميركان ان يدهم ليست مطلقة الحركة في الموقف العربي . اما عن تحرير فلسطين فاني اعتقد انه لن يتم في ستة ايام ولا في ست سنين ! اذن مين اللي سيحرر من النهر الى البحر ؟ وفي كام سنة ؟ هذه امور لا بد من توضيحها الى جماهيرنا العربية بصراحة تامة . انا اعتقد انه علينا الآن واجب ان نزيل آثار العدوان ونعيد الارض العربية التي احتلها اليهود ، ثم بعد ذلك من الممكن ان نناضل تحت الارض لتحرير ارض فلسطين ، لتحرير حيفا وتحرير يافا .

الخلاف مع المقاومة

وعن موقف المقاومة الفلسطينية ، انا قابلت قيادات المقاومة وقلت لهم ان من حقكم ان ترفضوا مبادأة روجرز وان ترفضوا الحل السلمي ، حتى ولو وافقت عليه جميع الدول العربية لانه من حقكم كفلسطينيين ان ترفضوه . اما عن موضوع اذاعة « صوت فلسطين » فلم يكن في نيتي اصلا قفله رغم هجومهم اليومي علينا بالاذاعة وخاصة اذاعة القاهرة . ولكن ما حدث هو اننا استمعنا الى برقية مرسلة من قيادتهم لفرعهم في القاهرة تطلب منهم التوسع في مهاجمتنا من اذاعة القاهرة مع المزيد من سبنا وتوجيه الشتائم الينا ، على اساس انهم تصوروا اننا سنخاف من التعرض لهم ! طبعا كان ذلك تصورا خاطئا منهم وتقديرا غير سليم . اعود واقول انه من حقهم ان يرفضوا المبادأة ، وان يرفضوا اي تحرك سلمي ، ولهذا ارجو من الملك حسين ان لا يهاجمهم او ان يعمل ضدهم ، كما ارجو ان يحول دون تشنج بعض المسؤولين الاردنيين ضد المنظمات الفلسطينية لان المستفيد في هذه الحالة هو العدو ، اسرائيل .

جلالة الملك ، ارجو ان تأخذهم بالصبر حتى ولو غلطوا وذلك من اجل شعبكم ومن اجل الشعب الفلسطيني . ولا تنس ان سيدنا ايوب كان من سكان نهر الاردن ، ولهذا اعتقد انك ستكون قادرا على حسم الامور باتزان وحكمة رغم وجود بعض المتطرفين الفلسطينيين ، وانما في نفس الوقت توجد بينهم ايضا عناصر كثيرة متزنة . عامة ، ارجو ان نتشاور دائما في هذا الموضوع لاني اعتبره اهم موضوع عربي في الوقت الحاضر ، كما عليكم ان تختاروا قيادات اردنية تحوز ثقة الفلسطينيين مثل الدكتور نابلسي . المهم ان نستمر في الحوار بشأن هذا الموضوع ولا ننفعل او نخطئ الخطوات . وانا مستعد دائما لان استقبل اي مندوب عنكم للتشاور معه بشأن موضوعات المقاومة . وقد ابلغني اخيرا الاخ فاروق ابو عيسى من ثورة السودان انه اجتمع مع اللجنة المركزية لمجموعة الحواتمة ، وكان حديثهم معه معقولا وبناء . توصية اخيرة هي ان تتعاملوا في هذا الموضوع بالعمل السياسي وليس بالعمل البوليسي . هذا ليس معناه عدم الوقوف سلبيا ضد العناصر الفلسطينية السيئة او الانتهازية ، ولكن هذا يتطلب منكم القيام بتحرك سياسي ضخم . آسف اني تحدثت معكم في شؤونكم الداخلية ، ولكن لسبب بسيط وهو ان اي ضربة عندكم ستكون لها ردود فعل عديدة على جبهتنا .

● ● الملك حسين : عن صبر ايوب فهذا هو شعار سياستنا منذ امد طويل ، ولكن هناك ولا شك للصبر حدود . ان وجود جميع منظمات المقاومة على ارضنا نقل الينا كل التناقضات الموجودة في العالم العربي . كذلك فان المتاجرة بشعار « من النهر الى البحر » هو عملية مغرضة القصد منها نسف ما هو باق لدينا من امكانيات عربية لتجرير اراضينا . والملاحظ ان العمل ضدنا من افراد المقاومة يتزايد يوما بعد يوم محاولين اثارة الشك والبلبلة في صفوفنا ، حتى داخل القوات المسلحة الاردنية . ولكن الحمد لله فالوحدات العسكرية ما زالت سليمة حتى الآن . ان الاستفزازات من افراد المقاومة للسلطة الاردنية لا حدود لها ، ومن الممكن ان سمح وقتكم ان احكي لك العديد من القصص والاستفزازات التي تتعرض لها سلطاتنا المحلية في المدن والقرى يوميا . وعلى سبيل المثال وليس على سبيل الحصر ، تسير سيارات المقاومة في المدن والطرقات دون ان تحمل اي ارقام او علامات مميزة ، وبذلك يستحيل على السلطة المحلية ان تقوم بواجبها عند حدوث اصطدام او وفاة او اصابة لاي من المدنيين الابرياء !! قصة اخرى حدثت اخيرا : اطلق بعض افراد المقاومة رشاشاتهم داخل مخبز في عمان لمجرد ان صاحب المخبز رفض ان يعطيهم الاسبقية على غيرهم في توزيع الخبز !!.. الخ .

● عبد الناصر : لقد سبق ان تحدثت كثيرا مع قيادات المقاومة بشأن ضرورة الامتناع عن عمليات الاستفزاز للسلطات الاردنية المحلية . وفي الحقيقة كانوا معي مدركين آثار هذا الاستفزاز وما ينجم عنه . ولكن للاسف هناك بينهم من يريد فعلا الاستفزاز ، وقد تكون بينهم ايضا قوى مضادة تخطط عن عمد بهدف تخريب الموقف السياسي في الاردن . عموما ، من الممكن ان يعاد بحث مثل هذه الامور دون ان نصل الى درجة التشنج ، على ان نراعي مصالح كافة الاطراف . وقبل ان تنتهي الجلسة ، ارجو ان اكرر ما طلبته خلال حديثي معك اليوم ، ان تتوخى الصبر والحكمة . واني على ثقة من ان ربنا في آخر الامر سينصرنا في معركتنا مع اسرائيل ، بعدما صبرنا وعملنا بجد وبعرق لمدة ثلاث سنوات متتالية . كما اني ارى ان الموقف العربي يتحسن يوما بعد يوم . ونحن على استعداد للمزيد من التنسيق العسكري بيننا وبينكم ، وقد ابلغت الفريق فوزي كافة التوجيهات اللازمة لاتمام هذا التنسيق مباشرة بالقدر الذي تطلبونه .

* * * *

انتهت بهذه الكلمات تلك الجلسة . ولكن كان واضحا من كلمات عبد الناصر ومن اسلوب تعامله الشخصي مع الملك حسين قبل وبعد الاجتماع انه يخشى قيام عمليات انتقامية من السلطات الاردنية ضد المنظمات الفلسطينية الموجودة في الاردن . وقد حاول بالكلمة الطيبة تارة وبالعبارات الخشنة تارة اخرى ، ان يمنع الاصطدام ، او ان يمنع الاعتداء على الفلسطينيين ، ولكن الاحداث كانت اكثر حسما من الكلمات واسرع من التمنيات .

لم يمض سوى ثلاثة اسابيع تقريبا على هذا اللقاء حتى تفجرت احداث الاردن . وفي الحقيقة ان تاريخ تلك الاحداث يعود الى اشهر قبل هذا التاريخ – الى شهر فبراير من نفس العام عندما بدأت تطفو الخلافات بين المقاومة والسلطات الاردنية على السطح ، فتدخل عبد الناصر بثقله ومنع الملك حسين من التصرف بعنف ضد المقاومة ، ولكن لم يدم الهدوء كثيرا ولم تختف الخلافات لفترة طويلة ، اذ تفجر الموقف مرة اخرى خلال يونيو ١٩٧٠ وحدث اصطدام بالنيران بين الطرفين سقط بسببه مئات القتلى والجرحى ، ولم يهدأ الموقف الا بعد اللقاء الذي تم بين الملك حسين وياسر عرفات ، ولكن اصابع الافراد من الطرفين بقيت على الزناد هنا وهناك.

وبعد لقاء الملك حسين مع عبد الناصر في الاسكندرية يوم ٢١ اغسطس (آب) ، باسبوعين تقريبا ، تكهرب الموقف مرة اخرى ووضع الملك في تقديره انه اراح ضميره واعلم زعيم العروبة في لقائه الاخير بأن للصبر حدودا ، وانه سيتصرف من جانبه بما يسمح به الموقف على الطبيعة . كان الملك ومعاونوه يصرون على فرض السيطرة الكاملة على كل شبر من اراضيهم ، مؤكدين ان استضافتهم لرجال المقاومة لا تعطيهم حق المشاركة في الحكم او في ممارسة سلطات خاصة خارج اطار السلطة الاردنية ، بما في ذلك حملهم الاسلحة في شوارع المدن الاردنية بعيدا عن مناطق الحدود .

عقد مجلس الجامعة العربية اجتماعا طارئا لبحث الموقف المتفجر في الساحة الاردنية ، وشكل لجنة خاصة لهذا الغرض سافرت الى عمان يوم ٧ سبتمبر (ايلول) . ورغم الجهود التي بذلتها لجنة الجامعة العربية ، الا ان الموقف تصاعد فجأة واصدر الملك حسين قراره يوم ١٦ سبتمبر (ايلول) باعلان الاحكام العرفية وتعيين اللواء

محمد داود رئيسا لوزارة عسكرية . وفي اليوم التالي ، اي ١٧ سبتمبر (ايلول) ، بدأ الهجوم الوحشي لقوات البادية على معسكرات الفلسطينيين ومراكز تدريبهم ، فهدموا وفتكوا بكل ما اعترض طريقهم ، ملاحقين كل من ينتمي الى المقاومة الفلسطينية من قريب او بعيد . لقد كانت مجزرة وحشية من مجازر التاريخ العربي الحزين .

تدهور الموقف بسرعة في عمان ثم في شمال الاردن ، وارتفع عدد القتلى والمصابين الى بضعة آلاف مع قصص ومواقف يدمى لها قلب كل عربي اصيل . رأيت عبد الناصر عابسا حزينا تكاد الدموع تطفر من عينيه ، وخاصة كلما سلمته برقية من برقيات سفارتنا في عمان وهي تسرد المآسي وعدد الضحايا والشهداء الابرياء . رغب عبد الناصر في اول الامر ان يسافر بنفسه الى عمان لوقف هذه المجزرة ، ولكن الموقف المتأزم مع اسرائيل كان له بالمرصاد ، فأرسل الفريق محمد صادق رئيس الاركان نيابة عنه الى عمان يطلب من الملك حسين وقف المجزرة ويوضح له خطورة تصفية المقاومة الفلسطينية ، مؤكدا ان هذه المجزرة تخدم الخطة الاميركية ـ الاسرائيلية في المنطقة . ولكن جهود الفريق صادق ذهبت سدى ولم يقف القتال . واخيرا لم يجد عبد الناصر سبيلا سوى دعوة ملوك ورؤساء العرب للحضور للقاهرة فورا للتشاور وانقاذ الموقف المتردي .

الاسبوع الاخير

كان الاسبوع الاخير من شهر سبتمبر ١٩٧٠ مليئا بالاحداث والانفعالات ، كما اسدل الستار على آخر ايامه بنهاية حزينة مات فيها البطل فبكت الامة العربية كلها . ومن اجل متابعة دقيقة لاحداث ذلك الاسبوع ، سأحاول ان اسرد حركة عبد الناصر وتطورات الموقف العربي فيه يوما بيوم وساعة بساعة .

● ● الاحد ٢٠ سبتمبر (ايلول) :

ـ الجيش الاردني يستمر في اطلاق النيران .

ـ الموقف اصبح حرجا بالنسبة للمقاومة الفلسطينية في عمان بسبب الضرب العنيف من الدبابات الاردنية للتجمعات الفلسطينية .

ـ سقوط آلاف القتلى من الفلسطينيين .

ـ نداء من ياسر عرفات لقوات المقاومة الفلسطينية لايقاف اطلاق النار .

ـ اتصالات تلفونية بين عبد الناصر ومعمر القذافي حول خطورة الموقف في عمان.

ـ رسالة من عبد الناصر للملك فيصل يحملها حسين الشافعي ويطلب منه الحضور بسرعة للقاهرة لبحث الموقف .

ـ برقيتان من عبد الناصر للملك حسين لايقاف الهجوم الوحشي لقوات البادية على الفلسطينيين .

● ● الاثنين ٢١ سبتمبر (ايلول) :

ـ الملك حسين يأمر بايقاف النار بعد استلامه رسالة عبد الناصر ، وقد اصدر اوامره من مكتبه في قصره امام الفريق صادق وسفير ج . ع . م . في عمان (عثمان نوري) .

ـ الحالة المعنوية والمادية في عمان مؤلمة وشبح التواطؤ الاميركي مع اسرائيل يتضح تدريجيا .

ـ الدمار في عمان والدخان الاسود يتصاعد من العديد من مبانيها .

ـ المعارك تزحف الى شمال الاردن والملك حسين يعلن اتهاما جديدا لسورية بدخول قوات منها المنطقة الشمالية من بلاده .

ـ ابتداء من السادسة مساء بدأ وصول الرؤساء الى القاهرة بناء على نداء عبد الناصر ، فكان اول الحاضرين معمر القذافي ، ثم نور الدين الاتاسي ، ثم الباهي الادغم رئيس وزراء تونس نيابة عن بورقيبة ، ثم الرئيس جعفر النميري في منتصف الليل .

ـ بمجرد حضور هؤلاء الرؤساء بدأت اللقاءات بينهم وبين عبد الناصر وامتدت الى ما بعد منتصف الليل بكثير .

● ● الثلاثاء ٢٢ سبتمبر (ايلول) :

ـ ياسر عرفات يقدر عدد الضحايا تحت الانقاض في عمان بعشرين ألفا بين قتيل وجريح .

ـ صورة رهيبة لعمان في سادس ايام القتال ، والمعارك في شمال الاردن تدخل مرحلة خطيرة .

ـ الاجتماعات بين عبد الناصر والرؤساء العرب في قصر القبة وقصر العروبة تستغرق طوال اليوم ، اشترك فيها الرؤساء الذين وصلوا القاهرة اليوم ، وهم :

الامير صباح السالم صباح ، الرئيس شارل حلو ، الرئيس سالم ربيع ، القاضي عبد الرحمن الارياني .

ـ تخللت الاجتماعات اتصالات تلفونية مع الملك حسين من عبد الناصر وبعض الرؤساء المجتمعين .

ـ تقرر ارسال وفد عن اجتماع القاهرة الى عمان برئاسة الرئيس النميري وعضوية الباهي الادغم والشيخ سعد العبد الله السالم والفريق محمد صادق للاتصال بالملك حسين وياسر عرفات لايقاف القتال .

ـ استمرت اجتماعات عبد الناصر واتصالاته بالرؤساء وبعمان حتى ساعة مبكرة من صباح الاربعاء .

● ● الاربعاء ٢٣ سبتمبر (ايلول) :

ـ معارك عنيفة بالدبابات يشترك فيها الطيران حول اربد ، وقد اثار الرئيس الاتاسي امكانية دخول القوات السورية للاشتراك في المعارك في شمال الاردن .

ـ نيكسون يبحث تطورات الاحداث في الاردن مع زعماء الكونغرس ، وقد اعدت اميركا حوالى عشرة آلاف جندي للتدخل في الاردن عند الطلب . (كتب الرئيس نيكسون في مذكراته في ما بعد ان الولايات المتحدة اقتربت الى حد التدخل العسكري في الشرق الاوسط في ذلك الوقت اكثر من اي وقت آخر) .

ـ تحذير سوفياتي الى واشنطن بعدم التدخل في احداث الاردن .

ـ عودة النميري والوفد المرافق له من عمان دون الوصول الى حل حاسم .

ـ وصول الملك فيصل للقاهرة وانضمامه للاجتماع العربي الذي عقد في القاعة الكبرى في فندق الهيلتون حيث استمع الملوك والرؤساء لتقرير مهمة الرئيس النميري، ثم استمر الاجتماع حتى الثانية صباحا .

● ● الخميس ٢٤ سبتمبر (ايلول) :

ـ رغم التأكيدات التي قدمتها حكومة الاردن بوقف القتال ، الا ان القصف استمر في عمان واربد تهددها مذبحة اخرى .

ـ استقالة رئيس الحكومة العسكرية الاردنية الزعيم محمد داود وهو في القاهرة ، بعدما اقنعته كريمته المتزوجة في بيروت بأنه لا يصح ان يستخدمه احد للقضاء على الفلسطينيين .

ـ الملك حسين يجتمع بسفير الولايات المتحدة والاسطول السادس الاميركي في البحر الابيض المتوسط يعلن حالة الاستعداد القصوى .

ـ وصول الرئيس اللبناني الجديد سليمان فرنجية ليشترك في الاجتماع العربي الهام .

ـ المؤتمر يقرر خطورة الموقف وارسال الرئيس النميري مرة اخرى الى عمان ومعه وفد كبير يضم حسين الشافعي ، رشاد فرعون ، سعد العبد الله الصباح ، ممثلين لرؤسائهم ومعهما الباهي الادغم ، فاروق ابو عيسى ، الفريق محمد صادق .

ـ اجتماعات ثنائية بين عبد الناصر والملوك والرؤساء حتى الثانية صباحا .

● الجمعة ٢٥ سبتمبر (ايلول) :

ـ عودة الوفد من عمان بعدما حقق اتفاقا لوقف القتال لم يستمر غير ساعات .

ـ وصول ياسر عرفات الى القاهرة متخفيا في زي كويتي مع اعضاء وفد النميري .

ـ النميري وعرفات قدما للرؤساء والملوك تقديرا للموقف الخطير الذي يتصاعد من دقيقة لاخرى . استمر الاجتماع حتى الرابعة صباحا .

ـ اوضح عبد الناصر للمجتمعين انه تأكد من ان ما يحدث في الساحة الاردنية هو من تخطيط المخابرات المركزية الاميركية والمخابرات الاسرائيلية بالاستعانة ببعض العناصر المحلية المشبوهة ، وان الاسطول السادس الاميركي والقوات الاسرائيلية مستعدة فعلا للتدخل الفوري .

ـ عبد الناصر يرسل برقية عاجلة الى الملك حسين الساعة الرابعة والنصف صباحا يكشف له المخطط الاميركي الاسرائيلي ويؤكد ان استمرار الاعتداء الاردني على الفلسطينيين يعتبر اشتراكا فعليا في هذا المخطط ، محملا اياه المسؤولية التاريخية .

نقاش حول الموقف

وقد دار نقاش بين عبد الناصر والملوك والرؤساء قبل ارساله هذه البرقية على اساس ان بعضهم وخاصة العقيد معمر القذافي ، رأى انه لا يجوز الاتصال بالملك حسين لموقفه من القضية الفلسطينية . ولكن عبد الناصر الذي كان قلبه يقطر دما كلما قرأت عليه كل نصف ساعة برقية سفارتنا في عمان عن الاحداث الدامية هناك ، اصر على ضرورة العمل الايجابي لوقف القتال بدلا من الاستمرار في الحوار والمناقشة في قاعة الهيلتون المكيفة ! وعندما اقترح عليه احد الرؤساء العرب

ارسال قوات مصرية مع قوات عربية لاحتلال الاردن ، قال : «سبق لي ان ارسلت قواتنا الى اليمن وخسرنا هناك اكثر من عشرة آلاف شهيد ، وما زالت اسرائيل تحتل ارضنا ، ولست مستعدا ان يستشهد جندي مصري آخر على الارض الاردنية . ومن يريد ان يرسل قواته الى هناك فليتفضل» . وبعد حوار طويل بين الرؤساء والملوك كلفني عبد الناصر ارسال برقية عاجلة باسمهم للملك حسين يطلب فيها ايقاف النيران فورا وتأمين الفلسطينيين والاسر العربية التي تسفك دماؤها وتهتك اعراضها كل ساعة .

● ● السبت ٢٦ سبتمبر (ايلول) :

ـ معركة عمان تدخل يومها العاشر .

ـ القتال مستمر في شمال الاردن ولكن المقاومة تسيطر على معظم مدنه .

ـ نيكسون يعلن تعويض الاردن عن خسائره العسكرية في القتال مع المقاومة ! معلنا منح الاردن خمسة ملايين دولار كمعونة عاجلة .

ـ قرار من الملوك والرؤساء بتحميل الملك حسين مسؤولية الاحداث الجارية في الاردن .

ـ الرئيس النميري يعلن امام مؤتمر صحفي عالمي في القاهرة مذاعا على الهواء جميع تفاصيل اللقاءات والمشاورات التي اجراها ، وكذلك قرار الملوك والرؤساء بتحميل الملك حسين المسؤولية وابلاغ الحقائق للجماهير العربية .

ـ الملك حسين يتصل بعبد الناصر ظهرا ويبلغه انه يرغب في الحضور للقاهرة لتوضيح موقفه امام الملوك والرؤساء ، ولكن عبد الناصر اجل الرد عليه الى ان يعرض الامر على المجتمعين .

ـ الملك حسين يكرر الاتصال بعبد الناصر الساعة السادسة مساء لنفس الغرض .

ـ مناقشات ساخنة بين الملوك والرؤساء لبحث دعوة الملك حسين للقاهرة . استمرت المناقشات اكثر من اربع ساعات ، وكان العقيد معمر القذافي على رأس الرافضين لدعوة الملك حسين ، لانه يعتبره المسؤول شخصيا عما حدث في عمان ولهذا يرفض اشراكه في مؤتمر الملوك والرؤساء العرب . بينما كان جمال عبد الناصر يرأس الجانب الآخر مشيرا اثناء عرضه للموضوع الى الساعة التي بيده ان كلما مرت الدقائق والرؤساء والملوك يتحاورون دون الوصول لاجراء ايجابي لايقاف

النيران ، كلما زاد عدد الشهداء ، وزاد عدد المعتدى عليهم من النساء والاطفال . وحيث انه لم يمكن ارسال قوات عسكرية عربية لغزو الاردن وايقاف القتال ، فالحل الوحيد الآن هو دعوة الملك حسين للقاهرة لارغامه امامهم بايقاف النار فعلا . وبعد منتصف الليل بقليل صدر قرار الملوك والرؤساء بالموافقة على حضور الملك حسين للقاهرة على ان يعقدوا اجتماعا رئيسيا صباح اليوم التالي يحضره الملك حسين وياسر عرفات .

• • الأحد ٢٧ سبتمبر (ايلول) :

ـ الساعة الحادية عشرة صباحا وصل الملك حسين الى مطار القاهرة حيث استقبله عبد الناصر ، ولو ان العقيد القذافي كان معترضا على ذهاب عبد الناصر له الى المطار . ولكن عبد الناصر اصر على استقباله شخصيا عملا بتقاليد الضيافة العربية لكونه صاحب الدار .

ـ اجتمع الملوك والرؤساء العرب الساعة الواحدة ظهرا بحضور الملك حسين وياسر عرفات ، وطلبوا في بدء الاجتماع ان يقتصر حضوره على الملوك والرؤساء فقط دون النواب او اولياء العهد ، فخرج هؤلاء من القاعة ، ثم طلب عبد الناصر بقائي (عبد المجيد فريد) معهم لمتابعة الحوار وما يصدر من قرارات .

ـ كان الحوار ساخنا وتعرض الملك حسين خلاله للعديد من العبارات الحرجة وخاصة من ياسر عرفات . حاول الملك فيصل تهدئة جو المناقشة فطلب تسليم المسدسات التي يحملها كل منهما الي ! (عبد المجيد فريد) حتى لا ينتقل تبادل اطلاق النيران من الاردن الى الهيلتون !

ـ وبعد اكثر من خمس ساعات توصل المجتمعون الى اتفاق ينص على :

اولا : ايقاف النيران فورا في جميع الساحات .

ثانيا : انسحاب الجيش الاردني وافراد المقاومة من كافة المدن قبل مغرب اليوم ذاته .

ثالثا : تكليف لجنة برئاسة الباهي الادغم ممثل الرئيس التونسي بالسفر للاردن غدا (الاثنين ٢٨) لمتابعة تنفيذ الاتفاق .

اعلان الاتفاق

في الساعة التاسعة مساء عقدت جلسة علنية في نفس القاعة حضرها جميع

الاعضاء ، كما دعي اليها ممثلو الصحافة والاذاعات العالمية والمحلية ليحضروا توقيع كافة الملوك والرؤساء بمن فيهم الملك حسين وياسر عرفات على الاتفاقية . خرج عبد الناصر من القاعة فرحا مسرورا يقهقه بصوت عال في حديث مرح مع بعض زملائه اعضاء المؤتمر ، وتوجه الى جناحه في الفندق في الدور الثالث عشر حيث بقي حوالى الساعة مع اعضاء وفد ج . ع . م . وتبادل الحديث مع زملائه انور السادات وحسين الشافعي وعلي صبري ، كما اتفق مع وزير الاعلام محمد حسنين هيكل على خطة الاعلام حول هذا الاتفاق ، ثم جلس بجوار جهاز الراديو Zenith الذي كان يلازمه دائما يحاول التقاط ما تقوله الاذاعات العالمية عن احداث الاردن بعد توقيع الاتفاقية .

لقد تمكن عبد الناصر من وقف نزيف الدماء العربية التي كانت تسيل على ضفاف الاردن ، سواء فلسطينية او اردنية ، كما اضاع الفرصة على الاميركيين او الاسرائيليين في التدخل المباشر في القضية مثلما حدث بعد ذلك بسنوات في احداث مماثلة على ارض لبنان الشقيق .

وقبل ان يغادر عبد الناصر جناحه خرج للشرفة في الدور الثالث عشر لفندق هيلتون حيث اطل على نهر النيل وهو ينساب ليلا بين القاهرة والجزيرة وعلى ضفافه تتلألأ انوار القاهرة والجيزة . كنت واقفا بجواره فرأيت عينيه تبتسمان يملأهما الاعجاب والافتخار بهذا البلد الجميل ، ثم نظر لي وقال : « هذه اول مرة في حياتي ارى فيها هذا المنظر البديع .. الواحد في منشية البكري (حيث كان يقيم عبد الناصر في منزل متواضع) بالنسبة لهذا المكان ميت ومش عايش ! هل يصح يا عبد المجيد أن لا ارى جمال القاهرة الا هذه الليلة فقط ؟ » كان لطيفا وسعيدا . ورغم ابتسامات عبد الناصر في تلك اللحظات ، الا اني كنت ادرك تماما انه تعرض في الايام السبعة الاخيرة الى جهد عصبي ونفسي لا يتحمله بشر . لم ينم في تلك الليالي الا بعد الثالثة واحيانا الخامسة صباحا ليبدأ لقاءاته في التاسعة صباح اليوم التالي .

تحدث معي عندما كنت المصري الوحيد معه اثناء الاجتماع المغلق للملوك والرؤساء . خلال الاستراحات التي كان يطلبها من المجتمعين لكي يتمشى على قدميه لمدة دقائق كل ساعتين ، وذلك عندما اشتد عليه الالم من اعصاب ساقيه

الملتهبة نتيجة الجلوس ساكنا لساعات طويلة . شعرت من حديثه انه يحمل نفسه الاحداث الجسيمة التي جرت في الاردن قائلا : « انه لولا هزيمة ٦٧ لما حدث ما جرى بعمان والاردن . ولولا تلك الهزيمة لما قتل الآلاف من الابرياء والاطفال » . حاولت ان اغير الموضوع او اخفف من الاحداث او ان انكر مسؤوليته الشخصية ، ولكن حساب النفس وصوت الضمير كانا اقسى عليه بكثير من كلماتي .

في الساعة العاشرة مساء غادر الفندق متوجها للمطار لتوديع العقيد معمر القذافي ، وقبل ان يغادر باب الفندق طلب ان يصافح موظفي وعمال الفندق ليشكرهم على ما ادوه من خدمات لضيوف مصر اثناء ايام المؤتمر .

عاد عبد الناصر من المطار الى مكتبه في منشية البكري وبقي فيه حتى اذان الفجر يتابع اعداد التحضيرات اللازمة لانجاح عمل لجنة الاشراف على الاتفاقية مع توفير كل مطالبها ، سواء المالية او العملية . وقبل منتصف الليل بقليل مر عليه في المكتب نجله الاكبر خالد عبد الناصر . لم يكن ذلك امرا عاديا ، فكثيرا ما مر انجاله امام مكتبه ليلا دون التوقف مفضلين عدم ازعاجه . ولكن هذه المرة كان خالد قد اشتاق للحديث مع والده بعد غيابه اسبوعا في المؤتمر في الهيلتون . فترك عبد الناصر الاب الاوراق التي امامه وامتنع عن متابعة الاتصالات التليفونية ليسأل خالد عن احواله في الجامعة وعن دراسته وعن احوال اشقائه عبد الحميد وعبد الحكيم واخبار هدى ومنى . لم يكن حديثا ، ولكن كان وداعا اخيرا دون ان يدري به كل من الاب او الابن .

الرحيل .. ٢٨ سبتمبر (ايلول)

ابدت كافة الدول اهتماما كبيرا باتفاق القاهرة ، ما عدا اسرائيل التي زرعت الشك في فقرات الاتفاق ملوحة بعدم امكانية تنفيذه عمليا . وفي القاهرة بدأت الترتيبات اللازمة لعمل اللجنة العليا للاشراف على تنفيذ الاتفاقية والتي تشكلت من لجنة عسكرية ولجنة سياسية ولجنة للاغاثة . سافر الباهي الادغم رئيس اللجنة الى عمان وفتح اتصالا لاسلكيا مع القاهرة ثم بدأ يمارس عمله وبدأت تختفي تدريجيا اصوات الرشاشات والقنابل في احياء عمان . غادر عبد الناصر مكتبه عند الفجر تقريبا وصعد الدور العلوي في منزله لينام ساعات قليلة لكي يكون في مطار القاهرة في الساعة العاشرة صباحا ليودع الرؤساء سليمان فرنجية ثم الملك

حسين ، ثم الملك فيصل ، ثم جعفر النميري بفاصل نصف ساعة بين توديع الرئيس والآخر . عاد بعد الظهر الى المطار مرة اخرى الساعة الثالثة والنصف ليودع امير الكويت واثناء مراسم التوديع شعر بدوخة مفاجئة مع عرق شديد وشعور عام بالهبوط وعدم القدرة على السير ، بل وعلى الوقوف على قدميه . ولكنه ضغط على نفسه واصر ان يبقى واقفا شامخا ممثلا لشعب مصر الى ان تتحرك طائرة الضيف . في تلك الفترة كان عبد الناصر قد استهلك كل ما بقي لديه من قوة فطلب من سكرتيره المرافق فؤاد عبد الحي ان يحضر السيارة حيثما يقف لكي يلقي بجسده المجهد على مقعدها . وصل الى منشية البكري حيث منزله وهو في حالة اعياء وتعب شديد ، فحضر اليه عدد من الاطباء الذين كشفوا عليه معلنين ان عبد الناصر يمر بأزمة قلبية خطيرة نتيجة انسداد الشريان التاجي للقلب . حاول الاطباء معه جميع الاسعافات لانقاذ قلبه بما في ذلك استعمال جهاز تنظيم ضربات القلب . ولكن في الساعة السادسة والربع كان قضاء الله قد نفذ . وصعدت روحه الى الرفيق الاعلى راضية مرضية . مات عبد الناصر وبقي تاريخ نضاله حيا خالدا الى الابد .

* * * *

الفصل العاشر

عبد الناصر زعيما افريقيا

كانت افريقيا احدى الدوائر الرئيسية التي استحوذت على اهتمامات عبد الناصر وحركته السياسية منذ اوائل الثورة ، فكتب في « فلسفة الثورة » عام ١٩٥٢ :

« لم يعد مفر امام كل دولة ان تجيل البصر حولها تبحث عن وضعها وظروفها في المكان الذي تستطيع ان تعمل فيه .. وما هو مجالها الحيوي وميدان نشاطها ودورها الايجابي في هذا العالم المضطرب ؟ استعرض ظروفنا واخرج بمجموعة من الدوائر لا مفر لنا من ان يدور عليها نشاطنا وان نحاول الحركة فيها بكل طاقاتنا .. ان القدر لا يهزل ، وليست هناك احداث من صنع الصدفة ، ولا وجود يصنعه الهباء .. ولن نستطيع ان ننظر الى خريطة العالم نظرة بلهاء لا ندرك بها مكاننا على هذه الخريطة ودورنا بحكم هذا المكان .. أيمكن ان نتجاهل ان هناك قارة افريقية شاء القدر لنا ان نكون فيها ..؟ وشاء ايضا ان يكون فيها اليوم صراع مروع حول مستقبلها .. وهو صراع تكون آثاره لنا او علينا سواء اردنا ام لم نرد » .

عاد عبد الناصر بعد ذلك بعشر سنوات عام ١٩٦٢ فأكد هذا الخط السياسي بالنسبة للقارة الافريقية فكتب في « الميثاق القومي » : « شعبنا يؤمن بوحدة عربية كما يؤمن بجامعة افريقية .. ان شعبنا يعيش على الباب الشمالي الشرقي لافريقيا المناضلة وهو لا يستطيع ان يعيش في عزله عن تطورها السياسي والاجتماعي والاقتصادي .. ان شعبنا ينتمي الى القارتين اللتين تدور فيهما الآن اعظم معارك التحرير الوطني ، وهو ابرز سمات القرن العشرين » .

كان هناك اكثر من سبب لهذا الاهتمام بالمجال الافريقي . فمصر كما قال عبد الناصر في فلسفة الثورة وفي الميثاق القومي دولة في الركن الشمالي الشرقي لافريقيا مشرفة على الممر الدولي الذي يربط اوروبا بجنوب شرق آسيا وتمتد سواحلها بمحاذاة الساحل الشرقي للقارة ، كما ان افريقيا هي آخر بقاع العالم التي كانت في ذلك الوقت تعاني متاعب جمة من الاستعمار الاوروبي في الوقت

الذي اعلن فيه عبد الناصر كفاحه ضد الاستعمار اينما كان فان مناداته للحرية والاستقلال لا تتجزأ .. لهذا رأى ان على مصر التزامات نضال حتمية فرضتها مبادئ وأسس الثورة .. ولذلك لم يكن غريبا ان القاهرة في الخمسينات والستينات كانت مركزا ومقرا لمعظم ، ان لم يكن لجميع ، الحركات التحررية الافريقية ، وقدمت لها كافة انواع الدعم المعنوي والمادي ، بل واحيانا العون العسكري من اجل محاربة الاستعمار وتحرير اراضيها .. كذلك لم يكن مستغربا ان نمت علاقات نضالية وطيدة بين عبد الناصر وجميع الزعماء الوطنيين الافريقيين مثل جومو كينياتا زعيم حركة « ماو ماو » الذي اصبح رئيسا لجمهورية كينيا فيما بعد ، والرئيس سيكوتوري زعيم الثورة الوطنية في غرب افريقيا الذي اصبح رئيسا لجمهورية غينيا ، والرئيس جوليوس نيريري زعيم حركة تحرير تنجانيقا الذي اصبح رئيسا لجمهورية تنزانيا ، والرئيس مارين نجوابي الزعيم الافريقي التقدمي شمال نهر الكونغو الذي اصبح رئيسا لجمهورية الكونغوبرازافيل ، والزعيم الافريقي المناضل لومومبا ، والعديد من الزعماء والثوار الأفارقة .

ومن اجل ان نتابع نضال عبد الناصر في الدائرة الافريقية ونتفهم حركته السياسية فيها ، اخترت لقاءين من لقاءاته مع زعماء القارة ، أولهما لقاؤه مع احد زعماء شرق افريقيا جوليوس نيريري في يناير (كانون الثاني) ١٩٦٩ ، ثم لقاء آخر له مع احد زعماء غرب افريقيا مارين نجوابي في مايو (ايار) من نفس العام .

عبد المجيد فريد

* * * *

لقاء عبد الناصر مع جوليوس نيريري
رئيس جمهورية تنزانيا
يوم ١٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٩

(كان الرئيس نيريري من اقرب الاصدقاء الافريقيين الى جمال عبد الناصر . ورغم آلاف الاميال التي كانت تفصل القاهرة عن دار السلام ، فقد كان كل منهما يؤمن بنفس الاسس والاهداف بغض النظر عن اختلاف اسلوب التطبيق وفقا للظروف المحلية في كل من الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية تنزانيا .

تبادلا الزيارات عدة مرات في القاهرة ودار السلام ، كما اجتمعا اكثر من مرة في لقاءات دولية وافريقية على مستوى دول عدم الانحياز او ضمن مجموعة دول المنظمة الافريقية . كان الحديث بينهما دائما حارا صريحا الى اقصى الحدود . تشاورا اكثر من مرة ، ولم يقتصر حديثهما على القضايا الخارجية فقط وانما شمل في بعض اللقاءات السياسات الداخلية في البلدين ، بل واسلوب الممارسة العملية للتنظيمات السياسية هنا وهناك . اذكر في احدى زيارات عبد الناصر لدار السلام ان طلب مني – بعد الاتفاق مع الرئيس نيريري – دراسة نظرية وعملية للخلايا الحزبية القاعدية في الاحياء السكنية والقرى التنزانية التي كانت تسمى « خلية العشش العشرة » . وهي الخلية الحزبية القاعدية التي تضم اعضاء الحزب القاطنين في كل عشر عشش متجاورة .. وقد استفدنا بعد ذلك من هذه الدراسة في تشكيل (لجان المربعات السكنية) في الاحياء الشعبية لمدينة القاهرة . كما كلفني ايضا بدراسة اساليب عمل التنظيم النسائي بين ربات البيوت اللاتي لا يتمتعن بأي قدر من التعليم او الثقافة .

* * * *

وننتقل الآن الى احدى اللقاءات بينهما وهو الذي تم بالقاهرة يوم ١٨ يناير – كانون الثاني – ١٩٦٩ حيث اجتمع عبد الناصر ونيريري وعدد من الوزراء المصريين والتنزانيين حول المائدة الرئيسية في القاعة الكبرى بقصر القبة . وبعد ان رحب عبد الناصر بالرئيس الضيف ووفده قال) :

● عبد الناصر : اننا اعتدنا ـ رغم وجودنا في شمال القارة وانتم في الجنوب الشرقي منها ـ ان نتبادل الرأي ونتشاور معا في كافة القضايا الدولية وفي كل ما يهم البلدين .

● ● الرئيس نيريري : حرصت ان ازورك مباشرة بعد مؤتمر الكومنولث الذي عقد اخيرا في لندن لاعرض عليك اهم الموضوعات التي بحثت من اجل ان نكون معا رأيا مشتركا بشأنها . قدّمت في الاجتماع بلندن مشروعا جديدا لحل مشكلة روديسيا ، ولكن للاسف لم يلق التأييد من جانب الحكومة البريطانية . كنت اعلم مسبقا ان مندوب الحكومة البريطانية سيعترض على الفقرة الثانية من المشروع التي تتضمن العقوبات المقترحة ، بالرغم من ان رئيس وزراء بريطانيا (مستر ويلسون) سبق ان اكد لي اكثر من مرة رغبته في انهاء مشكلة روديسيا قبل موعد الانتخابات البريطانية التي ستجري العام القادم .

كما ان ممثل كندا كان يعبر في الاجتماعات عن الخط المتحفظ ازاء كل ما قدم من مشروعات لحل هذه المشكلة . وانحصرت كل اهتماماته في الموضوعات التي تخص كندا فقط متجنبا المساهمة الايجابية في حل اي قضايا اخرى .

● عبد الناصر : لي رأي خاص في اجتماعات الكومنولث . انها لقاء لمجموعة من الرؤساء يتم التشاور بينهم في موضوعات ثنائية وليس في قرارات عامة . كما انها تعتبر فرصة مناسبة لكل رئيس دولة من دول الكومنولث ، سواء في افريقيا او في آسيا ، لأن يعبر للآخرين عن رأيه في القضايا الدولية . لهذا فاني ارى الاستفادة منها لعرض وجهات نظرنا الخاصة بغض النظر عن تحفظ الرؤساء عند اصدار القرارات .

● ● نيريري : ان التحفظ في اصدار القرارات وعدم الوضوح وابقاء الضباب حول آراء الرؤساء المشتركين هو الذي ابقى (الكومنولث) على قيد الحياة كمنظمة سياسية حتى الآن ، وإلا كانت تبخرت وانتهت منذ زمن بعيد .

● عبد الناصر : انتقل الى موضوع آخر وهو مشكلتنا الاساسية مع اسرائيل . الوضع العام لم يتغيّر كثيرا عما كنت شرحته لك في لقائنا العام الماضي ، وذلك بسبب الموقف المعادي للولايات المتحدة الاميركية . في الفترة الاخيرة زار المنطقة العربية واسرائيل ممثل الرئيس نيكسون ليتعرف على الجديد من الآراء . ما زالت

اسرائيل ترفض تنفيذ قرار مجلس الامن متجاهلة الانسحاب الكامل من الاراضي التي احتلتها ، مرددة فقط موضوع « الحدود الآمنة » دون ابداء اية تفاصيل عنها الا بعد الاجتماع المباشر على مائدة المفاوضات بيننا وبينهم . وفي الحقيقة ترفض اسرائيل اصلا الانسحاب الكامل الى حدود ٥ يونيو ، وهذا ما لا نقبله بأي شكل ، لأن معنى ذلك هو قبول التوسع الاسرائيلي على حساب الاراضي العربية .

ان استراتيجية اسرائيل مبنية على اساس اجبارنا على القبول بحل معين To force a Settlement . ولهذا فهي حريصة جدا على استمرار تفوقها العسكري علينا . ولهذا ايضا نرى انها ـ رغم ميزانيتها المحدودة ـ تخصص مبالغ طائلة للميزانية العسكرية اذ بلغت هذا العام حوالى ٣٠٠ مليون جنيه استرليني . كما ان الولايات المتحدة الاميركية مستمرة في تزويدها بأحدث الطائرات والمعدات العسكرية ، فأرسلت لها اعدادا كبيرة من طائرات « السكاي هوك » ثم طائرات « الفانتوم » . معنى ذلك انه طالما ان امريكا تقف معها هذا الموقف فالمشكلة لن تحل في اي يوم لصالح العرب او ان يوضع لها حل عادل .

حاول « راسك » وزير خارجية امريكا ، في حديث اخير له مع محمود رياض (وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة) ، ان يفتت القضية العربية ويحولها الى عدة قضايا بأن تكون قضية مصرية / اسرائيلية ثم قضية اردنية / اسرائيلية ثم قضية سورية / اسرائيلية .. الخ . وطبعا في ذلك خطر كبير على القضية كلها . تصور مثلا الاردن الضعيف عسكريا يدخل في مفاوضات ثنائية مع اسرائيل المتفوقة عليه عسكريا . اي انه سيجد نفسه غير قادر ، من الوجهة العملية ، على الوقوف امام اطماع ومطالب اسرائيل في القدس والضفة الغربية .

عامة ، بعد ايام قليلة يترك جونسون الرئاسة في اميركا ويأتي بعده نيكسون . ولكني اعتقد ان الموقف الامريكي لن يتغير كثيرا لأن الشخصيات الامريكية اليهودية المسيطرة على بعض المراكز الرئيسية في امريكا باقية كما هي ، مثل العناصر الموجهة لسياسة وزارة الخارجية ، وفي البيت الابيض ، وفي وفد امريكا لدى الامم المتحدة . وهؤلاء يسببون لنا متاعب شديدة .

جانب آخر للقضية هو ان هناك منظمات فدائية عربية تزداد قوتها يوما بعد

يوم . وهذه ضد الحل السلمي بوجه عام ، وتمارس القتال ليس لتحرير الارض المحتلة فقط ، وانما من اجل استرجاع ارض فلسطين .

عرض السوفيات اقتراحا جديدا لتنفيذ قرار مجلس الامن ، ولكن اسرائيل رفضته ايضا . كما ان رد امريكا على الاقتراح الروسي كان سيئا للغاية . وصلني نص الرد ولم اكن اتصور ان يكون ردهم بهذا القدر من السوء ، كما كان يعبر عن وجهة النظر الاسرائيلية ١٠٠ ٪ والتي تتلخص في انها تقصد بعبارة « امن اسرائيل » ان تتوسع في حدودها على حساب اراض عربية جديـدة .. لهذا انا لست متفائلا بنجاح اي حل سلمي الى ان تشعر اسرائيل اننا قادرون ، عسكريا ، على كسب المعركة المقبلة معهم .

اما عن اعدادنا العسكري ، فقد اعدنا بناء قواتنا المسلحة بمساعدة الاتحاد السوفيتي واصبح موقفنا العسكري مختلفا كثيرا عما كان عليه في العام الماضي ، اذ اصبحنا قادرين الآن على صد اي عدوان اسرائيلي على الجبهة ، كذلك من الناحية الاقتصادية فقد تحسن كثيرا موقفنا الاقتصادي عن الاعوام السابقة .

ختاما لعرضي بشأن هذه المشكلة ، فان اسرائيل تأمل ، باستمرارها في الاحتلال العسكري لاراضينا ، ان ينفجر الموقف داخليا في مصر . ولهذا فنحن نبذل اهتماما خاصا لتنظيم جبهتنا الداخلية في كافة القطاعات ، ولو اننا لم ننجح كثيرا في قطاع الطلبة ، كما ان التناقض بين الطبقات الذي ما زال موجودا الى حد ما يسبب لنا العديد من المتاعب والمشاكل الداخلية .

شخصيا ، كنت اتوقع ان ينفجر الموقف في الجبهة الداخلية بعد ستة اشهر من الهزيمة العسكرية . ولكن مضى الآن حوالى ثمانية عشر شهرا وما زالت الجبهة الداخلية صامدة ومتماسكة .. ولو ان القوات المسلحة ما زالت هي القوى المؤثرة على استقرار الجبهة الداخلية .

● ● محمود رياض : اود ان اضيف بعض التفاصيل على الموقف السياسي بالنسبة للمشروع الروسي الذي قدم اخيرا . وافقت عليه فرنسا ، وقالت عنه بريطانيا انه مشروع بناء . ولكن بعد ان رفضته اسرائيل بدأت الولايات المتحدة الامريكية تضع امامه عدة عراقيل . فقالت بصراحة تامة ، ولأول مرة ، ان الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية لن يتم الى خطوط ٥ يونيو مؤيدة بذلك اطماع

اسرائيل في التوسع الاقليمي . كما نصت امريكا في ردها على المشروع على ضرورة بحث كافة النقاط بين الجانبين العربي والاسرائيلي عن طريق المفاوضات المباشرة . كذلك تعمدت في ردها اغفال الاشارة الى منظمات المقاومة الفلسطينية التي عبرت عنها « بالارهابيين العرب » (Arab Terrorists) .

طبعا كنا نتوقع ان يرفض الاميركيون الاقتراح السوفيتي ، ولكن ليس بهذه الصيغة ..!! والآن ادركنا لماذا كان ردهم بهذا الاسلوب . السبب هو ان الحكم الحالي في الولايات المتحدة الامريكية سيترك كراسي السلطة بعد يومين ، ويريد ان لا يترك للحكم الجديد اية فرصة للمناورة او التحرك بعيدا عن هذا الخط المنحاز لاسرائيل . ان سياسات امريكا لا يقررها الرؤساء بقدر ما تقررها اجهزة خاصة ، وفي المدى الذي رسمته تلك الاجهزة للاستراتيجية الامريكية في اطار التحالف الامريكي / الاسرائيلي .

● عبد الناصر : يصر الاسرائيليون على ان ارض التوراة تمتد من النيل الى الفرات ، ويأملون ان يتحقق هذا الحلم تدريجيا على مر السنين .

جانب آخر من المشكلة تعذر حلّه . ليس بسبب آراء وقرارات اسرائيل فقط ، وانما بسبب من هم وراء اسرائيل .. الولايات المتحدة الامريكية والمانيا الغربية . ان علماء المانيا يعملون الآن في اسرائيل في مجالات هامة جدا مثل مجال الذرة ، الكيماويات ، البكتريولوجيا . كما ان استراتيجية اميركا في المنطقة تتلخص في ايجاد دولة تابعة لها ، ضامنة ولاءها داخل المنطقة العربية ، من اجل ان تكلفها بتنفيذ المهام الثلاث التالية :

أولا : تصدير الخبرات الفنية العالية لدول المنطقة .

ثانيا : السيطرة الكاملة على تجارة المنطقة .

ثالثا : ان تصبح مركزا لتصدير الاستثمارات الاجنبية لدول المنطقة ومتابعة سير تلك الاستثمارات من اجل انمائها .

● ● نيريري : اشكرك كثيرا باسمي وباسم وفدي على المعلومات القيمة التي اوضحتموها لنا عن جوانب هامة للمشكلة العربية الاسرائيلية ، وعن الاسباب الرئيسية التي تتحكم في مواقف اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية .

● عبد الناصر : انتقل الى موضوع تحسين ونمو العلاقات الثنائية . وفي هذا

المجال اعتقد انه يمكن ، عن طريق اعضاء الوفد التنزاني والوزراء المصريين المختصين ، اعداد اقتراحات محددة لهذا الغرض . ومن جانبنا ، فاننا نرحب بأي نمو واطراد للعلاقات بين البلدين في كافة المجالات .

* * * *

(وهنا انتهى اللقاء واتفق كل من محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة ، ووزير خارجية تنزانيا على اجتماع مشترك من اجل صياغة البيان الختامي عن هذا اللقاء . كما قمت باعداد اللقاءات المطلوبة للوزراء المرافقين للرئيس نيريري مع الوزراء المماثلين لهم في مصر) .

* * * *

لقاء عبد الناصر مع الرئيس ماريين نجوابي
رئيس جمهورية الكونغو الشعبية
يوم ٢١ مايو (ايار) ١٩٦٩

(كان ماريين نجوابي شابا ثائرا من قيادات افريقيا المخلصة المتفانية في محاربة الاستعمار والامبريالية بكافة اشكالهما . قاد نضالا مريرا في منطقته بغرب افريقيا في الكونغو . ولكنهم تمكنوا منه في النهاية وقتلوه عام ١٩٧٧ بمساندة انقلاب عسكري تصدى له بكل ما يملك ، الى ان اضطر اخيرا ان يشتبك مع مهاجميه مستخدما رشاشه الشخصي داخل ردهات قصره في العاصمة برازافيل .

كان عبد الناصر سعيدا دائما كلما سنحت الفرصة لان يلتقي مع احد الثوار او الاحرار الافارقة محاولا ان يقدم لهم ما اكتسب من خبرة عملية في مواجهة الاستعمار وقوى الامبريالية . لهذا كان ترحيب عبد الناصر بضيفه الكونغولي ترحيبا حارا .

تم اللقاء بالقاهرة في قصر القبة حيث اجتمع الوفدان حول مائدة المباحثات بقاعة الاجتماعات وبدأ عبد الناصر الحديث قائلا) :

● عبد الناصر : ارحـب بكم في بلدنا وأتمنى لكم زيارة طيبة ... منذ قيام الثورة في جمهوريتكم ونحن حريصين على انماء العلاقات الودية بيننا وبينكم

لتشمل كافة المجالات . نحن نتابع كل ما يحدث ببلدكم ، كما ندرك جيدا الصعوبات والمتاعب التي تثيرها القوى المضادة ضد ثورتكم . ولولا الظروف الصعبة التي نمر بها في بلدنا في الوقت الحاضر بسبب العدوان الاسرائيلي ، لكانت مساهمتنا الايجابية لتدعيم ثورتكم من اجل التغلب على المصاعب التي تواجهونها اكثر فعالية .

اقترح ان يبدأ الحوار بأن اعرض عليكم موقفنا السياسي من المشكلة العربية ـ الاسرائيلية ، وكذلك وجهة نظرنا في اهم القضايا السياسية العالمية . بعد ذلك نود ان نسمع منكم آخر التطورات السياسية في غرب افريقيا .

وقبل ان اتعرض للموقف السياسي نودّ ان نؤكد لكم ولأعضاء وفدكم اننا في الجمهورية العربية المتحدة نشعر بسعادة بالغة لهذا اللقاء معكم ، ونرجو ان يكون فاتحة خير وتقدم لخدمة شعوبنا وشعوب افريقيا ولصالح السلام العالمي .

● ● نجوابي : أتقدم لكم باسمي وباسم وفد الكونغو الشعبية بالشكر والتقدير لما خصصتموه من وقت للتباحث معنا رغم مشاغلكم الحالية ... اننا على ضفاف نهر الكونغو ننظر الى عبد الناصر كمؤسس للوحدة الافريقية . ولهذا لا يمكن ان تكون العلاقات بين الكونغو وبينكم الا علاقات وطيدة راسخة .

ان الحزب في بلدنا يهتم بكل ما يجري في بلدكم مقدرا ما تقدمونه من مساعدات ايجابية للشعب الكونغولي رغم الظروف الصعبة التي تمرون بها ... لقد اتخذتم موقفا موضوعيا لدعم ثورتنا ودعم بلدنا ، كما لا ينسى الشعب الكونغولي ايضا مواقفكم النضالية من قضايا التحرر في افريقيا بل وفي العالم اجمع . لهذا كان اصرارنا على بناء علاقات متينة ودائمة مع الشعب العربي .

ان شعبنا الكونغولي يتابع باهتمام زائد المشكلة العربية ـ الاسرائيلية ، ولم يتغيّر موقفه منها منذ البداية . وهو يساند الشعوب العربية ضد القوى الاسرائيلية المعتدية . ولا غرابة في ذلك ، لأن الحركات التحررية الافريقية تطالب دائما بتحرير اراضيها وطرد المعتدين منها . لذلك كان منطقيا ان يقف شعبنا الحر مع الحق العربي ، وان نطالب معكم بتنفيذ قرار مجلس الامن وانسحاب القوات الاسرائيلية المحتلة للاراضي العربية .

اننا جميعا نأمل ان يكون هناك حل سياسي لهذه القضية في اقرب وقت ممكن .

ولكن في نفس الوقت نرى انه من حق الشعب العربي ان يلجأ الى استخدام الوسائل الاخرى لاستعادة اراضيه المحتلة ... فذلك امر مشروع طالما لم يتمكن الشعب من استعادة حقوقه بالوسائل السلمية . هذا المنطق نفهمه جيدا وندرك كافة نتائجه .

نحن في الكونغو على ثقة تامة من ان كل شعب لا بد وان يحصل في نهاية نضاله على استقلاله وحريته الكاملة ، وأمامنا مثل مضيء وهو نضال شعب فيتنام . كما اننا واثقون ايضا ان وجود المعتدي على ارض غيره هو وجود مؤقت ، ولهذا فان الوجود الاسرائيلي على الارض العربية لا بد وان يكون مؤقتا .

ان ما حدث في الشرق الاوسط يتكرر في افريقيا . فنرى الدول الغربية الكبرى تحاول خلق ظروف غير طبيعية في بعض الدول الافريقية مثل ما حدث في نيجيريا اخيرا . اننا في الكونغو مع وحدة شعب نيجيريا وضد تفتيته ، ونأمل ان يكون هناك حل افريقي في القريب العاجل لتوحيد هذا الشعب .

كذلك بالنسبة للبلاد الافريقية التي ما زالت اراضيها محتلة حتى الآن . فالشعب الكونغولي يساند كل الجهود التي تبذل من اجل تحريرها ومن اجل الحصول على استقلالها .

سيادة الاخ الرئيس .. لا اود ان اثقل عليك ـ وأنت تحمل مشاكل عديدة ـ بالحديث عن جميع المتاعب الافريقية . لهذا اقترح ان نكلف وزيري الخارجية لبلدينا بالقيام بدراسة مشتركة لموقف ومشاكل كل دولة افريقية .

● عبد الناصر : نحن في القاهرة لن ننسى وقوفكم الصلب معنا ضد القوى الامبريالية ، وموقفكم الشجاع ضد اسرائيل . اما عن المشاكل الافريقية ، فاني اوافقك على انها تحتاج لدراسة تفصيلية بين وزيري الخارجية حتى يمكن اجراء تنسيق مشترك بيننا ازاء هذه المشاكل . كما ارجو ان يقوم الوزيران ايضا ببحث وسائل تدعيم العلاقات بين شعبينا .

جانب آخر عن السياسة الدولية اود ان اتعرض اليه ، وهو ان السير في سياسة مستقلة مئة بالمئة ليس بالامر اليسير لاية دولة من الدول الصغيرة . لأن هناك دائما الاستعمار العالمي ، وهناك ايضا الدول الكبرى التي تريد ان تضعنا داخل اطار نفوذها .

ولا شك انكم على علم تام بالطرق والوسائل التي تتبعها الولايات المتحدة الامريكية ضد الثورات التحررية في افريقيا ، بل وضد باقي الثورات في انحاء العالم كله . وهنا في مصر ، لنا تاريخ طويل مع الولايات المتحدة الامريكية . لأننا ، بكل بساطة ، عندما أعلنّا اننا مع تحرير الشعوب في كل مكان ، واكدنا ان الحرية لا تتجزأ ، فاننا قد اعلنّا في الواقع التصدي للسياسات الاستعمارية واساليبها المختلفة اينما كانت .

اصلا ، لا يوجد خلاف بيننا وبين اميركا . ولكنها اخذت علينا مساعداتنا للدول الافريقية والوقوف بجوار نضال شعوبها للتحرر والاستقلال . اخذت علينا موقفنا في مساعدة شعب الكونغو (ليوبولدفيـل) من اجل الحصول على استقلال بلاده ، وحاسبتنا على وقوفنا بجوار المناضل الافريقي « باتريس لومومبا » . كذلك على وقوفنا الى جانب نضال «جوموكينياتا» وقبائل « الماو ماو » من اجل استقلال كينيا . وايضا على موقفنا بشأن استقلال ملاوي والوقوف بجوار الدكتور « باندا » ، ولو انه عاد مع الأسف فأخذ بعد ذلك موقفا آخر تجاه حكومة جنوب افريقيا .

عامة ، السير في طريق السياسات المستقلة المتحررة يحتاج الى تشاور وتنسيق مستمرين مع الاصدقاء والثوار . ذلك ان الاستعمار وعملاءه يتربصون بنا دائما آملين ان نتقاعس وان يتعثر سيرنا على طريق التحرّر . كما سيحاولون دائما ، وبشتى الوسائل ، ضربنا والانقضاض علينا .

نحن في مصر ايدنا نيجيريا من اجل الحفاظ على وحدتها وعدم تقسيمها . قيل اننا اخذنا هذا الموقف لاسباب دينية ، ولكن في الحقيقة لم يكن ذلك هو السبب . لقد اتخذنا ذلك الموقف على اساس وطني بحت ، ولادراكنا اننا لو تركنا الاستعمار ينجح في تفتيت وحدة نيجيريا التي تعتبر اكبر دولة افريقية ، فانه سيحاول بعد ذلك تطبيق نفس الخطة مع دول افريقية اخرى بهدف خلق صراعات مستمرة داخل القارة الافريقية ، ومن اجل تفتيت وحدة بلادها . لهذا بادرنا فورا الى مساعدة نيجيريا ، فأرسلنا لها معونات عاجلة بما في ذلك قوة عسكرية من الضباط والطيارين المحالين على التقاعد ليقاتلوا جنبا الى جنب مع الشعب النيجيري ضد تفتيت وحدته وضد المرتزقة من عملاء الاستعمار . كل ذلك تعبيرا عن ما نصّ عليه ميثاقنا القومي وتعبيرا عن المبادئ التي نؤمن بها .

على نفس الطريق سبق ان دعمنا « مكاريوس » في قبرص . ولم يكن تأييدنا لنظامه في ذلك الوقت لاسباب دينية ، وانما كان ايضا لاسباب وطنية ومبدئية ، رغم ان الدول الاستعمارية استغلت هذا الموقف وحاولت ان تثير مسلمي تركيا ضدنا . ولكن الحقيقة تظهر دائما ولو بعد حين .

ختاما ، اود ان اوضح موضوعا سياسيا هاما . وهو ان الاستقلال ليس علما ونشيدا فقط ، وانما هو اكثر من ذلك بكثير . الاستقلال ، وخاصة للدول الافريقية ، يحتاج لبذل جهود ضخمة ويتطلب نضالا شاقا ومستمرا من القيادات المخلصة حتى يمكن تحقيقه كاملا وحتى يمكن المحافظة عليه . كما يجب ان لا ننس حقيقة اخرى هي ان المؤامرات ستحاك دوما هنا وهناك ضد الحكم الاسود المستقل في افريقيا .

أما بالنسبة للوضع في منطقتنا العربية ، فان الولايات المتحدة الامريكية تلعب دورا كبيرا في الاحداث الجارية بالمنطقة وخاصة بالنسبة للنزاع العربي ـ الاسرائيلي . فمثلا نجد ان الميزانية العسكرية لاسرائيل ، ذات المليونين ونصف المليون نسمة ، اكبر من ميزانية الجمهورية العربية المتحدة ذات الثلاثين مليون نسمة ! وسبب ذلك هو الدعم المالي والعسكري غير العادي الذي توفره اميركا سنويا لاسرائيل من اجل ان تبقى متفوقة عسكريا على الدول العربية .

نسأل انفسنا لماذا هذا الموقف ؟ الاجابة واضحة ، وهي ان اميركا تعتبر اسرائيل رأس جسر لها في المنطقة العربية . كما ان اسرائيل ، في نفس الوقت ، تطمع بالتوسع على حساب المزيد من الاراضي العربية لاقامة اسرائيل الكبرى بتأييد من حلفائها المعروفين اميركا وبريطانيا . من اجل ذلك تضع اميركا وبعض الدول الغربية العراقيل الواحد تلو الآخر لعدم تنفيذ قرار مجلس الامن الذي صدر منذ عامين تقريبا .

الآن ، أرى ان واجبنا الاساسي هو الاستعداد لتحرير اراضينا المحتلة بكافة الوسائل شرط ان نكون حذرين ولا نقع في حبائل الخداع التي سبق ان وقعنا فيها قبل احداث ١٩٦٧ بقليل عندما ابلغتنا اميركا رسميا ، قبل العدوان الاسرائيلي بثلاثة ايام فقط ، انها تعارض القيام بأي عدوان جديد في المنطقة العربية معارضة صارمة . وكلنا يعلم ان هذا تم في الوقت الذي كان فيه التواطؤ بين اميركا واسرائيل

للقيام بعدوان مفاجئ قد حسم واكتملت خطته . يكفي ان ادلل على قولي بالمواقف العملية التي اتخذتها اميركا لتدعيم اسرائيل سياسيا وعسكريا وتزويدها منذ ذلك الوقت حتى الآن بأعداد كبيرة من العتاد العسكري والطائرات الحديثة رغم رفض اسرائيل تنفيذ قرارات المؤسسة الدولية ومجلس الامن والانسحاب من الاراضي العربية المحتلة .

أما عن علاقاتنا مع الاتحاد السوفييتي فهي وطيدة ومتزايدة ، كما انه المصدر الوحيد الذي يمدنا بما نحتاجه من اسلحة وطائرات حديثة لاعادة بناء قواتنا المسلحة والتصدي لأطماع اسرائيل التوسعية .

أما عن الدول الافريقية التي ما زالت صامتة ولم تفصح عن موقفها السياسي حتى الآن ازاء مشكلة الشرق الاوسط ، فاننا نتمنى ان تحدد تلك الدول الافريقية رأيها بوضوح وتخرج عن صمتها واضعة في الاعتبار ان القضية اساسا هي قضية افريقية ايضا وليست قضية عربية فقط ... لهذا نحن نسعى ونطالب اشقاءنا في الدول الافريقية بتأييدنا .

• • نجوابي : أشكرك يا سيادة الرئيس على المعلومات القيمة التي اوضحتها لنا بالنسبة للقضايا الدولية والتي اكدتم بها مبادئكم ومواقفكم المشرفة التي نعرفها اصلا عنكم .

اما عن العلاقات الثنائية بيننا واهمية تحسينها والتوسع في مجالاتها ، فاني اقترح ان نترك لوزير الخارجية والوزراء المختصين من البلدين تحديد تفاصيلها .

• عبد الناصر : اوافق على رأيكم بشأن البيان السياسي لهذا اللقاء ، وكذلك فيما يختص بتحسين العلاقات الثنائية والتوسيع فيها مؤكدا لك استعدادنا لتقديم كل ما يمكننا تقديمه لكم من دعم وتأييد . كما اقترح ايضا اهمية اجراء اتصالات مباشرة ولقاءات مشتركة بين حزبكم وتنظيمنا السياسي ، الاتحاد الاشتراكي العربي .

• • نجوابي : أكرر شكري وشكر اعضاء وفد الكونغو الشعبية على الاستقبال الحار الذي لمسناه في بلدكم رغم الظروف والايام الصعبة التي تمرون فيها ، كما

اشكركم ، كمواطن افريقي ، على المساعدات الصادقة الايجابية التي تقدمونها لثوار افريقيا واحرارها من اجل الحصول على استقلالها والمحافظة عليه .

* * * *

(وهنا انتهى الاجتماع بين الرئيسين ، وبدأ الاجتماع المشترك لوزراء الخارجية والوزراء المتخصصين من البلدين لدراسة وتحديد كافة التفاصيل في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية) .

الفصل الحادي عشر

عبد الناصر يعترف

١ ـ مناقشات القيادة السياسية لاسباب الهزيمة وخط العمل .
٢ ـ قصة صراع عبد الناصر مع القيادة العسكرية السابقة .
٣ ـ الخلاف مع القيادة السياسية حول النظام السياسي الجديد المطلوب .

● اول اجتماع للجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي بعد الحرب ـ اسباب الهزيمة ـ مناقشات الايام الحاسمة التي سبقت الحرب ـ القيادة العسكرية ترفض التعديلات على خططها ـ صراع عبد الناصر مع القيادة العسكرية قبل الحرب وبعدها ـ عبد الناصر : النظام الحالي استنفد مداه ولا بد من نظام جديد يقوم على معارضة حقيقية وحزبين متنافسين ـ القيادة السياسية ترفض اقتراح عبد الناصر ـ آراء كل من زكريا محي الدين ، صدقي سليمان ، حسين الشافعي ، انور السادات ، علي صبري ، عبد المحسن ابو النور .

عبد الناصر :

● اختلف معكم جميعا والمعارضة المصطنعة معارضة ممسوخة .
● تفسخ نظامنا وتفككت الدولة لاحزاب عديدة غير معلنة .
● قصرنا جميعا في مسؤولياتنا واصبحنا نخاف النقد .
● نجرّح حاليا داخل المنازل والافضل ان نجرّح خارجها .
● لنترك مكاننا لمنافسينا الجدد اذا كانوا افضل واصلب .

اعتقد ان الفصول التي قدمتها من « محاضر عبد الناصر » في المجال الخارجي كافية لأن تكون لدى القارئ العربي صورة حية لنضال عبد الناصر وحركته السياسية من خلال لقاءاته مع القيادات العربية والعالمية . فعرفنا عن قرب مواقف عبد الناصر في مختلف القضايا العربية والدولية ، كما تعرفنا ايضا على كيفية معالجته للعديد من المشاكل السياسية المعقدة . ولكن من اجل ان تكتمل رسم صورة عبد الناصر السياسية في ذهن كل قارئ ، يصبح من الضروري ان يتعرف على نموذج من لقاءاته وحواره في السياسة الداخلية . وباستعراض لقاءاته في هذا المجال لم اجد اعمق ولا اكثر وضوحا من لقاء جرى بعد الهزيمة مباشرة مع اعضاء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي ـ اعلى سلطة سياسية في البلاد ـ يومي الخميس والجمعة ٣ و ٤ اغسطس (آب) ١٩٦٧ . وقد تضمن اللقاء اعترافات صريحة لعبد الناصر يدلي بها لاول مرة عن رأيه وعن نقده لنظام حكمه ، وعن تصوره لنظام الحكم في مصر في المستقبل .

كانت اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي هي السلطة العليا للحكم خلال السنوات الاربع الاخيرة من عهد جمال عبد الناصر . تكونت بالتعيين في اول عهدها حتى برنامج ٣٠ مارس (آذار) ١٩٦٨ الذي نص على ضرورة انتخاب كافة مستويات التنظيم السياسي ، فشكلت بالانتخاب من بين اعضاء اللجنة المركزية .

في اول الأمر ، خلال مرحلة التعيين ، تكونت من الرئيس واعضاء مجلس الثورة الباقين في الحكم معه ، مضافا اليهم رئيس الوزراء ، فضمت عبد الناصر ، عبد الحكيم عامر ، زكريا محي الدين ، انور السادات ، حسين الشافعي ، علي صبري ثم رئيس الوزراء صدقي سليمان .

وبعد انتخابات العام ١٩٦٨ تكونت من عبد الناصر ، علي صبري (الذي حصل على اكثر الأصوات ، ١٣٤ صوتا) حسين الشافعي (١٣٠ صوتا) الدكتور محمود فوزي (١٢٩ صوتا) انور السادات (١١٩ صوتا) رمزي

استينو (١١٢ صوتا) ضياء الدين داوود (١٠٤ اصوات) عبد المحسن ابو النور (١٠٤ اصوات) لبيب شقير (٨٠ صوتا). وقد تركت نتيجة الانتخابات وعدد الاصوات التي حصل عليها اعضاء اللجنة الفائزين آثارا عميقة في نفسية بعضهم ترسبت عليها تعقيدات سياسية عاني منها الكثير جمال عبد الناصر . وقد حضرت شخصيا كافة اجتماعات هذه اللجنة منذ اول تشكيلها حتى وفاة عبد الناصر بصفتي امين اللجنة العليا للاتحاد الاشتراكي .

وباستعراض لقاءاتها ، لأقدم للقراء صورة حية لعبد الناصر في حركته السياسية في المجال الداخلي ، لم اجد لقاء اكثر حيوية واعمق نضجا من لقاء يوم الخميس ٣ اغسطس (آب) عام ٦٧ وامتداده الى يوم الجمعة ٤ اغسطس (آب) . عقد اللقاء في ظروف سياسية غير عادية فجعلت منه اجتماعا غير عادي للجنة العليا وذلك للاسباب الآتية :

اولا ـ انه اول اجتماع للجنة التنفيذية العليا بعد الهزيمة في يونيو (حزيران) ٦٧ . وحيث انها اعلى سلطة سياسية في البلاد ، قبل العدوان وبعده ، فهي بكاملها تتحمل المسؤولية الكبرى في ما حدث .

ثانيا ـ تجتمع اللجنة بعد ٩ ، ١٠ يونيو (حزيران) اي بعد اصرار الشعب المصري على زعامة عبد الناصر واستمرار المعركة لثقتهم المطلقة فيه بعد قيادة نضالية لمدة خمسة عشر عاما . ولقد كان هذا التأييد الشعبي العارم الذي ادهش العالم كله ، بل وما زال تفسيره غير واضح عند بعض المعلقين السياسيين ، موجها لعبد الناصر بصفته الشخصية ، وليس لنظام الحكم او الى لجانه التنفيذية او السياسية . لقد كان التأييد الشعبي يوم ٩ و ١٠ يونيو (حزيران) بمثابة صك على بياض وقعه الشعب المصري لعبد الناصر ليقوده للخلاص من الهزيمة وليعيده الى سنوات النصر .

ثالثا ـ ان اللجنة تجتمع لأول مرة من ستة اعضاء فقط بعدما غاب عنها العضو السابع وهو المشير عبد الحكيم عامر الذي شاركهم المسؤولية والاجتماعات طوال الفترة السابقة . وكان لغيابه اثر نفسي بين الاعضاء ، وخاصة عندما دخلوا قاعة الاجتماعات وهموا بالجلوس في مقاعدهم ، خصوصا بالنسبة للمقعد الذي خلا الى يمين عبد الناصر ، مقعد عبد الحكيم عامر .

كان ميعاد اللقاء بعد ظهر الخميس ٣ اغسطس (آب) في الدور الحادي عشر في قاعة اجتماعات اللجنة العليا في مبنى الاتحاد الاشتراكي على كورنيش النيل . وقد لاحظت وأنا جالس مع اعضاء اللجنة في الصالون المجاور لمكتب عبد الناصر ان الوجوم يغطي وجوه الأعضاء وهم جالسون في صمت كامل وكأن على رؤوسهم الطير ! تاهت الابتسامات واختفت حتى الكلمات العادية التي كانوا يتبادلونها دائما قبل حضور رئيس اللجنة .

حضر عبد الناصر وتبادل مع الاعضاء كلمات قصيرة على غير عادته قبل كل جلسة ، ثم اشار الي للتحرك نحو قاعة الاجتماعات لبدء الجلسة .

لقد كانت جلسة ساخنة ، اذكر كلماتها واذكر انفعالات الرئيس والاعضاء خلال الساعات الطويلة التي استغرقتها حتى منتصف الليل . ولم ينته الحوار فاستكملت في اليوم التالي ، يوم الجمعة . لم يحدد لهذه الجلسة جدول اعمال كما كان متبعا في الجلسات السابقة ، وانما كان معروفا بالنسبة لتوقيت عقدها بعد كل تلك الاحداث التي مرت على مصر انها جلسة تقييم عام ـ جلسة القيادة السياسية العليا في البلد لمناقشة ما حدث ، وكيف حدث ، والى اين المسير ؟

وفي رأيي انه لو وجدت اقوال عبد الناصر في تلك الليلة من يدعمها ومن يلتقطها الى النور ، الى حيز التنفيذ ، لتبدلت امور كثيرة في مصر منذ ذلك الوقت . ولكن ما حدث كان انفجارا ضخما مروعا غطى صوته على الافكار الصادقة والآراء الصائبة التي قيلت في تلك الليلة ، حتى ولو كانت من عبد الناصر .

عبد المجيد فريد

* * * *

جلسة اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي ، ١٩٦٧/٨/٣

افتتح عبد الناصر الجلسة بأن دخل في صلب الموضوع رأسا دون مقدمات فقال :

● اننا نبحث اليوم اهم الموضوعات ، ولذلك طلبت من عبد المجيد فريد (امين اللجنة) ان لا يعد جدول اعمال مقترحا ، لأن ما سنناقشه اهم بكثير من جميع الموضوعات ، وهو تقييم نظام الحكم الذي نتبعه ، لأني اعتقد انه من متابعة

الاحداث التي جرت اخيرا وتحليلها بدقة يتبين لنا انه لم يكن لدينا نظام سليم . لم يكن لنا System سليم (الناشر : قالها باللغة الانكليزية) . ومن اجل ان اوضح كلامي سأتعرض للاحداث التي جرت اخيرا في بلدنا بمزيد من التفصيل .

تذكرون جميعا اننا حضرنا اجتماعا في القيادة العامة للقوات المسلحة في مدينة نصر قبل بدء العمليات بقليل ، وقلت للقيادات العسكرية التي حضرت الاجتماع ان المعلومات السياسية المتوفرة لدينا تؤكد ان العدو سيبدأ هجومه الكبير بالاستيلاء على شرم الشيخ وفصل قطاع غزة . ولكن القيادة العامة للقوات المسلحة في ذلك الوقت قدرت موقفها على اساس انهم يستبعدون قيام العدو بهجوم شامل على الجبهة ، ولو حدث مثل هذا الهجوم يستبعدون تماما الطريق الساحلي كمحور رئيسي للهجوم . لذلك ركزوا قواتهم في الجنوب وتركوا القطاع الشمالي عند رفح وغزة ضعيفا .

• • زكريا محي الدين : نذكر فعلا المناقشة التي تمت مع هيئة عمليات القيادة العامة في ذلك اليوم بعدما تبين من خطة القيادة ضعف منطقة العريش وما حولها ، وانها وافقت بعد الحاح على تعزيز منطقة العريش بلواء مدرع وتقوية منطقة الاختراق المحتمل عند الشيخ زويد بقوة سعد الشاذلي .

• عبد الناصر : للأسف ، بعد ذلك علمت من عبد الحكيم عامر يوم الجمعة انه امر باعادة ذلك اللواء المدرع الى نخل وقوة سعد الشاذلي الى الجنوب مرة اخرى على اساس ان تقديرهم مبني على ان المعركة الرئيسية ستكون في الجنوب !

قلت ايضا للقيادة العامة للقوات المسلحة في هذا الاجتماع ، وامام قادة الجيش والطيران ، انه في تقديري ستكون الحرب يوم الاثنين المقبل (٥ يونيو) وغالبا ما ستوجه الضربة الاولى لقواتنا الجوية . فانزعج لذلك الفريق صدقي محمود (قائد القوات الجوية في ذلك الوقت) وقال ان هذا الاحتمال سيسبب لنا ارباكا كثيرا !

وكما تعلمون ، بدأت الحرب فعلا يوم الاثنين ، كما بدأت العمليات بالضربة الجوية على جميع قواتنا الجوية . كذلك كان هجوم العدو الرئيسي في القطاع الشمالي وسقطت العريش ، وبعدها تحرك على ثلاثة محاور احدها الطريق

الساحلي ، فلم يجد العدو امامه اي وحدات عسكرية تعترض تقدمه على اساس ان القيادة العامة استبعدت اي تحرك للعدو على هذا الطريق .

اعود الى الايام الاولى من الحرب ، وكنت اتابعها من مكتبي حيث لم ادخل القيادة العامة او اتدخل في توجيه المعركة العسكرية من يوم الاثنين ٥ يونيو حتى الخميس ٨ يونيو !

(الناشر : عدم تدخل عبد الناصر في قرارات القيادة العامة او توجيهاتها يرجع الى قصة قديمة تمتد جذورها الى ما بعد انفصال الوحدة مع سورية عام ١٩٦١ . ففي اجتماع لمجلس الرئاسة (أعلى سلطة سياسية في ج.ع.م. في ذلك الوقت) ـ وعلى ضوء تصرفات سيئة لعدد كبير من القيادات العسكرية اثناء وجودها في الاقليم الشمالي (سورية) استغلهـا الانفصاليون للاضرار بالوحدة والدعوة داخل القوات العسكرية السورية الى ضرورة الانفصال ، بالاضافة الى العديد من الامثلة الصارخة في الاختيار السيئ لبعض القيادات العسكرية الرئيسية كان عبد الناصر قد طلب ان يتم التصديق على تولي الوظائف العسكرية بقرار من مجلس الرئاسة وليس بقرار شخصي من القائد العام عبد الحكيم عامر ، كما طلب عبد الناصر في نفس الجلسة ان تستبدل بعض القيادات العسكرية الكبرى التي ثبت فشلها في الفترة السابقة ، وان يكون المعيار الاساسي لاختيار القيادات العسكرية هو الكفاءة العسكرية وليست الناحية السياسية او مدى الولاء للقيادة العامة ! وفي نهاية حديثه وزعت قرارا لمجلس الرئاسة يتضمن الاقتراح الذي عرضه عبد الناصر في اول الجلسة . وبمجرد ان اطلع المشير عبد الحكيم على القرار المقترح الذي يسلبه شخصيا سلطة تعيين القيادات العسكرية الرئيسية ويوكلها لمجلس الرئاسة بناء على ما ترشحه القيادة العامة ، ثار في وجه عبد الناصر لأول مرة ونقد الفاظ القرار نقدا لاذعا ، مستنكرا اي تدخل في سلطات القائد العام للقوات المسلحة . حاول بعض اعضاء مجلس الرئاسة ان يقللوا من حدة المناقشة الساخنة التي دارت دون جدوى بحيث اضطر عبد الناصر في نهاية الامر ان يقف ويترك الاجتماع مسندا رئاسة الجلسة الى عبد اللطيف بغدادي . بعد ذلك تطورت الامور داخل القوات المسلحة ، اذ نقل المشير عبد الحكيم ما دار داخل قاعة مجلس الرئاسة الى الضباط الكبار ، فسرى شعور بين القيادات العسكرية ان هناك خطة سياسية للتدخل في شؤون الجيش وسلب السلطة من القيادات العسكرية ، بمن في ذلك قائدهم العام . كما

علم عبد الناصر بعد ذلك ان هناك شبه استفتاء غير رسمي يناقش سرا مع القيادات العسكرية ، يطرح فيه موضوع الولاء عند الاصطدام المنتظر ـ الولاء لجمال عبد الناصر ام للقائد العام عبد الحكيم عامر ؟ كان بديهيا ان يستنتج عبد الناصر مدى البلبلة التي عمت جميع القيادات العسكرية ، ولهذا اعتبر ذلك امرا في غاية الخطورة ويمس امن النظام مسا مباشرا ، بحيث خشي حدوث انقلاب عسكري . كما خشي حدوث اصطدام دموي بين الجيش والقوى السياسية المدنية ، فاضطر ان يحني رأسه للعاصفة ويقبل الوساطة والتصالح مع عبد الحكيم عامر انقاذا للنظام كله ، مع التنازل شخصيا عن اقتراحه والتسليم بمطلب عبد الحكيم عامر وهو ان يكون ، بصفته القائد العام للقوات المسلحة ، صاحب الحق الوحيد في تعيين القيادات العسكرية على كافة المستويات لا يشاركه احد . كما استسلم لمطلب آخر لم يعلن وقتئذ ، وهو ان يمتنع عبد الناصر عن الاتصال داخل الجيش عن طريق بعض معاونيه الذين كانوا اصلا ضباطا في القوات المسلحة بحيث يصبح مدخله الوحيد للقوات المسلحة باب القائد العام عبد الحكيم عامر ! ومنذ تلك اللحظة فقد عبد الناصر الاتصال بالقوات المسلحة ، كما فقد التعرف الحقيقي على ما يدور داخلها الا بالقدر او الشكل الذي يعرضه عليه المشير عبد الحكيم عامر . كذلك ، منذ تلك الفترة ، لم تصبح العلاقة بين عبد الناصر والمشير عامر بنفس الدرجة من التفاهم والتنسيق كما كانت عليه من قبل . هذا الموقف السلبي لعبد الناصر نقده الكثيرون ووجهوا لومهم الشديد له على اساس انه كان لعبد الناصر في ذلك الوقت ، اي في اوائل الستينات ، من الزعامة والشعبية الكافية ما يتيح له ان يطرح خلافه وصراعه مع المشير عامر على الشعب كله ، وهو متأكد ان الشعب سيقف معه ويسانده . ولكن من اجل ان نقيم موقفه تقييما دقيقا يجب ان نضع في الاعتبار جميع العوامل والظروف التي كانت محيطة به ، والتي اثرت على اتخاذه ذلك القرار السلبي) .

المشير عامر يرشح شمس بدران

(اعود الى حديث عبد الناصر في اللجنة العليا للاتحاد الاشتراكي عندما قال) :

● لم أزر القيادة العامة من الاثنين ٥ يونيو حتى الخميس ٨ يونيو . في ذلك اليوم

طلب مني شمس بدران (وزير الحربية) ضرورة الحضور فورا الى مبنى القيادة العامة لان عبد الحكيم عامر في حالة انهيار تام ، وطلب من سكرتيره الخاص احضار حبوب « سيانور » وهي حبوب للانتحار . لذلك توجهت الى مبنى القيادة العامة فوجدت عبد الحكيم في حالة انهيار تام فعلا ، فحاولت ان اهدئ من روعه مؤكدا بأني شخصيا المسؤول عما حدث ، ولهذا سأتنحى عن الرئاسة . ثم سألته عن الشخص الذي يراه صالحا لتولي رئاسة الجمهورية بعدي فقال انه يرى ان اصلح شخص لهذا المنصب هو شمس بدران !

وقد علمت بعد ذلك بأيام ان عبد الحكيم ـ بعد مغادرتي مبنى القيادة ـ عقد مع شمس بدران اجتماعا طويلا لاعادة تنظيم الدولة وقياداتها المدنية ، كما اتصلا ببعض الشخصيات السياسية والوزراء وطلبوا منهم أن لا يعلنوا استقالتهم بعد تنحيتي ليتعاونوا مع رئيس الجمهورية الجديد .

بعد ظهر اليوم التالي (٩ يونيو) اتصلت بعبد الحكيم تلفونيا قبل اذاعة بيان التنحي وأبلغته اني فكرت جيدا ووجدت ان زكريا محي الدين هو اصلح شخصية تتولى رئاسة الجمهورية بعدي . هنا بدأت مشكلة شمس بدران لأنه اعتبر نفسه رئيسا للجمهورية من الساعة الحادية عشرة مساء يوم الخميس لغاية ما اذعت بيان التنحي بعد ظهر الجمعة ٩ يونيو ، كما اعتبر اني بترشيح زكريا محي الدين رئيسا للجمهورية قد اعتديت على منصبه الشرعي وعزلته ! وقد حدث اثناء القائي البيان في مكتبي بقصر القبة ان طلب شمس بدران سكرتيري محمد احمد ليبلغني فورا بضرورة عدم استمرار القائي باقي البيان . طبعا كان ذلك كلاما خياليا ! بعد يومين طلبني شمس بدران تلفونيا وأبلغني ان هناك تجمعا من ضباط الجيش يقدر عددهم بحوالى خمسمائة ضابط حول منزل المشير في حلمية الزيتون وبمبنى القيادة العامة ، يصرون على عودة عبد الحكيم قائدا عاما ويطلبون مني ان ابت في هذا الموضوع فورا . قلت له اني سأبت في ذلك باكر ، فطلبني في اليوم التالي فقلت : يا شمس انت تعرف رأيي في القيادة العامة .. واذا كنا عايزين بصدق نصلح الحال علينا ان نختار قائدا محترفا للعسكرية ، على ان يبقى عبد الحكيم فقط نائبا اول لرئيس الجمهورية . حاولت شخصيا احضار المشير الى مكتبي في المنزل لمحاولة افهامه ، واستعنت بصلاح نصر لاحضاره لأنه لم يكن مقيما في مقره وانما كان في شقة احد الضباط الموالين له (شقة عصام خليل) ،

ولكنه رفض الحضور ، وفي نشرة الاذاعة الثانية والنصف لهذا اليوم اذعت تعيين فوزي قائدا عاما (الفريق محمد فوزي) ثم امرته باعتقال الضباط المعتصمين والمعترضين .

نظام سياسي جديد

بعد ذلك قابلت عبد الحكيم وحاولت دون جدوى اقناعه بأنه ليس منطقيا ان يبقى بعد الهزيمة العسكرية قائدا عاما ، ويكتفي بأن يكون نائبا لرئيس الجمهورية . رفض كلامي رفضا باتا وسافر غضبانا الى بلدته في المنيا ، ثم اتصل بهيكل من هناك (محمد حسنين هيكل وزير الاعلام) وأبلغه استنكاره التام لجميع تصرفاتي . بعدها حضر شمس بدران الى منزلي وأبلغني ان الموقف العام يزداد سوءا يوما بعد يوم ، وان البلد كلها ضدي وان الجيش ضدي وان الحل الوحيد هو اعادة عبد الحكيم عامر لمنصبه القديم من اجل استقرار الاوضاع .

بعد يومين قابلت شمس بدران مرة اخرى ، وكنت قد اعتقلت ضباط التنظيم السري الذي اقامه داخل القوات المسلحة ، وأغلبهم من ضباط دفعته العسكرية خريجي العام ١٩٤٨ ، وقلت له : يا شمس ، منحتك ثقتي بالكامل ولكنك للأسف اشتغلت لمصلحتك ومصلحة المشير من خلف ظهري .. ولو كنت مخلصا حقا وصادق النية في تكوين تنظيم داخل الجيش لكنت في حينه أبلغتني شكله واسماء اعضائه . ولكن لم تكن امينا ! عامة ، انا أمرت باعتقال جميع افراد التنظيم . فارتجف وارتبك كثيرا . يوم الاثنين الماضي حضر المشير الى المنزل وتناول العشاء معي ، وكان حديثنا العام وديا ولكنه قال انه يقترح ان يذهب الى امريكا للتفاهم معهم ، وان الروس خونة . لم اعلق على هذا الكلام غير المتزن وقلت له : نبقى نفكر !

● زكريا محي الدين : هذا تفكير ساذج لا يستند الى اي اساس ، وغير قابل للمناقشة .

● عبد الناصر : سبب عرضي لهذه القصة بالتفصيل هو اني اريد ان ابرز موضوعا هاما ، وهو انه اذا كانت جميع هذه التصرفات صدرت عن اقرب الناس الي وأقرب القيادات الى النظام ، فماذا يحدث من غيره ؟ ما جرى يحتاج فعلا الى بحث وتفكير عميق . انا وعبد الحكيم كنا اكثر الناس ارتباطا ببعض ، ورغم

ذلك تصرف عبد الحكيم تلك التصرفات . مجموعة شمس بدران من دفعة ١٩٤٨ وغيرهم كانوا بيجهزوا انفسهم لاستلام البلد ! نطلع من القصة كلها ان النظام المقفول سيؤدي بنا في النهاية الى نظام توريث . لذلك علينا الآن واجبان :

الاول ـ هو ان نبحث عن نظام System جديد لنا .

الثاني ـ هو ان نحدد الاخطاء الرئيسية الموجودة في البلد في الوقت الحاضر ونشوف ازاي نصلحها .

ما يقال في البلد هذه الايام اننا بناكل بعض . النظام بياكل نفسه ، والمستقبل بهذا الشكل سيكون خطيرا جدا . لذلك انا رأيي ان نعمل فورا على تغيير النظام الـ System اللي ماشيين عليه لأنه لازم فيه خطأ . والمعروف ان نظام الحزب الواحد تحدث فيه دائما صراعات في القمة على السلطة ، ولدينا العديد من الامثلة في العالم ، آخرها مثلا ما حدث في الصين وهو مثال واضح . انا شايف انه لم يبق في عمر معظمنا اكثر من عشر سنوات ، وخاصة بالنسبة الي مع المرض اللي عندي ومع الضغط والجهد الذي اتعرض اليه . لذلك انا شايف ضرورة تغيير نظامنا بحيث لا يسمح النظام الجديد لشخص او لشلة غير واعية او جاهلة سياسيا ان تحكم البلد . البلد التي اعطتنا ثقتها المطلقة بلا حدود . طبعا التغيير الذي اقصده لا يمس اتجاهنا الاشتراكي ، لأننا في الحقيقة نكاد نكون انتهينا من التطبيق الاشتراكي في اغلب القطاعات باستثناء قطاع المقاولات وقطاع التجارة . بعد ذلك يبقى عملنا مركزا اساسا على خطط التنمية التي نضعها وعلى متابعة تنفيذها .

●● علي صبري : المهم في حركتنا المقبلة ان نحافظ على ما حققناه من مكاسب ومنجزات .

●● صدقي سليمان : ارجو ايضا في هذا الاجتماع ، طالما نحن نقيم كل الامور ، ان نوضح الصورة جيدا بشأن القطاع العام والقطاع الخاص ومجالات كل منهما ، والعلاقة بينهما .

●● زكريا محي الدين : انا عايز اعرض رأيي بقدر من التفصيل ، وخاصة اني احسست من حديث الرئيس اليوم ان الصورة قد تبلورت في ذهنه اكثر من اي مرة سابقة . اني اعتبر ان يوم ٩ يونيو يوم تاريخي ، وفي نفس الوقت يوم تحول

رئيسي لثورة ٢٣ يوليو . وما قاله الرئيس الآن يعتبر بعد نظر وتفكيرا عميقا يوصلنا الى طريق السلام الذي ننشده لهذا البلد . في نفس الوقت لا ينكر احد ان الثورة حققت وأتمت في خلال الخمسة عشر عاما الماضية منجزات ومكاسب كثيرة .

اما عن موضوع النظام الـ System الذي اشار اليه الرئيس ، فالمعروف ان النظام المقفول له اسلوب معين في الحكم ، والنظام المفتوح له اسلوب آخر خاص به . وأعتقد ان ممارستنا للحكم لم تكن على اسلوب النظام المفتوح او على اسلوب النظام المقفول وانما كانت على طريق بين النظامين ، ولكن بدون System . انجزنا الكثير في الجهاز الحكومي ، ولكن لم ننجح في اتخاذ خطوات رئيسية في الجهاز الشعبي .

ولو اعدنا النظر في ظروف بلدنا نجد انه من الصعب علينا حتى من الوجهة الجغرافية ان نتبع النظام المقفول . اذن فالنظام المفتوح هو الاصلح لنا ، ولا سيما ان النظام المفتوح يسمح للفرد بأن يكون شخصيته التي هي اساس المجتمع . وعندما نقر اتباع النظام المفتوح يمكن ان نحدد اسلوب تأمين الفرد في هذا النظام ، سواء كان هناك حزب واحد او حزبان او اكثر ، كما يمكننا ضمان امن المجتمع بوضع حدود هذا الامن في نص الدستور .

نقطة اخرى خاصة بالناحية الاقتصادية ، وهي انه لن يمكننا في القطاع العام ان نوفر العمالة الكاملة لجميع الأفراد . لذلك يجب ان نسمح للقطاع الخاص بأن يمارس نشاطه بقدر اكبر ليشارك في تحمل مسؤولية تشغيل العمالة في مجتمعنا ، كما سيكون مكانا احتياطيا يعمل فيه من يفصلوا من القطاع العام .

اما عن موضوع « الشلل » فهو امر حتمي في جميع المجتمعات ، سواء كان النظام مفتوحا او مقفولا .

وبالنسبة لقوى الشعب العامل يجب ان لا تشعر اي فئة من فئاته انها غير متساوية في الحقوق والواجبات ، كالفئات الاخرى واقصد بذلك فئة الرأسمالية الوطنية . اذ انها تتعرض لهجوم مستمر من قيادات الاتحاد الاشتراكي مما يجعلها غير مستقرة ، وبالتالي يصبح المجتمع غير مستقر . نقطة اخيرة عن الانتاج واهمية استمراره ، وهي انه يجب ان نوفر له كل الضمانات من اجل ان ينطلق بكل الامكانيات ، ولا بد ان نؤكد على ان مقياس العمل الثوري هو الانتاج وزيادة

الانتاج . خلاصة كلامي اني ارى ان يكون نظامنا هو النظام المفتوح ، وان تكون انتخاباتنا مفتوحة وغير موجهة .

● عبد الناصر : طبعا ، تذكر مارس ١٩٦٤ . كانت الانتخابات مفتوحة بالكامل ، وكانت اجراءات الامن لجميع الافراد مؤمنة ، ولم يكن هناك معتقل واحد حتى الاخوان المسلمون المحكوم عليهم اخرجناهم من السجن . ورغم ذلك انت عارف ايه اللي حصل !

●● علي صبري : اعتقد ان مشكلة الديموقراطية لا تنحصر في اجراءات الامن . اذا لم تكن اجراءات الامن القومي في اي بلد مانعا من تحقيق الديموقراطية .

●● زكريا : لا اقصد من حديثي اجراءات الامن التي تتحدث عنها وانما اقصد الاجراءات الادارية التي تمس لقمة العيش للفرد ، مثل التصرفات الادارية الخاطئة وأوامر الحراسات واجراءات لجنة تصفية الاقطاع .

●● علي صبري : لم تتخذ تلك الاجراءات الا مراعاة لمقاييس اجتماعية لثورتنا ، كما ان الخطأ الذي حدث في لجنة تصفية الاقطاع انه لم يراع عند التطبيق في بعض الحالات ما قررناه من مبادئ وقواعد لعمل هذه اللجنة . كما ارى ايضا ان هناك مسؤولية على مجلس الامة ، اذ كان من الممكن ان يكون اكثر فائدة .

●● انور السادات : في الحقيقة لا يمكن ان نقول ان اجراءات الحراسات واجراءات لجنة تصفية الاقطاع كانت خاطئة ، وانما الخطأ كان فقط في بعض حالات فردية وليس في كلها . وللأسف الخطأ الذي حدث بالنسبة لتلك الحالات المحدودة عكس شعورا عاما بالخوف .

●● حسين الشافعي : هذا الموضوع فعلا حساس وارتبط الخطأ فيه بثقة الناس بالنظام ككل . وانا اعلم امثلة معينة انتهكت فيها حرمات عند تطبيق قرارات لجنة تصفية الاقطاع ، كما صدر عن قوة الامن التي خصصت لتنفيذ القرارات اخطاء سفيهة الى الحد انها اثارت ردودا عكسية ونقدا لاذعا للسلطة .

● عبد الناصر : للتسجيل والتاريخ ، لم يسبق ان ذكر لي احد منكم اي ملاحظات او نقدا للجنة تصفية الاقطاع او بالنسبة لتصرفات المشير عبد الحكيم باستثناء صدقي رئيس الوزراء فقط .

●● زكريا : عن نفسي اكتفيت بتبليغ عبد الحكيم ملاحظاتي اولا بأول ، ولم ارغب في ازعاجكم . عامة ، نحن جميعا نعتبر مسؤولين عن الاخطاء التي حدثت في تلك الفترة .

الخوف من النقد

● عبد الناصر : اذن احنا جميعا غلطنا . ويا ريت ـ مثل ما جاء في القصة السوفياتية الشهيرة ـ ان نقول الحقيقة ولو لمدة ثلاث دقائق ! تصوروا اننا اكبر هيئة سياسية في البلد (اللجنة التنفيذية العليا) وكان عددنا سبعة اعضاء فقط ولم نتكلم . ولم نقل الحقائق في وقتها ، بينما كان رئيس لجنة تصفية الاقطاع عبد الحكيم جالسا معنا في هذا المقعد . هذا يعني ان النظام تدهور وتدرج في السقوط الى الحد اننا شعرنا بالخوف من ان نتكلم ، وخفنا ان نقول الحقيقة . من جانبي انا اعترف وبنقد صريح اني اخطأت عندما تركت الاشراف على الجيش منذ عام ١٩٦٢ بحيث لم اعد على علم بما يحدث فيه . وكان قصدي في ذلك الوقت ان اطمئن عبد الحكيم مني شخصيا . ولكن اعتبر ذلك خطأ مني .

●● زكريا محي الدين : للتاريخ ايضا احب ان اقول ان ملاحظاتي التي قلتها للمشير لم تكن تمس الاسس او المبادئ ، كما لم يعترض منا احد على ما اتخذته الثورة من اجراءات ثورية . والحراسة قررت عام ٦٢ ونحن الآن عام ٦٧ . كافة الملاحظات التي قلتها له كانت تخص الخطأ في التطبيق فقط . تسألني لماذا لم اقل هذه الاخطاء من شهرين او ثلاثة ! طبعا خطأ ، والسبب انه للاسف كانت العلاقات الشخصية بيننا لها تأثير كبير ولها حساسية خاصة .

●● صدقي سليمان : المهم الآن هو الامر الواقع ، واقترح ان نوفر حق التظلم من قرارات لجنة تصفية الاقطاع امام محكمة خاصة . مثل هذا الاجراء سيريح الناس كثيرا . كما اقترح ادخال بعض التعديلات في النظام الحالي بحيث يظهر لنا دائما الرأي الحر الصريح دون تخوف او نفاق .

● عبد الناصر : في رأيي ان النظام الحالي استنفد كل مداه ولا بد من نظام جديد ، وانا شخصيا عندي اقتراحات محددة لهذا الموضوع :

اولا ـ اننا شخصيا ، كأعلى سلطة سياسية ، نتحرر من الخوف وبعد ذلك نحرر البلد كلها من الخوف .

ثانيا ــ اذا كنا عايزين حقا توفير الامن والسلام زي ما قلتم نسمح بوجود معارضة في البلد . فطبعا لا اتصور في تكوين هذه المعارضة اننا نقول ان زكريا يمثل اتجاها معينا وامامه علي صبري يمثل اتجاها آخر . وبذلك يصبح هناك حكم ومعارضة . لو نعمل كده يبقى بنعمل مسرحية المعارضة . المعارضة الحقيقية هي اننا نجيب الذين يعارضونا فعلا في الوقت الحاضر ، مثل بغدادي وكمال حسين وكلاهما اصلا منا وسبق ان وافقا على الميثاق ، ونسمح لهما بتكوين حزب معارض ونسمح لهما بجريدة تعبر عن رأي الحزب . من جانبنا نعيد تنظيم صفوفنا ونعمل حزب الاتحاد الاشتراكي ، ثم ننهي الدورة البرلمانية الحالية ونجري انتخابات جديدة في شهر ديسمبر هذا العام على اساس قائمتين للحزبين . واللي يكسب الانتخابات يستلم الحكم والثاني يشكل المعارضة . على ان يبقى الجيش كجهاز محترف وكذلك البوليس .

انا شايف لو نفذنا هذا الاقتراح سنشفى من كل الامراض الموجودة بيننا في الوقت الحاضر ، وسيتحرر كل واحد فينا من الخوف الذي سرى بيننا . من اكبر هيئة الى اصغر هيئة . انا ضد نظام الحزب الواحد لان الحزب الواحد يؤدي غالبا الى قيام ديكتاتورية مجموعة معينة من الافراد .

آخر كلامي في هذا الموضوع اننا ان لم نغير نظامنا الحالي سنمشي في طريق مجهول ولن نعلم من سيستلم البلد بعدنا . والذي اوصلنا الى اننا نستحي ان نتكلم الحقيقة او ان نقبل النقد ، سيؤدي بنا الى مستقبل مظلم .

* * * *

(وهنا نظر عبد الناصر الى ساعته فوجد عقاربها زحفت الى ما بعد منتصف الليل ، كما لاحظ من وجوه الاعضاء رغبتهم في تأجيل الحديث لجلسة تالية حتى تتاح لهم فرصة التفكير الهادئ والتحليل العميق لمثل هذا الموضوع الهام .. كيف تحكم البلد في المستقبل القريب ؟ لذلك طلب عبد الناصر من جميع الاعضاء ان يستعدوا لابداء الرأي على اقتراحه المحدد مع استعداده للاستماع الى اي اقتراحات اخرى في جلسة خاصة تعقد مساء الجمعة ٤ اغسطس ــ آب) .

* * * *

خلاف عبد الناصر ورفاقه

● زكريا محي الدين .. النظام المفتوح هو الأصلح لنـا ... وأتوقع من الحزب الآخر ان يقوم بنبش الماضي ، وقد يتلو ذلك تجريح للهيئة القيادية للبلد .

● عبد الناصر ... تجريح القيادات يتم الآن داخل المنازل ومن الأفضل ان يتم خارجها .

● أنور السادات ... لا اوافق على عملية الفتح عن طريق الحزبين لأنها ستكون فتح للكلاب اللي عايزه تنهش في الحكم .

● علي صبري ... ليست هناك مخاوف من التجربة الجديدة طوال وجود عبد الناصر ، ولكن الخطر في ما هو بعد عبد الناصر !!

● عبد الناصر ... لا اطالب بتفتح الزهور ليسهل تمييزها وقطفها ، ولكني اقسمت أن لا اساوم وان اقول رأيي بصراحة ولو على رقبتي .

● حسين الشافعي ... لا اتصوّر ان نغيّر نظامنا قبل ازالة آثار العدوان .

● شهر سبتمبر (ايلول) ... له مكانة خاصة في حياة وأزمات عبد الناصر .

الجلسة الثانية للجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي ، ١٩٦٧/٧/٤

فوجئ اعضاء اللجنة التنفيذية العليا بكلمات عبد الناصر وحواره الذي امتد يوم الخميس ٣ اغسطس (آب) ١٩٦٧ لمدة ست ساعات . كان قاسيا في نقده لنظام حكمه رغم المكاسب والمنجزات التي حققها ، ورغم ان الهزيمة العسكرية التي هزت كيان ج . ع . م . وزعزعت سمعة عبد الناصر الشامخة ، لم يمض عليها ثمانية اسابيع . الا ان رفاق عبد الناصر في نهاية الجلسة ايقنوا ـ بعكس ما تصوروا قبل الجلسة ـ ان شخصيته ما زالت لم تهتز وثوريته ما زالت راسخة في نفسيته ، بل اكسبته قسوة الهزيمة واحداثها حكمة السياسي المحنك الذي رأى ان اصلاح ما افسدته الممارسة العملية اصلاحا جذريا يبدأ بنقد ذاته نقدا صريحا ، وبنقد زملائه الذين شاركوا معه في الحكم في الفترة السابقة نقدا لاذعا لم يرحم فيه احد . هكذا كان عبد الناصر . ولكن هل تجاوب معه رفاقه اعضاء اللجنة الستة ؟ هل وافقوا على اقتراحه الذي تقدم به لتغيير النظام المقفول الذي سلكته ثورة ٢٣ يوليو (تموز) خمسة عشر عاما الى نظام مفتوح يعتمد اساسا على وجود معارضة حقيقية وليست معارضة فولكولورية ؟ هذا ما تجيب عليه السطور التالية من خلال الحوار الذي جرى بينه وبين رفاقه اعضاء اللجنة التنفيذية العليا في جلسة الجمعة ٤ اغسطس (آب) التي عقدت امتدادا للجلسة السابقة يوم الخميس . كان عبد الناصر في تلك الفترة يتعرض لهجوم اعلامي مركز من القوى الامبريالية العالمية التي كانت تبرزه على هيئة الديكتاتور العسكري الذي يقف للديموقراطية بالمرصاد ، ويحول دائما دون نموها او سلوك طريقها ، بينما رأيناه في جلسة الخميس ٣ اغسطس (آب) السابقة يؤكد في حواره ، ان النظام ارتكب الاخطاء فأصبح من الضروري تغييره بنظام آخر (System) جديد ، كما كرر اكثر من مرة ضرورة التقييم الصريح للمرحلة السابقة وتحديد الاخطاء ومحاسبة المقصرين من كبيرهم الى صغيرهم .

حاول بعض رفاقه ان يخففوا من حكمه على نظامه ، مقترحين اجراء بعض الاصلاحات ، ولكنه انفعل وقال ان النظام لا يمكن الآن اصلاحه عن طريق

ادخال بعض التعديلات عليه ، كما ان الناس في مصر لن تصدقنا عندما نقوم فقط بعملية « رتوش » . لم يؤيده زميل ، ولم يدعم اقتراحه احد من رفاقه لاسباب شتى اختلفت من عضو لآخر . وسيظل التاريخ شاهدا وحكما على اقوال عبد الناصر وعلى اقوال رفاقه في تلك الجلسة التاريخية .

عبد المجيد فريد

* * * *

(عقدت الجلسة الثانية لاجتماع اللجنة التنفيذية العليا يوم الجمعة في نفس القاعة ، وحضرها نفس الاعضاء الذين حضروا الجلسة الاولى . بدأ الحديث عبد الناصر مكررا اقتراحه الذي قاله في اليوم السابق (الخميس) لتحويل النظام المقفول الى نظام مفتوح يسمح بمعارضة حقيقية ويقضي على نظام الشلل ، مشيرا الى ان العلاقات الشخصية بين بعض القيادات اثرت بشكل ما على نظام الحكم ، ومثال عبد الحكيم عامر ليس ببعيد !

ثم قال) :

● عبد الناصر : في رأيي ان يشكل الاتحاد الاشتراكي حزبا ، على ان يسمح بتكوين حزب آخر يمثل المعارضة . هذا الشكل السياسي لا يمنع حدوث صراعات داخل تنظيمنا الاتحاد الاشتراكي ، ولكنها ستكون صراعات لها طبيعة اخرى نظرا لوجود حزب منافس امامه . وكما قلت امس نسمح لبغدادي وكمال حسين ان يشكلا حزب المعارضة على ان نوفر له نفس الامكانيات والتسهيلات الممنوحة للاتحاد الاشتراكي ، بما في ذلك حق اصدار جريدة تنطق باسم حزبهم . ومن رأيي انهما رجال وسيتصرفان كرجال لأنهما معنا منذ اول الثورة .

اما بالنسبة للمفهوم الاجتماعي للحكم ، فطبعا سيكون طبقا لمفهوم الحزب الذي سيكسب الانتخابات القادمة التي يمكن ان تجري خلال شهر ديسمبر القادم بعد فض الدورة الحالية لمجلس الامة خلال نوفمبر .

●● زكريا محي الدين (اخرج من جيبه مفكرة صغيرة اخذ يستعين بما هو مكتوب في صفحاتها اثناء عرض رأيه ، وقد كان اكثر الاعضاء مساهمة في مناقشة اقتراح عبد الناصر مثيرا العديد من التفاصيل) : فكرت طويلا في كلمات الرئيس التي قالها لنا امس ، وسأحاول مستعينا بما اعددته من دراسة عاجلة ان

اعلق على الاقتراح المقدم . فهمت امس ، ومما كرره الرئيس اليوم ، انه سيكون هناك حزبان ، احدهما الاتحاد الاشتراكي ، وكلاهما ملتزم بالميثاق . يبرز لنا هنا بعض الموضوعات التي ستتأثر بوجود حزبين متنافسين يحاول كل منهما تصيد الاخطاء للآخر :

ـ الموضوع الاول ، الجانب الاقتصادي لنظامنا الذي تبلور تدريجيا في شكل خاص خلال عشر سنوات من النمو والتطوير ، وبرزت خلال الممارسة بعض المشاكل التي تحتاج الآن الى علاج جذري . مطلوب اعادة النظر في بعض المشروعات الاقتصادية وخاصة من حيث الانتاج والعائد منها ، وكذا العمالة الزائدة المستخدمة فيها . في تقديري لا بد من التصرف مع هذه المشروعات في اطار الاسس الاقتصادية . لا بد من العمل على كل ما يوفر الاستقرار للادارة العليا لهذه المشروعات .

جانب اقتصادي آخر وهو ضرورة رفع المدخرات الى ٢٥ ٪ على الاقل حيث انها لم تتعد حتى الآن ١٣ ٪. ويعتبر ذلك غير كاف لمواجهة زيادة عدد السكان في بلدنا سنويا .

جانب آخر وهو عدم زيادة حجم صادراتنا بالقدر الذي يغطي المطالب الكبيرة المطلوبة من الواردات .

ـ الموضوع الثاني ، هو سياستنا الخارجية بعد العدوان ، وافضل السياسات التي يجب ان نتبعها لنحقق بها اكبر قدر من اهدافنا الداخلية ، وهل نسمح بمشروعات مشتركة مع رأس مال اجنبي ام بدونه ؟ هل نشجع مساهمة رأس المال العربي من اجل ان يزيد حجم التنمية السنوي ليصل من ٦ الى ٨ ٪ مع تحديد الزيادة في الاجور بحيث لا تتعدى ٢ ٪؟

جميع هذه الموضوعات ، سواء في المجال السياسي او المجال الاقتصادي ، تحتاج الى بت سريع ، وبعضها يحتاج لعلاج جذري . واخشى ان العوامل السياسية الداخلية والمزايدات الحزبية في حالة وجود الحزبين قد تؤثر على اختيار الحلول الصحيحة . وهنا يبرز رأي جديد بشأن المشروعات الاقتصادية الرئيسية : هل يمكن ان نجعل لتلك المشروعات صفة الاستقلالية بعيدا عن اشراف الوزراء الحزبيين وتدخلاتهم ؟ ولكن في هذه الحالة من يحاسب هذه المشروعات

ومؤسساتها ؟ مجلس الامة ام الحكومة ام هيئة خاصة مشكلة من الحزبين ؟

● عبد الناصر : يا زكريا .. من يتولى الحكم هو المسؤول عن نجاح جميع المؤسسات ، كما انه المسؤول ايضا عن اي فشل لها . بمعنى آخر ، ان اي فشل في ادارة المؤسسات سيؤدي الى سقوط الحكم ، أما ان تشكل هيئة خاصة من الحزبين للاشراف على المؤسسات ، فهو موضوع خيالي !

ولا تنسَ ان هدف اي حزب دائما الوصول الى الحكم ويقف الحزب الآخر امامه يتصيد له الاخطاء في الممارسة . اذن كيف تقول ان حزب المعارضة يشترك مع حزب الحكومة في هيئة واحدة للاشراف على المشروعات الاقتصادية ؟ اللي معاه الحكم هو المسؤول ، وهو الذي سيشرف ويوجه جميع المجالات ، بما في ذلك المشروعات الاقتصادية .

●● زكريا محي الدين (بانفعال واضح) : لم اقصد بحديثي ان اقدم عرضا خياليا وانما وددت ان ابرز بعض المشاكل التي ستواجهنا من مزايدات ومهاترات نتيجة لوجود الحزبين . طبعا كما قلت سيقف كل حزب للآخر بالمرصاد يتصيد له الاخطاء بغض النظر عن اثرها على المصلحة العامة للبلد ، هادفا اساسا الى اثارة الجماهير لجانبه ، مثل موضوع الاستغناء عن الزيادة في العمالة ، ومثل موضوع تحديد الزيادة في الاجور .. الخ .

كذلك اتوقع ايضا من الحزب الآخر ان يقوم بنبش الماضي ، وقد يتلو ذلك تجريح للهيئة القيادية للبلد ، ولرئاسة الدولة !

● عبد الناصر : معنى ذلك نخاف ولا نتحرك .. لماذا ؟ ان قيادات الحزب الآخر كانت مشتركة معنا في الماضي في جميع خطوات الحكم . اما عن تجريح القيادات فهو يتم حاليا ولكن داخل المنازل ومن الافضل ان يتم خارجها .

●● زكريا محي الدين : هناك موضوعات اخرى عديدة تترتب على تغيير شكل النظام ، اولها ضرورة تعديل الدستور وهل ستصبح الدولة جمهورية رئاسية ام جمهورية برلمانية ام رئاسية مع بعض التعديلات ؟ هل يجري تغيير للقيادات الرئيسية دائما بتغيير الحزب الحاكم ، مثل المحافظين ومديري المؤسسات ووكلاء الوزارات ورؤساء الشركات ؟ ثم اسأل نفسي : ما هو اهم من ذلك ؟ وما هي الاهداف السياسية المنتظرة ان يختلف عليها الحزبان ؟ وما هو التكوين الاجتماعي

لمؤيدي كل حزب ؟ وهل يمكن للحزب الحاكم ان يعدل الميثاق ام يشترط اتفاق الحزبين ولو في حدود نسبة معينة ؟

● عبد الناصر : المفروض ان جميع هذه التساؤلات سيرد عليها عند مناقشة الدستور الجديد وستكون واضحة تماما في ابوابه وفقراته .

●● زكريا محي الدين : تساؤلي الاخير هو : هل يصح تعديل الهيكل السياسي للبلد واليهود ما زالوا يحتلون البر الشرقي لقناة السويس ؟

● عبد الناصر : اذا كان زكريا انتهى من عرضه وكافة تساؤلاته ممكن ان نسمع رأيا آخر .

●● صدقي سليمان (رئيس الوزراء) : رأيي في كلام الرئيس هو ان هناك استحالة لقيام حزب معارض في بلدنا في الوقت الحاضر ، لان الحزب المعارض سيكون هدفه الوصول فقط للحكم ، ومن البديهي ايضا سنجد ان جميع المنحرفين والانتهازيين يتكتلون حول الحزب الآخر . في هذه الحالة هل نحن مستعدون الآن نفسيا لتقبل المهاترات الحزبية ؟ وما اثرها على اجهزة الدولة الرئيسية وخاصة على القوات المسلحة ؟ نقطة رئيسية اخرى في الموضوع . ان وجود رئيس الجمهورية على قمة الحزب الحاكم يجعل من الاستحالة العملية ان يصل الحزب المعارض الى الحكم ، وبالذات وجود الرئيس عبد الناصر ومعه هذا الرصيد الشعبي سيجعل من المستحيل فعلا ان يصل الحزب الآخر الى الحكم .

(وهنا تدخل حسين الشافعي في الحوار فاقترح ان يكون الرئيس ــ تلافيا لما عرضه صدقي سليمان ــ فوق الحزبين وغير محسوب لاحدهما ، ولكنه عاد وقال : انما كيف يكون ذلك في نظام رئاسي ؟) ثم استكمل صدقي سليمان حديثه فقال :

●● صدقي سليمان : اعتقد ان ما يمكن عمله الآن هو ادخال بعض التعديلات والرتوش على النظام الحالي مثل تقبل النقد ، وازالة الخوف ، اتاحة التظلم من اي حكم امام جهة قضائية ، تحديد العلاقة بين الاتحاد الاشتراكي والحكومة تحديدا واضحا . تعليق اخير ، هو ان اي شخص يقبل ان يكون الآن في هذه الظروف الحالية رئيسا لحزب المعارضة يكون رجلا مجنونا !

●● حسي الشافعي : في الحقيقة بعدما بلور الرئيس حديثه في هيئة اقتراح محدد عن تغيير النظام يصبح الموضوع بأبعاده المختلفة صعبا ، اذ من السهل الحديث عن السلبيات التي حدثت خلال الممارسة ولكن الوصول من واقع هذه السلبيات الى نظام جديد امر في غاية الصعوبة .

قد يكون الوصول الى نظام تتوفر فيه المعارضة هو امر اساسي ، ولكن هذا الموضوع يفتح العديد من التساؤلات وردود الفعل ، اولها اذا كان الاتحاد الاشتراكي يمثل تحالف قوى الشعب العامل فماذا يمثل الحزب الآخر ؟ علما بأن اي حزب لا بد وأن يمثل فكرة او طبقة معينة .

وإذا كان الحزبان متفقين على الميثاق فما هي اهداف كل منهما ؟ اما اذا سمح لهما بتعديل الميثاق فستكون الفرصة اقل بالنسبة للاتحاد الاشتراكي عن الحزب الآخر ، وكلنا نذكر ان اعضاء المؤتمر القومي الاخير صفقوا كثيرا عندما ذكرت عبارات استرجاع فلسطين ، النواحي الدينية ، الغاء الامتيازات الممنوحة لبعض القيادات .. الخ . ولهذا سيحاول الحزب الآخر ان يلعب بالشعارات من اجل المزايدة على مبادئ وأسس الاتحاد الاشتراكي .

اني اوافق الاخ زكريا محي الدين في ما يختص بالتساؤلات الاقتصادية التي أثارها نتيجة لوجود الحزبين . وأنهي كلامي بأني لا اتصور ان يغير نظامنا قبل ازالة آثار العدوان .

●● انور السادات : اعود بحديثي الى يومي ٩ و ١٠ يونيو عندما خرج الشعب المصري باحساسه الوطني العميق وصمم على التمسك بالوضع الحالي ، وفي ذهن كل فرد منهم ان عبد الناصر هو تعبير لصورة النضال ، وان عبد الناصر هو تعبير لرغبته في الصمود . وفي تقديري ايضا عن يومي ٩ و ١٠ يونيو ان النظام كله قد سقط ، ولكن اعادته الجماهير مطالبة فقط بعودة عبد الناصر رئيسا . اي ان باقي اجهزة النظام بما في ذلك مجلس الامة قد سقطت . ولهذا اعتبر ان المهاترات والمناقشات التي جرت في مجلس الامة في الاسبوعين الماضيين لا قيمة لها ، ولكن تعطينا مؤشرا كيف ستكون المهاترات اثناء وجود الحزبين ، بينما العدو ما زال رابضا فوق اراضينا ، وما زالت قواته متمركزة على بعد مائة متر من

قواتنا . هذا بالاضافة الى الصورة السوداء التي تركتها تصرفات عبد الحكيم عامر الشاذة .

اعود واقول : هل من المعقول ان نعدل نظامنا ونعمل حزبين وما زال العدو موجودا على اراضينا ؟ الأهم من ذلك الآن هو تعبئة البلد كلها ضد العدو . لهذا لا اوافق الرئيس عبد الناصر على اقتراحه بتشكيل الحزبين الا بعد ازالة آثار العدوان . لا مانع من ان نترك جميعا الحكم ويأتي بدلنا قيادات جديدة ، ولكن تفسيخ البلد في هذا الظرف بواسطة المعارضة التي اقترحت امر غير مقبول لأن شعبنا بخير ووفي ويثق في هذا الرجل (مشيرا الى عبد الناصر بانفعال كبير) . وكلنا على ثقة ان عبد الناصر الزعيم قادر على توصيلنا لبر الامان .

يجوز ان يكون « الفتح » (قصد بالكلمة النظام المفتوح) مطلوبا ، ولكن الآن هناك امور يمكن تنفيذها بسرعة لتغير قليلا من نظامنا في الوقت الحاضر . نبحث عن جميع الاخطاء الموجودة ونعمل على اصلاحها ، نجري انتخابات جديدة لمجلس الامة على أسس ومفاهيم جديدة . اما اننا نسمح بنظام بالمعارضة قبل ازالة آثار العدوان ونفتت البلد فهذا امر مستحيل . أنا لي ثقة كاملة في جمال عبد الناصر ولا اوافق على عملية الفتح عن طريق الحزبين لانها ستكون فتح للكلاب اللي عايزة تنهش في الحكم !! نعمل مجلس امة جديدا ونسمح بداخله بالنقد . ولكن لا اوافق على قيام المعارضة الا بعد ان ننتهي من ازالة آثار العدوان ، على ان نركز جميع جهودنا الآن في ما تحتاجه المعركة ، لأن المعركة هي مصيرنا ايا كان المصير ، وكم من شعوب ناضلت وكسبت معارك صعبة مثل ما حدث في لينينغراد الباسلة .

ختاما لحديثي ، اكرر ان هناك ثقة مطلقة في الرئيس جمال عبد الناصر ، وموضوع الحزبين غير مناسب لأن الحزب الجديد سيعتمد على المزايدات . فمثلا سيقف رئيس الحزب الجديد ويرفع شعارا : ان نسلم اليمن للاعداء ، بغض النظر عن المصلحة العامة للبلد . لهذا لا اوافق على الحزبين .

● ● علي صبري (قبض عليه السادات في قضية ١٥ مايو (أيار) وحكم عليه بالاعدام ثم خفف الى المؤبد وما زال منذ ١٩٧١ مسجونا في سجن طره في القاهرة) : رأيي بالنسبة للماضي ان نظامنا لم يكن نظاما مغلقا كنظام الحزب

الشيوعي . في نفس الوقت لم يكن مفتوحا كما هو موجود في النظم الاوروبية المفتوحة . اما عن الاقتراح بتشكيل حزبين فالمعروف ان الاحزاب اصلا تقوم على انتماءات طبقية ، ولهذا اذا كان الاتحاد الاشتراكي سيقوم على اساس المفهوم الاشتراكي فلا بد ان يقوم الحزب الآخر على اساس فلسفة مخالفة وعلى اساس طبقة جديدة . وحتى اذا قلنا ان الالتزام بالميثاق شرط اساسي فهو شرط غير كاف ، اذ من الممكن دائما الخروج عن روح الميثاق عند التطبيق التفصيلي وتتجه البلد الى اتجاه آخر .

في رأيي ليس هناك مخاوف من التجربة الجديدة طوال وجود عبد الناصر ، ولكن الخطر في ما هو بعد عبد الناصر . اذ سينشأ في هذه الحالة صراع طبقي يظل لفترة طويلة ، كما ستظهر قوى مع التحول الاشتراكي وقوى معارضة لهذا التحول . لهذا ارى ان يكون هناك انفتاح . وان يكون هناك مزيد من الديموقراطية ولكن ليس بطريقة الحزبين .

● ● عبد المحسن ابو النور : (من رجالات قضية ١٥ مايو (ايار) وحكم عليه بالسجن ١٥ عاما امضى منها في سجن طره حوالى خمس سنوات ثم افرج عنه افراجا صحيا) : يجب ان نراعي عند بحثنا عن النظام الجديد ان لا يأتي شخص او شكل من التنظيم يمسخ هذا البناء الضخم الذي بناه جمال عبد الناصر ويجعله بلا اثر . لا شك اننا لا بد ان نسير في طريق تكوين المعارضة ، ولكننا نريد المعارضة التي تبني ولا تهدم . المعارضة التي تقوم أي انحراف مهما كان ، كما ارى ان نسير في طريق المعارضة على مراحل فنبدأ الآن بالمعارضة داخل الاتحاد الاشتراكي ، على ان تظل قيادة الاتحاد مع جمال عبد الناصر ، لأن النظام فعلا سقط يوم ٩ يونيو ولكن اصرت الجماهير على قيادة جمال عبد الناصر ليبقى كصمام أمن لنا جميعا . لهذا اقترح ان تكون هناك اجنحة داخل الاتحاد الاشتراكي . جناح مؤيد وجناح معارض . ولا اوافق على تكوين الحزبين لأننا لن نزيل آثار العدوان بنظام الحزبين بل ستكون هناك في هذه الحالة معركة حامية بين الحزبين يتابع الشعب اخبارها فينشغل عن المعركة الاساسية .

الى اين المسير ؟

● عبد الناصر : انا اختلف معكم جميعا لأن المعارضة لا يمكن ان تختلق والا

تصبح معارضة ممسوخة . والسبب الرئيسي الذي جعلني ارشح كمال حسين للمعارضة هو انه حاليا معارض لنا ، اما عن المعارضة داخل الحزب فهي دائما موجودة ولكنها معارضة داخلية بين قيادات الحزب ولا يشترك فيها الناس . خذوا مثلا الحزب الصيني .. ظهر لنا اخيرا انه كانت هناك معارضة بين مجموعة ماوتسي تونغ ومجموعة ليوتشاوتشي ، ولكنها كانت معارضة داخل الحزب . حتى في اجتماعنا الحالي توجد اتجاهات مختلفة ومتعارضة . فمثلا زكريا محي الدين له رأي ويعارضه علي صبري برأي آخر . ما فيش مانع ، المهم ان لا تتكلم القيادات على بعضها من خلف ظهرها لأني احس اننا الكبار في النظام الذي فسخناه طالما كل منا بيهدم عمل الآخر ، بينما يجب ان نشعر جميعا بوحدة المصير على جميع المستويات .

اسأل نفسي الآن : الى اين المسير بهذا النظام القديم ؟ انا قبل عدوان يونيو (٦٧) اجتمعت مع رئيس مجلس الامة انور السادات وقلت له ان هناك موضوعات كثيرة يصعب حلها في اطار هذا النظام ، ولا بد من ان يكون نظامنا مفتوحا ، ولا بد ان تكون هناك معارضة ، كما يجب ان نفتح الباب للجرايد لكي تكتب بالمفتوح لأني اعتقد ان الطهارة الثورية بعد خمسة عشر عاما اصيبت كثيرا ، وحتى الوحدة الفكرية بيننا اصبحت غير موجودة . لو ان هناك حزبا ثانيا وهناك معارضة حقيقية لكان هناك تحديات امامنا وأمام كل زميل منا ، بحيث يمتنع عن الكلام على زملائه ويتجنب هدم اعمالهم ، لأنه في هذه الحالة كمال الدين حسين او الحزب الآخر واقف له بالمرصاد ومستعد ان ينقض عليه وعلى زملاء حزبه . اني اشعر اننا قصرنا جميعا في المسؤوليات التي كلفنا بها ، كما وصلت الحساسية بيننا الى حد اننا اصبحنا نخاف ان ينقد بعضنا البعض في الاجتماعات . انا شايف ان الحل الوحيد الآن هو ان نخلق « تحديا » حقيقيا بالمفهوم الصحيح ، وان نسارع الى القيام باصلاح الاخطاء التي جرت ، وان نعيد تنظيم اجهزة وفروع الاتحاد الاشتراكي من اجل ان يكون الاتحاد قادرا على مواجهة التحدي الجديد له .

الموضوع يتلخص بكل بساطة في ان هناك طريقين لا ثالث لهما :

● الاول ان نعمل بنظام الحزب الواحد ، واعتقد انه فاتنا الوقت لعمل حزب واحد سليم نسير وفق مبادئه وبرامجه بانضباط شديد .

● الثاني ان نعمل بنظام الصراعات السياسية ، والبقاء للاصلح وللاقوى . لقد كان الجو السياسي لمجلس الثورة في اول تكوينه جوا صحيا عندما كانت المناقشات بين الاعضاء على اشدها والقرار الاخير للاغلبية . ولكن تطورت الامور بعد ذلك ، وتفككت الدولة لاحزاب عديدة غير معلنة : حزب عبد الحكيم ، حزب زكريا ، حزب السادات ، حزب علي صبري .. الخ . ورغب عبد الحكيم في بناء نفسه مستخدما الجيش ، ورغب زكريا في بناء نفسه مستخدما البوليس ، ورغب السادات في بناء نفسه بمجلس الامة ، ورغب علي صبري في بناء نفسه بالاتحاد الاشتراكي . بهذا الشكل حدث تفسخ في النظام . كل ربع فينا عايز يخلص على الربع الثاني . لذلك كان اقتراحي بضرورة وجود تحديات حقيقية لنا حتى يصبح واضحا للجميع ان اي عملية هدم من داخل النظام ستسقط النظام كله على رؤوس الجميع . قد اكون مسؤولا عن عدم التنسيق او عدم المشاركة الجماعية في بناء تنظيمنا السياسي ، الاتحاد الاشتراكي ، ولكن هذا ما حدث بحيث ان اعداءنا لم يستطيعوا ـ رغم الجهود التي بذلوها ـ من هدم طوبة واحدة في بنائنا الداخلي ، بينما نحن المسؤولون عن البناء مارسنا هدمه تدريجيا . لذلك فالاستمرار في ما كنا عليه قبل ٦٧ مستحيل . واذا تبين لنا ان منافسينا الجدد افضل منا وأصلب منا فلنعلن بكل شجاعة ادبية اننا ماشيين ليحل مكاننا الآخرون حرصا منا على خدمة الناس وعلى مصلحة البلد . اختيارنا للنظام المفتوح يحتاج لكثير من التغيير ، والا سيبقى مجرد ألفاظ ، وستنظر اليه الناس بعدم الثقة ويقولون اننا رفعنا هذا الشعار من اجل ان تتفتح الزهور فقط على طريقة المثل الصيني المعروف ليسهل تمييزها وقطفها .

انا آسف اني كنت في هذه الجلسة صريحا بعنف ، ولكن السبب اني اقسمت على نفسي يوم ٩ يونيو ان لا اعالج المواضيع السياسية عن طريق المساومات او عن طريق الموازنات ، كما اقسمت ايضا ان اقاتل في سبيل مبدئي وان اقول رأيي بكل صراحة ولو كان على رقبتي .

●● صدقي سليمان : انا شايف يا ريس اننا نبحث الموضوع تحت ضغوط نفسية نتيجة للهزيمة العسكرية ، ونشخص امراضنا ونحدد علاجها في فترة غير عادية . واعتقد لو اننا انتصرنا في المعركة العسكرية لكان تعليقنا الآن ان

نظامنا الحالي هو افضل الانظمة ! في رأيي ان جميع المشاكل الموجودة نتيجة نقص التنسيق ، فلنبدأ بتحديد واضح لحقوق وواجبات الجميع ، ثم نحاسب الجميع ايضا على مدى التزامهم .

● ● عبد المحسن ابو النور : الواجبات والاختصاصات موجودة مثل اختصاصات كل من المحافظ وامين الاتحاد الاشتراكي ومدير الامن . ورغم ذلك فالصراعات بينهم مستمرة ومخربة لسبب بسيط وهو ان الثلاثة لا يشعرون انهم جميعا في خيمة واحدة ، وان ما يصيب واحداً منهم سيضر بالآخرين .

● ● حسين الشافعي : اعتقد انه يصعب خلق « التحدي » والمعارضة المطلوبة قبل ازالة آثار العدوان . لذلك اقترح ان تبنى المرحلة الحالية على اساس الرقابة الفعلية وتنظيم عملية النقد البناء على كافة المستويات .

● ● علي صبري : انا ما زلت اخشى ان يكون تكوين حزب آخر معناه فلسفة جديدة وطبقة جديدة . يا ريت كنا نفذنا فلسفتنا التي سبق اعلانها وهي « ديموقراطية كل الشعب » .

● عبد الناصر : ديموقراطية كل الشعب معناها ان نكون مسؤولين عن بناء كل فرد من افراد الشعب بناء سياسيا سليما ، ومعناها ايضا ان لا نجعل طبقة تتحكم في طبقة اخرى مهما كانت وعلى جميع المستويات .

● ● زكريا محي الدين : اعتقد ان هناك خطورة في تنفيذ الاقتراح الجديد قبل ازالة آثار العدوان ، كما ان تجربة الاتحاد الاشتراكي حتى الآن تساوي الاستمرار فيها بشرط اعادة تنظيم الاتحاد واجهزته . اما عن تشكيل اجنحة سياسية داخل الاتحاد الاشتراكي فلا يصح الآن إلا بعد ان تتم الانتخابات من القاعدة الى القمة .

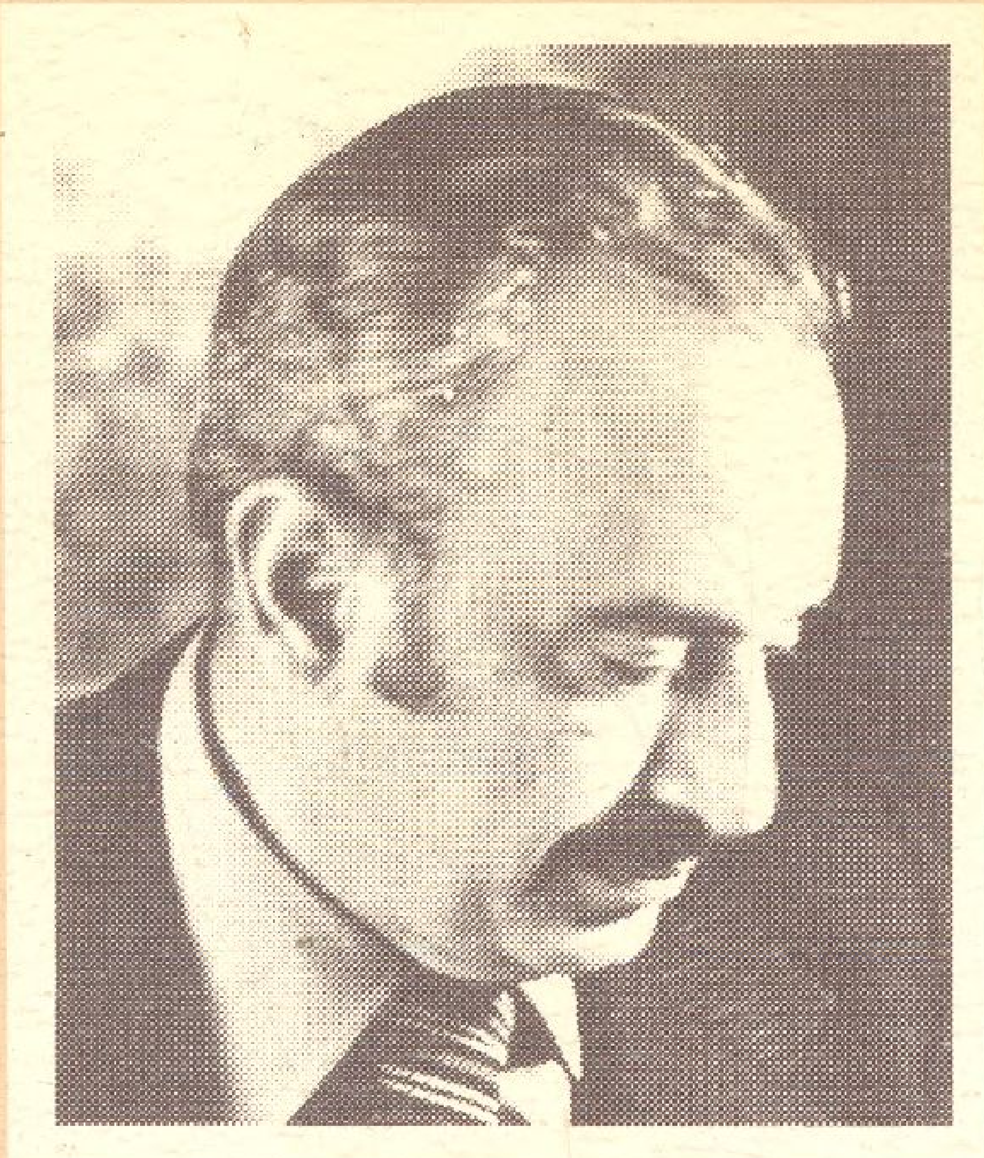
نقطة اخرى . لماذا ندخل جمال عبد الناصر في صراع حزبي محلي اذا ما تقرر اقتراح الحزبين ، بينما جمال عبد الناصر له صفة قومية على مستوى الامة العربية كلها ؟ انا ما ازال عند رأيي الذي عرضته في اول الجلسة .

* * * *

(ودارت المناقشة بين الرئيس والاعضاء ساعات وساعات في تلك الليلة ولكنها لم تصل الى قرار نهائي ، وانما وضح لعبد الناصر من واقع حوار الاعضاء والآراء التي هاجمت اقتراحه انهم لا يرحبون بمشروعه بل يرون ان المشروع المقترح يفتح

على النظام كله العديد من الثغرات السياسية ، كما اجمعوا على ان هنالك خطورة في تعديل النظام قبل ازالة آثار العدوان وقبل تحرير الارض التي يربض عليها العدو . في نفس الوقت رفض عبد الناصر اكثر من اجتهاد منهم لسحب اقتراحه عن هدفه ومساره الاصلي ، فرفض الاكتفاء بقيام المعارضة داخل الاتحاد الاشتراكي ، كما رفض قيام معارضة شكلية وسماها معارضة ممسوخة ، مصرا على انه اقسم يوم ٩ يونيو ان لا يخادع شعبه مهما كانت الاسباب ، ذلك الشعب الذي منحه ثقته المطلقة وسلمه بلا قيد ولا شرط مصيره ومستقبله) .

* * * *



• عبد المجيد فريد

• كان امينا عاما لرئاسة الجمهورية العربية المتحدة منذ عام ١٩٥٩ حتى وفاة الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٧٠ ، وحضر بحكم موقعه جميع اجتماعات عبد الناصر ورافق افكاره واعماله على امتداد هذه السنوات .

• قبل ذلك كان ضابطا في القوات المسلحة (عقيد ركن) ، وشغل منصب الملحق العسكري ومندوب ثورة ٢٣ يوليو الى ثورة ١٤ تموز في العراق ، ثم اصبح رئيسا لمكتب عبد الناصر للشؤون العربية .

• كلفه عبد الناصر بالعديد من المهام السياسية الكبيرة : في الجزائر اثناء كفاحها التحرري ، وفي سورية يوم انفصال الوحدة المصرية ـ السورية ، وفي الكونغو ايام الاتصالات السرية مع الزعيم التحرري باتريس لومومبا ، بالاضافة الى مهام اخرى كثيرة مع حركات التحرّر العربية والافريقية خلال الستينيات .

• كان منذ عام ١٩٦٥ من قيادات الاتحاد الاشتراكي وتنظيمه السري « طليعة الاشتراكيين » . وفي عام ١٩٦٦ انتخب امينا سياسيا لتنظيم القاهرة وظل يشغل هذا المنصب خمس سنوات .

• سجنه السادات بعد وفاة عبد الناصر بتهمة الاشتراك في ما سمي بحركة « مايو ١٩٧١ » ، وامضى في السجن ٤٢ شهرا .

• اختاره الرئيس الراحل هواري بومدين ، بعد خروجه من السجن ، ليك[illegible] الجزائر عام ١٩٧٥ .

• في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٧ انتخبته القوى والهيئات السياسية العرب[illegible] الشعب العربي » .



مؤسسة الأبحاث العربية
ص.ب ٥٠٥٧٠١ - ١٣ بيروت لبنان

١٦ ل . ل